الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

ملامح تجديد البلاغة في كتاب

«البلاغة العربية، قراءة أخرى» لمحمد عبد المطلب

دراسة تحليلية نقدية

رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في البلاغة العربية

إعداد الطالب: **تحت إشراف الأستاذ:**

عثمانيّ عمّار أ. د قدور إبراهيم عمّار

لجنة المناقشة: نوقشت يوم 22 نوفمبر 2016

أ.د - بن سعيد محمد ... .رئيسا جامعة وهران1

أ.د– قدور إبراهيم عمّار..... مشرفا ومقررا جامعة وهران1

أ.د مسعود أحمد ..... مناقشا جامعة وهران1

أ.د محمد عباس مناقشا جامعة تلمسان

أ.د إبراهيم بلقاسم .... مناقشا ..... جامعة مستغانم

أ.د ملاح بناجي .... مناقشا جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 2015 /2016

كلمة شكر واعتراف

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الصادق إلى أستاذي المشرف على البحث الأستاذ الدكتور قدور إبراهيم عمّار المهاجي، الذي قدّم لي يد العون والمساعدة في العطاء والسخاء العلمي والعملي، منذ بداية البحث إلى آخر لحظة إنجاز هذه الأطروحة؛ نسأل الله تعالى أن يحفظه ويجعله في خدمة العلم والمعرفة، فلم يكن طيلة البحث أستاذا مشرفا فحسب، بل كان أبًا ينصح ولده ويمهد له الطريق فتعلمت من منهجه في هذه الحياة، والشرف لي أن جمعتني به هذه المناسبة.

عثمانيّ عمار

مـــــقـــدمـــــــة

الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان علّمه البيان، وجعل كتابه شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على أفصح العرب، وخاتم الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمّد العربيّ الأمين، الذي فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صمّا، وقلوبا غلفا، وأخرج به النّاس من الظلمات إلى النور، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم البعث والنشور، وعلى آله الطيّبين الأطهار، وأصحابه الهادين الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد:

فإنّ البلاغة تعتبر سرّ صناعة العربية، إذ من خلالها نعرف أسرار الإعجاز القرآني والبلاغة النبويّة، وجماليات النصوص الأدبية، ويتمّ بفضل قواعدها تصحيح مسار الأدباء والمبدعين، والحفاظ على اللّغة ومراعاة سلامة تطوّرها. ولما كان هذا الهدف الأسمى للبلاغة العربية، فإنّ البحث فيها لا يزال مستمرا.

ولما كان التراث البلاغيّ يشكّل وجها من أوجه الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية فإنّ معاودة القراءة تبقى عملية متواصلة بغية الحصول على إجابات لا تزال تنهض همّة الباحثين المتخصصيّن. ولأجل ذلك كان هذا التراث يشكل تحدّيا أمام الدارسين لما يكتنزهمن أسرار وقضايا تتطلب بحقّ عقلا نقديا، يحسن القراءة الاستكشفائية التي تجعل مقولات التراث قادرة على استيعاب المعطيات العلمية الجديدة.

وإذا كان جيل شوقي ضيف وبدوي طبانة و أحمد مصطفى المراغي ساهم في التعريفبهذا التراث وتصنيفه وفق قراءة تاريخية، حاولت أن ترسم مراحل تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب فإنّ جيل حمّادي الصمّود ومحمد العمري ومحمد عبد المطلب غيّر نهج القراءة من اتجاهها السياقي إلى النسقي، محاولة في فهم النظرية البلاغية القديمة مقارنة بالمقولات اللسانية الحديثة. إيمانا منهم أنّ القراءة التقليدية لم تعدّ ذا جدوى في فهم العقل البلاغي العربي.

ولا شكّ أنّ القراءة التاريخية للتراث البلاغي التي قدّمها جيل مصطفى المراغي وشوقي ضيف شكلت الاختلاف من قبل متلقّيها، بكشف محاسنها وعيوبها.وعملية نقد مثل هذه القراءات يبقى عملا مشروعا لأهميّته في الكشف عن طابع القراءة وآلياتها، خاصة مع المحاولات التي اختارت الأنموذج الغربي في تعاملها مع التراث البلاغي. ومن هذا يأتي هذا البحث الذي وسمناه بـــ « ملامح تجديد البلاغة في كتاب « البلاغة العربية، قراءة أخرى» لمحمد عبد المطلب. وهي محاولة تحاول أن تفصّل القول في خصوصية هذا النوع من القراءة الذي استلهم المقولات اللسانية، وبحث عن تجديد في فهم المادة البلاغية بناء على النظرية التوليدية التحويلية التي أرسى معالمها العالم الأمريكي نعوم تشومسكي.

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع يعود إلى أنّ البحث في تحليل ونقد التصوّرات التي طرحها أصحابها من أجل تجديد البلاغة العربية أمر مهمّ بالنسبة للباحث المتخصص، الذي يبحث عن الكفاية النقدية التي تساعده في فهم آليات بناء التراث.

واقتصارنا على محاولة محمد عبد المطلب التجديدية هدفه موضوعي؛بحكم أنّه – أي محمد عبد المطلب– اختار النظرية التوليدية التحويلية في تجديد البلاغة العربية، ومن جهة أخرى أنّ صاحب هذه النظرية الغربية كان منطلقه البحث عن ما يسمى بـــ« النحو الكلي». أي هي نظرية اتجهت لاستنطاق لغات العالم وهو ما حفّزنا إلى البحث عن تلقيّ هذه النظرية في الدراسات اللغويّة والبلاغية. وفضلا عن ذلك فإنّ محاولة محمد عبد المطلب تعدّ خصبة لأنّ الرجل لم ينكر التراث البلاغي، بل حافظ على صورته، وحاول تطوير أدواته، وهذا ما يعني أنّ مفهومه للتجديد يختلف عن ما استقرّ في أذهان الباحثين.

ولعل الإشكالية التي يقوم عليها هذا البحث المتواضع، هي بيان موقف المحدثين من البلاغة العربية، خاصة في المرحلة السكاكية، وما هيالأسباب لتي تدفع الباحثين إلى طرح تصورات لتجديد البلاغة العربية؟ وهل نجحت تلك التصوّراتفي معالجة قصور البلاغة؟. وإذا كان محمد عبد المطلب أحد المجدّدين فما هو المنهج الذي اعتمد عليه في مقاربة المدونة البلاغية القديمة؟ وهل استفاد من الانتقادات التي وجهت إلى المحاولات التي سبقته؟ وعمل على تقديم تصوّر يحافظ فيه على البناء البلاغي القديم ويسهم في تطويره وتجديده؟.

واستدعت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج التحليلي النقدي، بغية تحليل مقولات محمد عبد المطلب في البلاغة، وطبيعة الخطاب الذي اعتمد عليه في توصيل فكرته بالاعتماد على النظرية التوليدية التحويلية. ومنجهة أخرى الوقوف عند بعض الآراء من وجهة نقدية فيما يخص المنهج العام المطبق في تجديد البلاغة.

واقتضى البحث أن يكون في مدخل وأربعة فصول وخاتمة. حيث حاولنا في مدخل هذه الأطروحة معرفة طبيعة القراءة التي اعتمد عليها المحدثون في تعاملهم مع التراث البلاغي، من خلال الاعتماد على نوعين من القراءة، سمينا الأولى:القراءة التاريخية، والثانية: القراءة اللسانية.

وأما الفصل الأول فقد عالجنا فيه موضوعا ذات أهمية لمعرفة المنطلق من محاولات تجديد البلاغة في العصر الحديث، وهو الحديث عن " البلاغة السكاكية في ميزان النقد"، أي كيف نظر المحدثون إلى هذه البلاغة، ومعرفة أهمّ الانتقادات التي وُجهت إليها، وخصصنا المبحث الثاني من الفصل الأول للحديث عن موقف محمد عبد المطلب من البلاغة في المرحلة السكاكية؛ لأنّ استجلاء موقفه الغاية الذي يدور حولها هذا البحث.

وتكلمنا في الفصل الثاني عن أهمّ المحاولات التي تمّ طرحها قبل تصوّر محمد عبد المطلب في سبيل تجديد البلاغة، وحاولنا في هذا الفصل أن نقف عند واقع الدرس البلاغي وارتباطه بظاهرة " التيسير"، بغية الوصول إلى الدلالات الحقيقية لما اصطلح عليه تسميته بـــ " التجديد"، لنقوم بعد ذلك بتصنيف تلك المحاولات وفق الاتجاه العام لها، مثل الاتجاه النفسي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه التربوي، وغيرها من الاتجاهات التي اعتمد عليها أصحابها في طرح أفكارهم التجديدية.

في حين تطرقنا في الفصل الثالث من البحث إلى المنهج التحويلي في تجديد البلاغة العربية عند محمد عبد المطلب، وحاولنا فيه شرح وتحليل طبيعة المنهج المستعمل عند صاحب مدونة هذا البحث، وبيان تفسيرات محمد عبد المطلب للقوانين البلاغية والتأصيل لمفهوم التحويل عند البلاغيين القدامى ، وقبل ذلك وقفنا عند رأي محمد عبد المطلب للمحاولات التي سبقته زمانا في تجديد البلاغة، ودواعي التجديد عنده، لننتقل بعد ذلك إلى الحديث على قضية تأثر اللغويين العرب بالنظرية التوليدية التحويلية، وكيف تمّ استعمالها في استقراء النحو العربي، ثم كيف انتقل هذا الاهتمام بالنظرية من النحو إلى البلاغة (محاولة محمد عبد المطلب).

وأما الفصل الرابع من البحث فقد كان الحديث فيه عن طبيعة الخطاب العلمي عند محمد عبد المطلب من خلال تبني المقولات اللسانية، التي ساهمت في إضفاء خصوصية لهذا الخطاب، الذي تمّ تصنفيه ضمن ما يسمى بلسانيات التراث، وحاولنا في المبحث الأول من الفصل بيان قواعد الكتابة في الخطاب اللساني البلاغي وخصوصياته. لنعرج في المبحث الثاني من الفصل الرابع على موضوع نراه مهمّا يختص بالتحليل البلاغي عند محمد عبد المطلب الذي اكتسب نوعية خاصة عندما انتقل به من طابعه الوصفي إلى الطابع التفسيري بتبني النظرية التوليدية التحويلية، التي تبحث في أصل نشأتها عن تفسير الحدث الكلامي، إذ تكلمنا عن آلة التحليل البلاغي في علوم البلاغة الثلاثة، في علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.وكانت لنا

فيه وقفه خاصة لبيان الوظيفة الدلالية له عند صاحب مدونة البحث، بدلا من وظيفة «التحسين» التي أسندت له في البلاغة القديمة.

وأنهينا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج وخلاصات حول موضوع يبقى البحث فيه مستمرا، وهو موضوع التجديد في الدرس البلاغي العربي.

والحقّ إنّ البحث في تصورات التجديد في البلاغة العربية يتطلب إلماما واسعا، سواء فيما يخص البلاغة القديمة؛ لأنّ التجديد في حقيقة أمره يبدأ من قتل القديم فهما على حدّ تعبير أمين الخولي، وقد اعتمدنا كثيرا على كتاب « مفتاح العلوم » في الفصل الأول والثاني لأهميتة؛ لأنّه يضعنا أمام التصوّر الذي استقامت عليه النظرية البلاغية عند العرب. ومن جهة أخرى فإنّ طابع التجديد الذي تتصف به محاولة محمد عبد المطلب دفعنا إلى التعرّف على النظرية اللسانية فحاولنا قراءة كتبه، خاصة منطلق النظرية الذي تجلّى في كتابه:« البنى التركيبية»، كما أنّه دفعنا إلى الاطّلاع على المراجع العربية التي قام أصحابها بشرح نظرية تشومسكي للقارئ العربيّ، خاصة الكتاب الذي شارك في إعداده مصطفى غلفان بمشاركة أمحمد الملاخ و حافظ إسماعيلي العلوي تحت عنوان:» اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة »

وأخيرا نقدّم شكرنا الجزيل لأستاذنا الدكتور إبراهيم قدور عمّار المهاجي، الذي مهد الطريق لاختيارنا لهذا الموضوع، فوجّه بحثنا في كلّ كبيرة وصغيرة، وإلى لجنة المناقشة التي شرفتنا بحضورها وآرائها القيّمة في مناقشة موضوع تجديد البلاغة العربية.

مدخل :

آليات قراءة التراث البلاغي في العصر الحديث

أوّلا: الاتّجاه التاريخي

ثانيّا: الاتّجاه اللساني

اهتمّ الدارسون في العصر الحديث والمعاصر بالتراث البلاغي، وأسهم ذلك في ظهور العديد من الدراسات والأبحاث التي حاول أصحابها معاودة النظر في هذا التراث بغية كتابة تاريخه، تأثرا بمقولات المنهج التاريخي، الذي وجد ضالته عند الباحثين العرب؛ لأجل استنطاق الموروث البلاغي، وتصنيف مراحل تطوره، انطلاقا من مرحلة النشأة ثمّ التطور والنضج واستكمالا بمرحلة الاستقرار. وهي الكتابة التي تغيرت ملامحها بين جيل تبنى المنهج التاريخي عند الرواد المحدثين أمثال شوقي ضيف و أحمد مصطفى المراغي، وآخرين استعاروا الأدوات اللسانية وقدّموا تاريخ البلاغة بصورة مختلفة.

والحقّ إنّبداية الاهتمام بالتراث اللغوي العربي كانت مرتبطة بحملة نابليون على مصر (1798-1801م)، وهي المرحلة التي بدأت فيها الثقافة العربية تنفتح على الثقافة الغربية، وساهمت في تحقيق تغيّرات جذرية لها علاقة بالجانب اللغوي؛ إذ وضع نابليون قانونا جديدا يحكم به المسلمين غير شريعة الله، وهو ما استفز الشعوب العربية، و عمل على تنمية الشعور والنهضة بمختلف نواحي الحياة الثقافية والفكرية([1])، بغية معرفة هذا التراث والإلمام به.

و عليه،فيمكن القول: إنّ " التراث ضروري بكل المقاييس، لا من أجل تحقيق شرط التواصل بين الأزمنة.. ولا من أجل تحقيق بحث إمكانات التقدم.. ولكن من أجل تحقيق الهوية والحفاظ على وجود الأمة بموازاة مع واقع رفع التحدي الحضاري الذي تعيشه "([2])

يرى رفاعة الطهطاوي (1801- 1873م) أنّ السبب في الاهتمام بالتراث يعود إلى المرحلة التاريخية التي عاشتها مصر، والتي مهدت بظهور الإحساس بأهمية الماضي الحضاري. وقد حفّز على ذلك تمكن جان فرانسوا(1790- 1832 م) ، من فكّ رموز الحروف الهيروغليفية (

[1] - محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية أسباب السقوط وعوامل النهضة، دار البيارق، ط1، 1999، ص 538 .

[2] - عبد العزيز إغميرات: مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2013، ص 40 .

المصرية القديمة)، حيث " فتح أمام المصريين الطريق لمعرفة عظمتهم الحضارية التي تبعث فيهم التعالي على الأتراك والاستيلاء على المماليك، بل واحتقارهم وازدرائهم "([1]).

تزايدت المفاخرة بالإرث الحضاري أيضا بعد تنامي الشعور القومي، حيث انصب الاهتمام على هذا الجانب لأهميته في وصل الحاضر بالماضي، وساد الاعتبار للذخيرة الروحية للأمة واستتباب الوعي القومي، والشعور بالجوانب الموحدة. فشكّلت هذه الأسس مرتكزات السياسة و الفكر والمجتمع . ويذهب زكي نجيب محمود إلى القولبأنّ هذا الوضع دفع إلى تبني الإصلاح اللغوي، بحكم أنّ اللغة هي وعاء الحضارة ولأن ثورة التجديد تبدأ من اللغة وطرائق تدريسها واستخدامها([2]).

ولما كان الإصلاح اللغوي مرتبطا بالمسألة القومية، اجتهد لغويو هذه المرحلة في الاهتمام بلغتهم، والدفع بها إلى أن تكون معبرة عن روح العصر، وتستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة، وزادت العناية باللغة العربية في ظلّ الحملات المسعورة التي كانت توجه إليها، ووصفها بأنّها لغة لا تستطيع أن تعبر عن حاجيات الفرد العربي في هذا العصر.

يرى حافظ إسماعيلي أنّ البوادر الأولى للإصلاح اللغوي شملت المعجم؛ لأنّه " أحد الأسس المكينة التي يمكن أن تنطلق منها عملية الإصلاح، فقد حظي بعناية واهتمام كبيرين، من خلال الاهتمام بالجانب الجمالي للغة العربية، في محاولة جادة لتخليصها من رواسب عصر الانحطاط، والعودة بها إلى سالف عهدها، وهذا ينم عن إدراك عميق لدور اللغة الفاعل في حياة الأمة. ومن اللغويين الذين ركّزوا على هذا الجانب: أحمد فارس الشدياق(1804-1887م)

[1] – رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة، الجزء الأول: " التمدن والحضارة والعمران"، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ص15.

[2] – زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 205.

وبطرس البستاني (1819–1883م) وإبراهيم اليازجي(1847–1906م) وأحمد الشرتوني (1849–1912م) "([1])، وأعمالهم تعتبر الرائدة في العودة باللغة إلى سالف عصرها .

اهتمالباحثون في عصر النهضة بقضايا تعليم اللغة العربية، خاصة بعد انتشار التعليم على نطاق واسع، من خلال البحث عن مناهج جديدة في التعليم تستجيب لحاجات المتعلمين. وظهرت العناية بهذه القضية في شكل " تيسير" تعلّم النحو، بعد الاطلاع على طرائق التأليف عند الغربيين، كما هو الحال بالنسبة إلى رفاعة الطهطاوي الذي ألّف " **التحفة المكتبية**"([2]) عام 1868حاول فيها وضع تصور جديد للكتابة في علم النحو .

يعلّق حلمي خليل على كتاب الطهطاوي، ويرى بأنّه ألّف " على نمط مؤلفات الفرنسيين في النحو التي أعجب بها إعجابا أثناء بعثته إلى فرنسا فخرج فيها على طريقة معاصريه من علماء الأزهر في الشروح والحواشي والتعليقات والتقريرات، فجاء الكتاب بسيط العبارة سهل العرض، ليس له متن أو شرح كما استخدم فيه لأول مرة الجداول الإيضاحية "([3]). والهدف تسهيل تلقيّ علم النحو، واستخدام تقنيات جديدة في الكتابة لتبسيط المعلومات.

أخذ تلقيّ التراث اللغوي اتّجاها آخر مع البدايات الأولى للقرن العشرين، وتركّز الإصلاح في هذه المرحلة على نقد " النحو العربي"، في شكل ملاحظات جزئية،خاصة بعد ظهور كتاب إبراهيم مصطفى « إحياء النحو».

---

[1]– حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة(دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته)، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط1، 2009، ص24 .

[2] – وهي رسالة في النحو تقع في 192 صفحة، اعتبرها الطهطاوي من المحاسن التجديدية في النحو، مصوغة على أسلوب جديد يقرب البعيد للمريد المستفيد. سماها " التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"، طبعه بمصر سنة 1286هـــ.

[3]– حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية الاسكندارية،(د.ط)، 1995، ص 60

وأراد إبراهيم مصطفى(1888- 1962م) في هذا الكتاب أن يبحث عن منهج جديد في تدريس النحو العربي، يقول فيما بيانه: " أطمع أن أغيّر منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو وأبدل منه أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها... اتصلت بدراسة النحو في كل معاهده الذي يدرس فيها بمصر، وكان اتصالا طويلا وثيقا، ورأيت عارضة واحدة لا يكاد يختص لها معهد دون معهد، ولا تمتاز بها دراسة عن دراسة، هي التبرم بالنحو والضجر بقواعده وضيق الصدر بتحصيله "([1])، وهو تعليق من شأنه أن يضع إبراهيم مصطفى والطهطاوي في نفس الموقف اتّجاه النحو. من خلال الإقرار بصعوبة تلقيّه، والعمل على تسييره.

والإحياء الذي أراده مصطفى إبراهيم " ربما كان بمعنى من المعاني من حيث طرحه لقضية اللغة والنحو والدعوة إلى البحث فيها بعيدا عن الفلسفة والعلل المنطقية وكذا من حيث اكتشاف أوجه القصور في النظرية اللغوية التقليدية التي اكتسبت هيبة واحتراما بمرور الزمن، ورغم هذه الدعوة الواضحة إلى إعادة النظر في درس العربية انتهى إبراهيم مصطفى إلى الإبقاء على الجانب التعليمي وحده، بغض النظر عن الأصول ومنهج البحث في الفقه، وهذا كله لا يدخل في باب التجديد الذي يقوم على أصول جديدة ومنهج جديد ونظرية جديدة "([2])

ورغم انتشار الثقافة اللسانية في المجتمع العالمي إلا أنّ التحديث الذي حمل لواءه بعض المفكرين في عصر النهضة لم يظهر التغيير المطلوب؛ فقد لاحظ إبراهيم مصطفى أنّ" بعض المتخصصين في علم العربية، والمهتمين بأمر هذه اللغة في بعض المجامع اللغوية، مازالوا ينظرون إلى هذا العلم نظرة الشك والارتياب؛ لأنّه علم أجنبي لم ينبت في أرضنا، أو هو لون من

[1]- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو ، الطبعة الثانية،(د.ت) القاهرة، (مقدمة)

[2]- حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص65.

التغريب، إذا ما طبق على لغتنا، يحاول هدمها والقضاء عليها، بنظريات ومناهج لا تصلح لها، وإنّما كانت تصلح مثل هذه النظريات لغير العربية من اللغات الإنسانية الأخرى "([1]) .

وقد كانت الدراسة اللسانية بعيدة عن تناول المفكر العربي في عصر النهضة كما يذهب محمود سعران إلى القول: إنّ" هذه الدراسة في البلاد العربية لا تزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية، المنقطعين لها،والمنصرفين إليها "([2]) .

الاهتمام بالبحث اللساني في تقويم التراث العربي غاب عن المؤسسات الجامعية، وهو ما يُفهم من كلام تمام حسان(1918- 2011م) في قوله: " حين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة- فيما بين عامي 1953و1959- كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، ولاسيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحى "([3])، وهو الموقف الذي أخذه المحدثون اتّجاه الدراسات الغربية في المرحلة الأولى، غير أنّ الأمر اختلف الآن، وزاد الاهتمام باللسانيات الغربية، بل وأصبحت منطلقا في تجديد علوم العربية.

لم تستقر هذه الحالة التي عرفها الدرس اللغوي حتى بدأ تنامي تلقي اللسانيات في الثقافة العربية، و أوعز مصطفى غلفان أسباب ذلك إلى([4]) :

1- تنامي إرسال البعثات الطلابية إلى الجامعات الغربية، مما أتاح التعرف على مبادئ اللسانيات وفروعها بشكل أدق.

[1]- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص 145.

[2]- محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار لفكر العربي، الاسكندارية، 1962، ص21.

[3]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص7

[4]- غلفان مصطفى: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، الفصل الأول.

2- القيام بدراسات وأطروحات جامعية من قبل طلاب عرب في جامعات أوروبا وأميركا، وقد تناولت تلك الدراسات الواقع اللغوي العربي من وجهة نظر مختلف المدارس اللسانية الغربية.

3- إنشاء كراسي خاصة بعلم اللغة .

4- ظهور كتابات لغوية تعرّف بعلم اللغة الحديث وبمبادئه العامة.

و إذا كان تلقيّ التراث البلاغي متأخرا مقارنة بالتراث النحوي فإنّ الاهتمام بهذا التراث زادت العناية به من لدن المفكرين ورجال الإصلاح منذ عصر النهضة، غير أنّ ذلك لم يبق مجردا في ماديته، بل أخذ حقّه بنصيب وافر من جهود المهتمّين بالتّراث العربي، فمنذ القرن التاسع عشر بدأت حركة تأليف نشيطة تسارع نسقها شيئا فشيئا حتى أصبح من الصعب الإلمام بكل ما نشر في علم البلاغة وأبحاثه.

بعد الانفتاح على الثقافة الغربية، ابتدأ النقاش محتدما حول الطريقة المثلى في قراءة التراث البلاغيّ واللغويّ، إذ اختلفت الطرائق، وتعددت الاتجاهات والمرجعيات، بين رأي يحاول صاحبه أن يتعصب للتراث البلاغي وما كتبه الأقدمون، وآخر يحاول تقديم صورة جديدة للبلاغة العربية بمؤشرات حداثية.ولأجل هذه الغاية شاع مصطلح« القراءة » في كتابات المحدثين ، ويرى جابر عصفور" أنّ السبب وراء شيوع مصطلح القراءة بمثل هذا التصوّر في ثقافتنا العربية المعاصرة، في السنوات الأخيرة، راجع إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري (التأويلي) لكل فعل من أفعال القراءة في مختلف المجالات الثقافية من جانب، وتأكيد الدور الذي يقوم به القارئ في عملية القراءة من جانب ثان، وتأكيد الطبيعة المعرفية التي تصل القارئ بالمقروء في عملية إنتاج معرفة جديدة من جانب ثالث "([1]).

[1]- جابر عصفور: النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 2008 ،ص 13.

لم يكن الاختلاف حاصلا في قيمة التراث ووزنه، بل في الكيفية التي يتمّ بها هذا التثمين، وطابع المنهج المستعمل، بين عربيّ كما وُلد في بيئته، أو غربي حداثيّ، إذ يرى محمد مندور أنّ في الكتب العربية القديمة كنوزا نستطيع إذا عدنا إليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوروبية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق التي لا تزال قائمة حتى اليوم([1]).

شكل الأخذ بالمنجزات الحداثية في قراءة التراث البلاغي اهتمام الدارسين في العصر الحديث، لما وجدوا أنّ هذا النوع من الدراسات له أهميته في إبراز فضل التراث، إذ يقول أحد الباحثين: " ولعلي لا أكون مبالغا بل ربما أكون أكثر صدقا ووضوحا إذا زعمت أنّ إفادتنا من المعارف المستعارة من الآخر على زيادة وعينا بتراثنا بوضعه في سياق معرفي مرفود بخبرة الآخر الحداثية، أجدى بكثير من محاولات التقمص التي يلتقط فيها كثير من الباحثين جذاذات متطايرة من المقولات المستعارة "([2]) .

يبرّر عبد السلام المسدي سبب الأخذ بالأدوات الحداثية لقراءة التراث البلاغي؛لكون القراءة في حقيقة أمرها هي " تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلا موجود لغوي قائم الذات باعتباره كتلة من الدوال المتراصفة، وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده "([3]).

وعليه، فمراجعة التراث البلاغي يتطلب القراءة الحداثية ليس حبّا فيها، وإنّما من أجل استعادة شرعية هذا التراث؛ لأنّ الدراسات التي اطلعنا عليها قلّلت من قيمة البلاغة العربية، خاصة ما تعلّق بالجهد السكاكي، ومن ثمّ كان لا بدّ من الردّ على هذه الآراء والأفكار، لكون أصحابها أخذوا موقفا خطيرا من البلاغة القديمة، واحتضنوا المعرفة اللسانية الغربية.

[1] – مندور، محمد : النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، القاهرة، 1996، ص 6

[2] – عيد بلبع: القطيعة المعرفية وسُلطة الجذور،بلنسية، جمهورية مصر العربية، ط1، 2009 ص46.

[3] – المسدي، عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص 12

و إذا كان بعض الباحثين أثاروا قضية تعدّد القراءة للنص البلاغي فإنّ ذلك ليس مشكلة بقدر ما هو حالة طبيعية؛ لأنّ التعدّد سببه تعاقب المتقبلين للرسالة والمفككين لبنائها عبر محور الزمن والتاريخ، وهو المخرج الذي يراه المسدي متاحا لتحقيق الشرعية للمقولة اللسانية في قراءة التراث العربي([1]).

النّص التراثي في حقيقة أمره يَملك حضورين: حضور (هناك) في تاريخه الخاص، في القرن الثالث أو الرابع أو الخامس للهجرة، حين كتب ابن المعتز أو قدامة بن جعفر أو عبد القاهر الجرجاني في علاقات تاريخية محددة، في شروط إنتاج معرفة معينة، وحضور (هنا) في تاريخنا الخاص، في القرن الخامس عشر للهجرة ([2]) .

إنّ النظر في مختلف القراءات التي قدّمها أصحابها بشأنّ البحث عمّا هو موجود في التراث البلاغي يمكن أن نقسّمها إلى مرحلتين: الأولى، اهتم أصحابها بالسرد التاريخي وتلخيص محتويات الكتب، والثانية: هي مرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني.

أولا: الاتّجاه التاريخي في تلقيّ التراث البلاغي:

اقتصرت مهمة الدارسين في العصر الحديث على التعريف بالتراث البلاغي، من خلال كتابة تاريخه، حيث كان همّ الطلاب في تلك الفترة أن يضع الباحثون كتبا، تجمع مراحل تطور هذا العلم، وهو ما دفع أحمد مصطفى المراغي(؟- 1952م) إلى تحقيق ذلك من خلال عمله الموسوم بـــ « تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها »الذي صدر سنة 1950.وتقوم خطة الكتابعلى شرح الأطوار التي مرّت بها البلاغة العربية منذ بدء التصنيف، حين كانت بحوثا مبعثرة في كتب النقد والموازنات و إعجاز القرآن إلى أن صارت كيانا عند عبد القاهر الجرجاني.

[1]- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 13

[2]- جابر عصفور: النقد الأدبي، ص7.

يذكر المراغي أنّ سبب كتابة تاريخ البلاغة هو أن" ترشد الناظر فيها إلى ما طرأ من التحول في اتجاه أبحاث المؤلفين وتوافرهم على خدمة الكتب دون خدمة الفن، مما كان مدعاة لوقوف الحركة الفكرية في مسائل العلم الحقيقية"([1]).

ولعل هذا الهدف يوضح أن تلقي التراث البلاغي كان بوعي حقيقة البلاغة في العصر الحديث التي وصلت مسائلها إلى التعقيد والجفاف، لكن دون تفسير لهذه المشكلة أو البحث عن حلول لها، مما جعل التلقيّ تاريخيا فحسب.

ومن الدراسات الرائدة في تلقي هذا التراث البلاغي من خلال الكتابة التاريخية، كتاب شوقي ضيف(1910- 2005م): « البلاغة تطوّر وتاريخ»، الذي يعدّ بحقّ أهمّ الأعمال التي فتحت الباب أمام الباحثين للنهوض بهذا التراث من خلال التعريف به وكتابة تاريخه، وتعدى الأمر إلى تفسيره وتأويله.

لم يكن العمل الذي قدّمه شوقي ضيف سردا تاريخيا فحسب، بل حاول بوعي أن يبحث عن حلقة وصل بين مرحلة تاريخية وأخرى، وأن يربط بين الجانب البلاغي والجانب الأدبي، يقول فيما بيانه: " و لم تكن غايتي أن أصور هذا التاريخ لبلاغتنا فحسب، بل أيضا أن أصوّر الترابط الوثيق بينها وبين أدبنا في تطورهما حتى انتهيا إلى الجمود والتعقيد والجفاف، وأن أرسم في تضاعيف هذا التطور الوشائج الواصلة بين كل بلاغي وسابقه ولاحقه "([2]).

الملاحظ أنّ كتاب شوقي ضيف طبع عليه الجانب التاريخي، فهو يصنف ضمن المرحلة الأولى من تلقيّ التراث البلاغي في العصر الحديث، حاول من خلاله أن يكتب تاريخ هذا العلم،

[1]- المراغي، أحمد مصطفى: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، ، 1950، ص7.
[2]- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د.ت).ص9.

باستثناء بعض الدراسات التي قدّمها ودرس فيها مسألة التأثير اليوناني في البلاغة العربية وموضوعات أخرى.

ولما كان موضوعنا يدور حول الكيفية التي تمّ بها التلقي بها التراث البلاغي بشموليته، فإنّنا رفعنا الحديث عن بعض الدراسات التي كان هدفها دراسة مشكلات البحث البلاغي في العصر الحديث، سواء من خلال جزئية التأثير الأرسطي في البلاغة كما نجد ذلك في عمل طه حسين عندما شملت دراسته التفكير البلاغي العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني أو عند الذين اشتغلوا على بلاغة السكاكي.

من الدراسات التي يمكن إدراجها في هذا النوع من التلقّي، الدراسة التي قدّمها بدوي طبانة(1914–2000م)، ونشرها سنة 1956م،حاول من خلالها دراسة تطور الفكرة البلاغية عند العرب، والوقوف على مناهجها ومصادرها الكبرى.وهدف الباحث في دراسته إلى تتبع الحقائق البلاغية في مصادرها الأصلية، معتمدا على الفحص والاستقراء، مقيّما لها، بالكشف عن مالَها، وما عليها، مبيّنا مبعثها وجدواها، وفاحصا عن منهجها وفلسفتها، وعن صوابها وخطئها([1]). والملاحظ أنّ بدوي طبانة حاول أن يبحث عن مفهوم للبيان العربي عند واضع اللغة، وكيف تطوّر مفهومه في أذهان العلماء، حتى استقرّ لونا من ألوان التفكير العربي. ومن ثمّ فالمؤلفاعتمد على المنهج التاريخي في توزيع المصنفات البلاغية بحسب اتجاهاتها المختلفة، " ليجد الأولون في هذه الدراسة بعض ما يطمئنهم على ماضي أسلافهم ومقومات أمتهم.. وليعرف الآخرون أنّ هذه الأمة لم تكن فقيرة في العلم والفن"([2])

[1]– بدوي طبانة: البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة، جدة،ط7، 1988،ص7.

[2]– المرجع نفسه،ص9.

ومن الكتابات التي نظنّها أن قدّمت كتابة جديدة لتاريخ البلاغة العربية، العمل الذي قدّمه علي عشري الزايد، الموسوم بـــ « البلاغة العربية. تاريخها. مصادرها. مناهجها » الذي نشره سنة 1977 . وهي كتابة نراها أنّها ابتعدت عن تلخيص الكتب كما هو ملاحظ في الكتب التي سبقتها، ومنها كتاب شوقي ضيف، و بدوي طبانة.

عمل عشري الزايد على تناول التأليف البلاغي على مستويين: الأول تاريخي، والثاني فنّي، وهو منهج يقوم على " تتبع هذا التطور في مراحله الأساسية منذ بدأت البلاغة العربية أفكارًا وملاحظات عامة متناثرة (...) أما المستوى الثاني فهو مستوى فني يقوم على رصد الجانب الفني في مسار التأليف البلاغي من خلال استخلاص معالم مناهج البحث وطرق التناول العلمي التي عرفها التأليف في البلاغة العربية"([1]) .

الملاحظ في كتاب الزايد أنّ همّه كان مشغولا بالبحث عن منهج التأليف البلاغي عند العرب، وخلص إلى أنّ هذا الدرس عرف في تطوره أربعة مناهج، وهي: المنهج التجميعي (آثار البيان والتبيين)، والمنهج الانطباعي(الكامل للمبرد) ، والمنهج التحليلي الفني (كتابات عبد القاهر الجرجاني)، والمنهج التقنيني المنطقي (مفتاح العلوم للسكاكي)([2]).

وانتهى الزايد إلى نتيجة مفادهاأنّ المنهج العلمي الدقيق لم يعرفه البحث البلاغي عند العرب " إلا في المرحلة الثالثة، مرحلة استقرار البلاغة واستقلالها، حيث تقاسم المؤلفات البلاغية في هذه المرحلة منهجان متقابلان من مناهج البحث البلاغي، يبرز أولهما في مؤلفات عبد القاهر الجرجاني ومن نهج نهجه، بينما يتضح الثاني في مؤلفات السكاكي ومدرسته البلاغية "([3]) .

---

[1]- علي عشري الزايد: البلاغة العربية تاريخها. مصادرها. ومناهجها .مكتبة الآداب، القاهرة، ط7، 2009 ،ص6وما بعدها

[2]- المرجع نفسه، ص 23.

[3]-نفسه، ص 109.

الحقّ إنّ فكرة تصنيف الكتابات البلاغية وفق مناهج معينة استلهمها باحثون آخرون بعد علي عشري الزايد، إذ نرى أحمد مطلوب قد اشتغل على فكرة " المناهج" ، وبحث في الدراسات البلاغية في بيئاتها المعرفية المختلفة، وتشمل: (المفسرين والأصوليين، واللغويين والنحويين، والفلاسفة والمتكلمين والشراح والملخصين، والبديعين والبديعيات، وأخيرا تناول البلاغة عند المحدثين بالعرض والنقد)([1]).

تكمن أهمية دراسة أحمد مطلوب أنّها عَرّفت القارئ العربي المتخصص بمختلف البيئات التي ظهرت فيها الكتابة البلاغية، وعلاقة البلاغة بالعلوم الأخرى.ولاشك أنّ النهج مهمّ في تفسير القضايا البلاغية عند العلماء وفق الخلفية الفكرية، التي كانت المنطلق في الاختلاف الحاصل في بعض الآراء التي أنتجها التفكير البلاغي.

وتأثّر بهذا النوع من قراءة التراث، عبد السلام عبد الحفيظ، في كتابه الموسوم بـــ " مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية"، الذي صدر في القاهرة سنة 1978، تناول فيه المؤلف مباحث البلاغة في الدراسات غير البلاغية، كاللغوية العامة والنحوية، وفي الدراسات القرآنية، ككتب مجاز القرآن وإعجازه، وفي الدراسات النقدية والأدبية([2]).

تجلّى التأثير بكتاب علي عشري الزايد عند عماد البخيتاوي، في البحث الذي قدّمه في شكل أطروحة جامعية، تحت عنوان « مناهج البحث البلاغي عند العرب، دراسة في الأُسُس المعرفية»، الذي نشرته دار الكتب العلمية ببيروت، سنة 2013، والواضح فيه أنّ الباحث استفاد كثيرا مما قُدّم من أبحاث بلاغية وفق دراسة لسانية، غير أنّه بقي مقتنعا بفكرة " المناهج" التي

[1]- تمثل هذا النهج في كتابه "مناهج بلاغية "، واعتمدنا على الطبعة الصادرة في سنة 1973 .

[2]- عبد السلام عبد الحفيظ: مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية، دار الآداب، القاهرة، 1984. ص5 .

ظهرت عنوانا لأول مرة عند علي عشري الزايد، إذ قَسم بحثه على أربعة فصول، عرّفت عناوينها طبيعة المنهج المستعمل في كل مرحلة تاريخية من تطور الفكرة البلاغية عند العرب.

حاول الباحث تقديم " مقاربة جديدة عبر الربط بين مناهج البحث البلاغي والأسس المعرفية للبلاغة العربية، والوقوف على أثر الأساس في تشكيل المنهج أو في دفع المؤلف لاختيار منهج بعينه دون سواه "([1]).

غير أنّ اعتماد هذا المنهج في تقويم التراث لا يأتي أكله، وجملة هذه القراءات التي سنّها عشري الزايد وقبله بدوي طبانه وشوقي ضيق،يصدق عليها قول الباحث:" أكثر القراءات الحديثة للتراث النقدي تقف عند حدود العرض والتفسير ولا تكاد تتجاوز ذلك إلا لتصل إلى قدر من التحليل والربط والتعليل، وكأنّ الهدف من هذه القراءات ينحصر في إعادة تشكيل التراث وتصنيفه، وبذلك تدخل هذه القراءات في دائرة تاريخ النقد الأدبي عند العرب "([2]).

والحقّ إنّ الدارسين المحدثين الذين اتّسمت كتابتهم بالسرد التاريخي في تلقيّ هذا التراث كثيرة، ولا يسمح المجال بعرضها كلّها، لكنّها تعتبر بحقّ دراسات قيّمة ، نجحت في تقديم تاريخ البلاغة إلى القارئ العربي المتخصص، وفتحت المجال للباحثين في تقديم دراسات حول مرحلة زمنية معينة من تطور التفكير البلاغي، كما فعل ذلك أحمد مطلوب في الدراسة التي قدّمها حول السكاكي، إلى جانب دراسات أخرى حاولت أن تنير بعض النقاط التي لم يتم طرقها، في موضوعات متعددة، مثل موضوع الصورة (الصورة الأدبية لمصطفى ناصف)، و (الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي لجابر عصفور) .

[1]- البخيتاوي عماد محمد محمود: مناهج البحث البلاغي عند العرب، دراسة في الأسس المعرفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص13.

[2]- عيد بلبع: القطيعة المعرفية وسلطة الجذور، ص 43.

ثانيا: الاتّجاه اللسانيّ في تلقيّالتراث البلاغي

يعود الفضل في انتشار المنهج البنيوي في الدراسات اللغوية عند العرب في العصر الحديث إلى المحاولات الأولى التي شكّلت مدرسة بنيوية لغوية في بداية الستينات من القرن العشرين بفضل جهود عدد من الباحثين أمثال إبراهيم أنيس(1906-1977م)،و تمام حسان(1918-2011م)، وكمال بشر(1921-2015م)، وعبد الصبور شاهين(1929-2010). وهي الدراسات اللغوية التي لم تقف عند مبادئ دي سوسير، ولكن تطورت تطورا ملحوظا بعد ظهور النظرية التحويلية التوليدية لتشومسكي([1]).

ابتدأ البحث عن قراءة جديدة للتراث البلاغي وفق مقولات الدرس اللساني متأخرا مقارنة مع القراءة الممارسة في التراث النحوي العربي. وهذا النوع من القراءة يرتكز على منهجية بنيوية لسانية تختلف عن المناهج الخارجية التي لاحظنا بخصوصها سيطرة المنهج التاريخي عند من حاولوا قراءة البلاغة القديمة أمثال شوقي ضيف، وبدوي طبانة، وعشري الزايد ومن سلك هذا النهج.

أمّا هذا النوع من القراءة فهو يأخذ من اللسانيات ويقوم على نقد وتقويم للتراث البلاغي، ويأخذ شكل النقد البنيوي الذي" يرتكز في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة لغوية قائمة في لحظة معينة تمثل نظاما شاملا، والأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، وتحليلها يعني إدراك علائقها الداخلية، ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها وتركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفها الجمالية المتعددة "([2]) .

[1]- إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص220.

[2]- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002، ص 91 .

وتكمن أهمية هذه القراءة أنّها الأصح في كونها تسمح بالعودة إلى التراث اللغوي، من أجل الوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من آراء متطورة، وهذا من الأمور الهامة، التي من شأنها أن تلقى على المواضيع العديدة التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي.([1]).

الاهتمام بتقديم قراءة لسانية للنص البلاغي العربي القديم جاء بعد العمل الذي قدّمه رولان بارت(1915–1980م) في كتابه المعنون بـــ « قراءة جديدة للبلاغة القديمة»، وهو الكتاب الذي ترجمه إلى العربية عمر أوكان، وقال عن البلاغة الغربية بشأنه أنّها أصبحت" تكتسح الساحة بقوة أكبر مما كانت عليه في عصرها الذهبي (اليوناني والروماني)، إلى درجة صارت تبدو معها مثل موضة (أو تعبير عن الحداثة)"([2]) .

والفضل في هذا التطوّر الذي صاحب الدرس البلاغي في الحضارة الغربية يرجع إلى محاولات مجموعة من الباحثين أمثال: فاليري (في فرنسا)، ريتشاردز وأوغدن (في ألمانيا)، وبعد ذلك توالت التأليفات، وذلك نتيجة التطور الذي عرفته بعض الفروع المعرفية المجاورة لحقل البلاغة، وذلك مثل اللسانيات، والسميائيات والتداوليات، والشعريات، مما أسهم في ظهور أسماء لامعة: شارل بيرلمان، ورولان بارت، وجون كوهن، وبول ريكور... إلخ.

[1]– حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص2.

[2]– رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011 ، ص11 .

المعالجة البنيوية للبلاغة القديمة جعلت رولان بارت يعيد النظر في الإرث البلاغي، ويعمل على تقديم تصور جديد له، يقوم على إبراز بلاغة الصورة، ويغير في مقولات التحليل البلاغي، ويعيد تقسيم الوجوه البلاغية وفق نمط بنيوي([1]).

ومن ثمّ فإنّ هذا النوع من القراءة فتح المجال أمام الباحثين العرب للنظر من جديد في التراث البلاغي وفق مقولات علم اللغة الحديث بغية البحث عن علمية البلاغة لتكون مشاركة في صناعة أدبية الأدب، إذ ظهرت بعد ذلك بعض المحاولات التي حاول أصحابها الوصول إلى تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية. على غرار محاولات حمّادي صمود، ومحمد العمري، ومحمد عبد المطلب.واقتصرنا على الإشارة إلى هذه النماذج لأهميتها، ومنهج دراستها، حيث تعاملت مع التراث البلاغي في شموليته. في حين أنّ الدراسات الأخرى التي قرأت البلاغة العربية وفق نظرة جزئية فهي كثيرة ومتعددة، إذ يصعب الإحاطة بها .

نقتصر في هذا الموضع على مشروعين اثنين يندرجان ضمن هذا النوع من القراءة، ونخص بالقول: مشروع حمّادي صمّود، ومشروع محمّد العمريّ في قراءتهما للتراث البلاغي، وسببنا في ذلك أنّ الدراستين من أجدى الأعمال التي حاولت أن تفسّر وتؤوّل التراث البلاغي في كليته، وفق مقتضيات الدراسة اللسانية، فكان عملهما من وجهة نظرنا واعيا بمفهوم القراءة، ولو أنّ النهج يمتد أيضا إلى محاولة محمد عبد المطلب في كتابه: « البلاغة العربية، قراءة أخرى»، غير أنّ هذه المحاولة لم تأبه إلى كتابة التاريخ، بقدر ما كانت تحاول تفسير القواعد البلاغية من وجهة النظرية التوليدية التحويلية.

1- مشروع حمّادي صمّود :

[1]- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 18 .

لعل من القراءات المهمة التي حاولت أن تستنطق النصّ البلاغي القديم، قراءة حمّادي صمود، في ما يسمى بـــ (مشروع قراءة)، وهي في الأصل أطروحة جامعية، انتهى من إنجازها سنة 1980، وصدرت ضمن منشورات الجامعة التونسية سنة 1981 ، بعنوان: « التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)».والذي ينبغي ذكره أنّ مشروع حمّادي صمّود جاء في فترة طبع فيها المنهج السيوسيولوجي في الدراسات الأدبية في المغرب العربي، الذي صار يتحول تدريجيا نحو تبني القراءة البنيوية ذات الطابع اللساني والشكلاني،ومن ثمّ فقد تكون هذه القراءة غير بعيدة تاريخيا عن حركة إعادة كتابة تاريخ البلاغة الغربية، التي انطلقت في الستينات مع رولان بارث، وجان كوهين.

جاء هذا العمل بعد القصور الذي صاحب مشروع تلقي التراث البلاغي في العصر الحديث، إذ دفع ذلك ثلّة من الباحثين العرب إلى معاودة قراءة هذا التراث في شكل مشروع، همّه إيجاد حلول للنقص المسجل في القراءات الأولى، التي يعلّق عليها صمود بالقول:" هذه الجهود لا تخلو، على أهميّتها، من النّقص، فالآثار التي تروم الإلمام بمختلف مراحل البلاغة نشأة وتطورا واكتمالا قليلة، وما اتّجه منها هذه الوجهة باشر المسألة من زاوية تاريخية- حداثيّة أضعفت جانب التأليف والاستنتاج، كما أنّها لم تعتن عناية كافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللّغة عند العرب، فجاء جلّها تاريخا للتأليف البلاغي لا للبلاغة ولا يخفى الفرق بين الوجهتين "([1])

وسبب ثورة حمّادي صمود على التأليف البلاغي في العصر الحديث يكمن في عجز هذه المؤلفات في" إقحام البلاغة في حقل العلوم الأدبية و لم تستطع أن تقنع بفعاليتها في ممارسة الأدب

[1]- حمّادي الصمّود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت،ط4، 2010، ص11و12

ونقده فتعودَ إلى مكانتها السّالفة باعتبارها نظرية في فنّ القول تولّدت عن ممارسة النص من جهة بنيته اللّغوية"([1]) .

إذا كان الدارسون للنحو العربي قد حاولوا تسييره انطلاقا من الإطلالة على صورة العلم في الحضارة الأخرى، فإنّ غياب جدلية التراث والحداثة في المؤلفات البلاغية كان سببا في قصورها، في ظلّ التعالي على المكتسبات المنهجية الجديدة، وما أظهرته التيارات النقدية الحديثة.

وعليه، يأتي مشروع حمّادي صمّود لإعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات اللسانية، الذي حرص فيه " على مباشرة التّراث من منطق التفاعل بينه وبين الحداثة قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد النظرية الأدبية التي يتضمّنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه التي يمكن استحضارها"([2]) .

يقول الباحث عن المدونة التي درسها: " يمتد عملنا على ستة قرون وهو إطار يحيط ببداية التفكير البلاغي وبأقصى ما وصل إليه من نُضج واكتمال، كما نوّعنا المصادر التي استقينا منها مادّتنا فلم نقتصر على المؤلفات التي اشتهرت بمترعها البلاغي الصّرف وحاولنا الاستفادة من كتب التّراث الأخرى التي تناولت ظاهرة اللّغة من زوايا مختلفة ومن ثمّ تضمّنت آراء بلاغية يُثري جمعها والتنسيق بينها الموضوعَ "([3]) .

وكما هو ملاحظ في هذا المشروع أنّ حمّادي صمّود اختار الحدث الجاحظي في البلاغة مرجعا في كتابة تاريخ هذا العلم وفق قراءة لسانية، إذ قسّم مشروعه إلى ثلاثة أقسام يحتل منها الجاحظ المركز: ما قبل الجاحظ، الحدث الجاحظي، وما بعد الجاحظ .

---

[1]- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص12 .

[2]- المرجع نفسه، ص 13 .

[3]- نفسه، ص 14 .

وصورة هذه القراءة أنّها ناقشت أفكار البلاغيين في جملة من المقولات اللسانية التي جاء بها العلم الحديث، ويبدو أنّ الرجل كسب هذه الثقافة اللسانية جيّدا، وحاول أن يقدّم قراءة جديدة لتاريخ البلاغة العربية من منطلق التفاعل مع النصوص اللغوية، والبحث عن أدبية البلاغة التي حمل مشروعها أقلام معاصريه، وقبلهم أحمد الشايب وأمين الخولي.

حاول صمود أن يبحث عن تجليات المقولات اللسانية في الحدث الجاحظي، الذي تكلم فيه على أنواع الدلالات، والعلامة اللغوية، و ثنائية (المقام/ الحال)، و(اللغة / الكلام) وهي موضوعات أظهرتها اللسانيات في العصر الحديث منذ كتاب دي سوسير.([1])

2 – مشروع محمد العمري:

من الدراسات الهامة التي تبنت الثقافة اللسانية لإعادة قراءة التراث البلاغي، محاولة محمد العمري الموسومة بـــ " البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها " وهو الكتاب الذي انتهى صاحبه من تبييضه عام 1997، وطبع لأول مرة ضمن منشورات إفريقيا الشرق عام 1999.

واستفاد محمد العمري من منهج حمّادي صمّود في قراءة البلاغة العربية، وقدّم قبل هذا الكتاب الذي يعتبر أساس منهج الرجل في تلقّي التراث أعمالا أخرى، نجملها في الشكل التالي:

- تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية (الكثافة، الفضاء، التفاعل)، الدار العالمية، دار البيضاء، 1990 .
- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية، منشورات سال، الدار البيضاء، 1991.

[1] – حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 125 .

- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم، مساهمة تطبيقية في سبيل كتابة تاريخ للأشكال، منشورات سال، منشورات الدار البيضاء، 1989 .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986 .

اختارنا للنظر في طبيعة منهج القراءة الثانية للبلاغة القديمة كتابه « البلاغة العربية أصولها وامتداداتها». باعتبار أنّ هذا الكتاب يعتبر عصارة جهد الرجل مع البلاغة، بعد الأعمال السابقة التي سبقتها، مثلما نلمس ذلك في مدخل الكتاب: " لقد قادني البحث في موقع الموازنات الصوتية من الرؤية البلاغية في عمل سابق مطبوع إلى تكوين تصور عام عن مسارات البلاغة العربية وخلفياتها الفكرية والأيديولوجية، كما قادني إلى اكتشاف الفروق بين المشاريع والمنجزات وما يؤدي إليه ذلك من تضارب بين منطوق نصوص من المؤلّف البلاغي الواحد "([1]). وهو ما يجعل كتابة محمد العمري في تاريخ البلاغة تلقى تقبّل المتخصصين.

أخذت قراءة العمري طابع اللساني المحض، خصوصا ما تعلق بنظرية جمالية التلقيّ، التي أفادته في تحقيق نتائج هامة، يقول فيما بيانه:" ولا شك أنّ للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية، ولذلك حاولنا استثمارها إلى أقصى حد ممكن، غير أنّنا حاولنا أن نستغل بعض مقترحات جمالية التلقي في بعدها التاريخي"([2]).

يعتبر عمل العمري مكملا للأعمال التي تبنت تقديم قراءة لسانية للتراث البلاغي في شموليته، إذ أنّ الرجل لم يقص مرحلة من تطور الفكرة البلاغية عند العرب، وهي قراءة " تركيبية تعتمد النظرية الشمولية، تفهم السابق من اللاحق واللاحق من السابق، ولكي تكون

[1]- العمري محمد: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت/ المغرب، ط1، 1999، ص 14.
[2]- المرجع نفسه، ص 10 .

مثمرة ينبغي أن تتحول إلى مستوى الهم أو الانشغال الموجه الذي يفسح المجال للتحليل والتأريخ لسد الفجوات دون أن يكون الخطاب الحديث عائقا يسد الطريق بترسانة من العتاد النظري الذي يُعرقل السير بدلا من أن يَفتحه "([1]) .

والملاحظ في هذه القراءة أنّها كانت واعية بقضايا البحث البلاغي، سواء ما تعلّق بالتأثير الأرسطي، أو مسألة مشروع الجاحظ البلاغي، إذ خلص المؤلف إلى أنّ" الفلاسفة العرب لم يكونوا مشغولين بالتطابق مع أرسطو، وأنّه لا جدوى من هذا التطابق "([2]).وهذا ردّ واضح على الذين انصب اهتمامهم في البحث على تأثير الفلسفة اليونانية في البلاغة العربية، أمثال طه حسين.

وأضافت محاولتا حمّادي صمّود ومحمد العمري الكثير في الدراسات البلاغية المعاصرة، إذ فتحت المجال لتقديم قراءة معاصرة للتراث البلاغي، تساير مع آخر المستجدات في الأبحاث اللسانية.

وفتحت الدراسة اللسانية للتراث البلاغي أمام الباحثين للنظر في جملة من القضايا التي كانت تنتقد فيها البلاغة العربية، سواء ما تعلق بالمعيارية، أو الشكل الذي وصلت إليه صورة الدرس البلاغي، حيث أثّر حمّادي الصمّود في باحثين آخرين، عملوا على إعادة قراءة التراث من خلال الاستفادة من التطوّر الحاصل في الأبحاث اللسانية، كما فعل صابر الحباشة الذي أعاد قراءة مرحلة الشروح والحواشي من تاريخ البلاغة، ووصل إلى أنّ هذه المرحلة ظلمت عند الباحثين الذين كتبوا تاريخ هذا العلم، والمقصود في ذلك كتاب المرحلة الأولى من تلقيّ هذا التراث. لّما

[1]- محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداها، ص 10

[2]- المرجع نفسه، ص 36 .

وجد أنّ الكثير من المعطيات التي وصلت إليها التداولية، تمّ التطرق إليها من طرف أصحاب الحواشي والشروح.

ولا شك أنّ أعمال محمد العمري ألقت بظلالها على الباحثين في الوطن العربي، في الاهتمام ببلاغة النصوص النثرية، التي كانت إلى زمن قريب خارج مجال البلاغة، وظهر ذلك في العمل الجماعي الذي يقدمه محمد مشبال مع مجوعة من الباحثين المغاربة، كان آخرها البحث الذي قدّم هو بلاغة النص النثري، عندما تمّ استقراء وتأويل نصوص تمتد إلى القرن الثاني والثالث الهجريين من خلال المقاربة التداولية والحجاجية، واقتراح خطط أو مناهج لتحليل النصوص بلاغيا([1]).

[1] – محمد مشبال: بلاغة النص النثري (مقاربات بلاغية حجاجية)، دار العين للنشر، الإسكندرية، ط1، 20013، ص10

الفصل الأوّل :

البلاغة السكاكية في العصر الحديث

المبحث الأوّل: البلاغة السكاكية في ميزان النقد

المبحث الثاني: موقف محمد عبد المطلب من البلاغة

المبحث الأوّل:

البلاغة السكاكية في ميزان النقد

تعتبر البلاغة السكاكية نتاج ما وصل إليه التفكير البلاغي عند العرب. وتكاد جميع الكتب التي ألفت بعد كتاب « مفتاح العلوم» لا تخرج عن الإطار الذي حدّده السكاكي (ت 626 هـــ) لهذه البلاغة، سواء من خلال تصنيفها إلى علوم ثلاثة، أو في ما احتوته هذه العلوم من تعريفات وتقسيمات.

ولاشكّ أنّ فكرة وضع تصوّر جديد للبلاغة العربية في العصر الحديث جاء منطلقه من تلك الاستفسارات والإشكالات التي طرحها النقاد بخصوص التراث البلاغي،وقدرته على استيعاب المعطيات اللسانية الجديدة. إذ كان ذلك دافعا إلى تقويم هذا التراث من خلال النظر من جديد في مراحل تكوينه، وسواء كان ذلك في مرحلة النشأة والتطور، أو مرحلة تقنين هذا العلم، ومن ثمّ كان لزاما علينا أن نَعرف منطلقات التجديد، أي موقف أصحابها من البلاغة القديمة، وخاصة من كتاب السكاكي.

أراد السكاكي في كتابه بيان جهات تحصيل علم الأدب، يقول فيما بيانه: " الغرض الأقدم من علم الأدب، لما كان هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب، و أردت أن أحصل هذا الغرض، وأنت تعلم أنّ تحصيل الممكن لا يتأتى بدون جهات التحصيل واستعمالها، لا جرم أنّنا نتلو عليك في أربعة الأنواع مذيلة بأنواع أخر مما لا بد من معرفته في غرضك، لتقف عليه ([1]) "

والواقع أنّ السكاكي لم يقصد إلى تأليف كتاب في البلاغة بالمفهوم المتداول، بل حاول التأسيس لمشروع اسمه « علم الأدب»، وهو حصيلة عدة علوم، إذ يقول: " وقد ضمنت

[1] السكاكي أبو يعقوب يوسف: مفتاح العلوم، ضبطه وحقق هوامشه وعلّق عليه نعيم زرزور، ص 7

كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة. فأودعته علم الصرف بتمامه... وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان " ([1]).

ونص السكاكي واضح الدلالة في التركيز على مشروع بناء الأدب على أساسيين، الصرف بتمامه، وتمامه بعلم الاشتقاق. والنحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان.

و مشروع السكاكي الذي تضمنه مؤلفه« مفتاح العلوم» كان تحت نقد المحدثين؛إذ أفرد أحمد مطلوب كتابا خاصا للبلاغة السكاكية، لدراسة صورها، ووصل إلى أنّ السكاكي استطاع" أن يوجه البلاغة العربية توجيها جديدا فيه حصر لموضوعاتها وتحديد لمصطلحاتها، وانقسمت على يديه إلى علمين متميزين هما: علم المعاني، وعلم البيان، وإلى تابع لهما هو المحسنات اللفظية والمعنوية التي أطلق عليها فيما بعد اسم البديع"([2])، و هو التقسيم الذي بقي مستمرا إلى اليوم .

التوجيه الذي دعا إليه السكاكي في مفتاحه شكّل الاختلاف بين النقاد المحدثين، الذين ولعوا بدراسة التراث البلاغي، بين مؤيّد لهذا النهج الذي خطه السكاكي في كتابه، وبين معارض، واصفا السكاكي بأنّه هو الذي ساهم في تجميد البحث البلاغي عند العرب؛ ولأجل ذلك تأتي محاولتنا في هذا الفصل لمعرفة أسرار هذا الهجوم،والمنطقة التي رأى فيها حاملو لواء التجديد بأنّها بحاجة إلى نظر ورؤية جديدة، سواء من حيث تصنيف هذا العلم في الكيفية التي استوى عليها، أو دعوى الجمود من حيث مصيبة التقسيمات والتفريعات التي انتقدها المحدثون.

[1] المصدر نفسه، ص 8 .

[2] أحمد مطلوب : القزويني وشروح التلخيص، ،مكتبة النهضة، بغداد،ط1، 1967،ص18.

ولما كانت قضية الإصلاح والتجديد تشغل اهتمام المتخصصين اتّجاه علوم اللغة، فقد حاول أمين الخولي(1895–1966م) في كتابه: « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب»، أن يبرز ملاحظاته ومآخذه على البلاغة القديمة، ونلخصها في النقاط التالية([1]):

- طغيان الفلسفة على البلاغة في منهج البحث ولغته وغاياته.
- اختصار بحثها في الألفاظ، وفي حدود الجملة غالبا.
- إهمال البحث في عنصر المعنى.
- استهداف مطابقة الكلام البليغ لمقتضى الحال مع غلبة النظر إلى الحال أوالمقام على أنه عامل خارجي.
- إهمال لحال المتكلم مع أنّه هو مبدع الكلام الذي يجب أن يتجه إليه بعملية المطابقة.

هذه المآخذ التي أبرزها أمين الخولي حول البلاغة يتحمل السكاكي أكبر قدر من وزرها في نظره. وفتح هذا النقد الذي وجهه الخولي اتّجاه البلاغة القديمة الباب أمام الباحثين لتوجيه اللوم عليها، و العمل على توضيح آراء أمين الخولي وتدعميها، بل وجعلها منطلقا في بعض التصورات التي تتجه إلى تجديد البلاغة([2]).

يرى بدوي طبانة(1914–2000م) أنّ اتجاه البلاغة إلى التقنين عند السكاكي " هو الذي باعد بين معنى البيان الشامل المتسع الأطراف، وبين أثره في إرهاف الحس وتنمية الملكات، وأصبح قواعد تحفظ ولا يقاس عليها، وفقدت البلاغة قدرتها على تذوق البلاغة،

[1] أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة،ط1، 1961، ص 162.

[2] نلاحظ ذلك في تصوّر جميل عبد المجيد في كتابه: « بلاغة النص»، عندما انطلق من رأي الخولي في أنّ البلاغة القديمة لم يتعد البحث فيها حدود الجملة، للاستزادة، ينظر كتابه: بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، ط1، 1999، ص7.

وعلى تكوين البلغاء والنقاد، وإن استطاعت أن تكوّن طبقات من البلاغيين يقفو بعضها أثر بعض، وهي في أكثر الأحيان صورة حائلة لأصل مشوه "([1]).

يفهم من ذلك أنّ السكاكي هو المسؤول عن حالة البلاغة اليوم، و أنّ تحديده إيّاها هو الذي لم يجعلها تتطور، وتكسب القدرة على أن تضاهي الأبحاث اللسانية، نتيجة ابتعادها عن الإبداع، لسوء فهم معنى «البيان» وعلاقته بملكة المبدع.

انتهى أحمد مطلوب في دراسته إلى أنّ هذه البلاغةلا تفيد كثيرا في دراسة البلاغة الحديثة، حيث دعا " إلى تغيير بحثها، وإخراج الغريب منها"([2]).وما أشار إليه مطلوب يعتبر من أهداف الباحثين لتحقيق التجديد في علوم البلاغة، من خلال تغيير طريقة البحث في الموضوعات البلاغية، و إلغاء بعض المباحث البلاغية.

وبخصوص اهتمام البلاغة القديمة باللفظ على حساب المعنى، يقول عبد الحكيم الرضي" انحصرت مباحث البلاغة في الشكل أي في اللفظ، فعلم المعاني يعرف به كيفية... وبالتالي فإنّ البلاغة بعلميتها تدور حول كيفية التعبير، من ثم تجافت بحوثها عن عنصرالمعنى فلم تلتفت إليه"([3]).

---

[1] بدوي طبانة: البيان العربي، دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب، ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة، جدة، ط7، 1988، ص 252 .

[2] أحمد مطلوب: القزويني وشروح التلخيص، ص 19 .

[3] عبد الحكيم رضي: التراث بين ثباته في ذاته والنظر إليه، دراسات وأبحاث، بني سويف، مصر، 2003،ص 27.

استفاد عبد الحكيم رضي من كلام أمين الخولي بخصوص موقفه من البلاغة القديمة، وخلص إلى أنّ " عناصر التراث منها ما يصلح للاستمرار و الأخذ به ومنها ما فقد صلاحيته، لا لعوامل ذاتية فيها وإنما لأسباب تعود إلى الجدل بينه وبين موجات التغيير الاجتماعي"([1]).

ويفهم من كلام رضي أنّ مفهوم التجديد في البلاغة ينبغي أن يكون التعامل مع هذا التراث بطريقة تسمح لنا أخذ ما يلائم هذا العصر، لا النظر إلى التراث في شموليته. والحقيقة أنّ التعامل مع التراث بهذه الطريقة يفقد خصوصيته؛ لأنّ الصورة التي استقر عليها هذا التراث لم تكن على الإطلاق عملا فرديا، بل هي نتاج على أنّ اللاحق انطلق من تصورات السابق، وهو المنهج الذي نلمسه في كتاب محمد العمري في تأريخه للبلاغة العربية.

1- الفلسفة في البلاغة القديمة :

أشارت دراسات كثيرة أنّ من أسباب التعقيد الذي دخل موضوعات البلاغة تأثر البلاغيين وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني بالفلسفة اليونانية، وقد كان من نتيجة ذلك أن تسرّب كثير من المسائل الفلسفية المعروفة عند فيلسوف اليونان أرسطو إلى البلاغة العربية.

ويَظهر التعقيد في البلاغة من جهة كثرة التعليلات، والإسهاب في التقسيمات، والوعورة في المصطلحات، والجفاف في الأسلوب، وهي النقاط التي أثارت اهتمام المحدثين، الذين يكادون يحققون الإجماع في الاتفاق عليها بحسب ما اطلعنا عليه من دراسات، اهتم أصحابها بتقويم البحث البلاغي عند العرب.

يعدّ طه حسين(1889-1973م) من الباحثين الذين بدا لهم تأثير أرسطو والمنطق اليوناني عامّة في البلاغة العربية، ونقل تلامذته هذه الفكرة بعده، ووسّعوا في الأدّلة والمناقشة والتحليل.

[1] المرجع نفسه، ص 6.

و يذكرأنّ عبد القاهر الجرجاني لم يكن " إلاّ فيسلوفا يجيدُ شرح أرسطو والتعليق عليه، وإنّا لنجدُ في كتابه المذكور جراثيم الطريقة التقريرية التي أودت بالبيان العربي في القرن السادس... ولا يسعُ من يقرأ دلائل الإعجاز إلاّ أن يعترف بما أنفقَ عبد القاهر من جهد صادق خصب في التأليف بين قواعد النحو العربي، وبين ما لأرسطو في الجملة والأسلوب والفصل من الآراء العامة، وقد وُفق عبد القاهر فيما حاول توفيقًا يدعو إلى الإعجاب "([1]).

توسّع أمين الخولي في استجلاء هذه القضية، وتأثّر بما جاء به طه حسين، واجتهد في البحث عن أدلّة رأيه، وتوصّل إلى أنّ قضية تأثير الفلسفة الكلامية في ظهور البلاغة قضية صريحة تحدّث عنها المتقدّمون، وتوصّل في خلاصة بحثه إلى أنّ الشعور بتأثير خطابة أرسطو وشعره، أو تأثير الفلسفة عامة شعور قديم، ولم يقف عند القول بالتأثير في البلاغة، بل جاوز ذلك إلى الشعر والكتابة ([2]).

الأسباب التي ذكرها أمين الخولي قد تستخدم أيضا في رفع الملامة عن قدامى البلاغيين الذين كانوا يكتبون لأهل عصرهم، مُنسجمين مع بيئاتهم الثقافية، وظروفهم الاجتماعية، ولا يمكن وصفهم بحال من الأحوال بالجمود، وقلّة الفائدة، وندرة الإبداع، وهي الأوصاف التي نُعت بها البلاغيون الذين جاؤوا بعد القزويني؛ إذ يقول عبد الرحمن البرقوقي: " ظهر حوالي ذلك قوم درجوا في عشّ الفلسفة، فوضعوا على الكتاب الشروح والحواشي، وسلكوا بهذا العلم مسلكا تنكره اللغة ويستهجنه البلغاء، فأغمضوا عن أسرار البلاغة، وتشبثوا بالفلسفة، وحمي بينهم وطيس المناظرة حتى أتوا على الذّماء الباقي من هذا العلم " [(3)].

---

[1] طه حسين: تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، ترجمة عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، ص29.

[2] أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 155-157 .

[3] القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص. جـــ .

ذكر شوقي ضيف(1910- 2005م) أنّ فلسفة أرسطو قد تسرّبت إلى كتابات عبد القاهر عن طريق أساتذته وثقافة عصره، ورأى في عبد القاهر عالما نحويا كبيرا قد أشربت روحُه كلّ ما كتبه أساتذته من أمثال أبي علي الفارسي، وابن جنّي، فاضطرمت مباحثهم في نفسه، واضطرمت معها مباحث البلاغيين من قبله، ومباحث " الخطابة" و" نقد الشعر"، فكان كلامُه في بعض المواضع من كتبه شديدَ الصلة بكلام المناطقة، ممّا يدلّ على تثقّفه بالمنطق واصطلاحاته وقوانينه [1].

يذهب شوقي ضيف إلى أنّ أبحاث عبد القاهر (ت 471هـــ) حين تصفيّها من عباراته المنمّقة وحماسته البالغة لنظريته لا تجدّ فيها إلاّ هذا النحو المعقّد المتفلسف الذي يحمّل اللغة ما لا تطيق، والذي يستحيل إلى ضرب من التجارب العقلية، والتأويلات الفلسفية للأساليب العربية[2].

يرى عبد الحكيم رضي، أنّ السكاكي " من أصحاب الكلام، وهو حلقة في سلسلة سيطرة النظر الفلسفي على البلاغة، وبسبب لمحه للصلة الوثيقة بين المنطق والبلاغة وتسويته بين عمل صاحب المنطق وصاحب البلاغة.. اقتصر البحث في البلاغة على الجملة تشبيها لها – أي الجملة- بالقضية في اصطلاح المناطقة "([3]).

يوافق عشري الزايد النقاد في تأثر البلاغة بالفلسفة، وأنّ تحويل السكاكي البحث البلاغي إلى هذه الوجهة بسبب " ثقافته الفلسفية المنطقية الكلامية الخاصة، حيث كان فيلسوفا ومنطقيا ومتكلما، كما كان متأثرا بشيوع الاهتمامات الفلسفية والمنطقية في عصره، حتى أصبحت هذه العلوم هي نموذج ثقافة العصر، فلم يقتصر تأثيرها على البلاغة، وإنّما شمل كل

[1] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د.ت)، ص 167-181.
[2] شوقي ضيف: كتاب النقد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص87-89.
[3] عبد الحكيم رضي: التراث بين ثباته في ذاته والنظر إليه،ص25.

العلوم التي تحولت إلى مجموعة من المتون أو التلخيصات، وأصبح الجانب الذهني العقلي أكثر بروزا ووضوحا من الجانب الذوقي الذي شاع في الدراسات العربية في فترة نشأتها"([1]) .

ينفي فضل حسن عباس (1932- 2011م) تأثير الفلسفة في البلاغة العربية بهذه الطريقة التي تحدث عنها المحدثون، إذ يرى كثير من النقاد أنّ السكاكي " أقحم المسائل البلاغية بالقضايا الفلسفية، على معنى أنّه خلط مباحث هذه بتلك، وهذا صحيح، ولكن من حيث الأسلوب، أي أنّ الطريقة التي اتّبعها السكاكي في دراسة البلاغة تصلح لأن تدرس بها الفلسفة، ولكنه لم يرجع البلاغة العربية إلى أصول يونانية، فالمباحث التي ذكرها في القسم الثالث من " مفتاحه " عربية الأصالة لكن فلسفها من حيث التبويب والتنظيم "([2])، وهو ما يقبل به بعض الباحثين.

قد يتساءل الباحث عن الأسباب التي أوعزت وجود هذا النوع من الدراسات التي تستقصي التأثير اليوناني في البلاغة العربية.

يمكن حصر هذه الأسباب والعوامل في ثلاث محاور، وهي:

الأول: المحور التاريخي الحضاري، الذي يشير إلى حدوث تفاعل بين الثقافتين: العربية واليونانية.

ويذهب عز الدين إسماعيل إلى القول بأنّ الدارسين المعاصرين كان أمامهم تراثان: التراث الأرسطي مترجما، والتراث البلاغي والنقدي عند العرب، ونتيجة الاطّلاع على التراثين قد وقفوا على مفاهيم يتضح فيها التشابه بين التناول العربي والتناول الأرسطي، ووجدوا أنّ

[1] علي عشري زايد: البلاغة العربية (تاريخها. مصادرها. مناهجها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط7، 2009، ص145.

[2] - فضل حسن عباس: البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2011 ، ص 136 .

العرب يتحدثون عن الاستعارة، والتشبيه، والتعقيد في الأسلوب، وتخير الوزن المناسب ([1]).وهي المفهومات التي تحدثت عنها البلاغة العربية، فظنوا بأنّ علماء البلاغة متأثرون بإنتاج أرسطو ومفاهيمه في البلاغة.

الثاني: المحور النصي، ومعناه أنّ الدارسين وقفوا عند إشارات وأدلة مستخلصة من البلاغة، والتي تحيل بشكل مباشر أو غير مباشر على وجود التراث الأجنبي في البلاغة العربية. وعمل حمّادي صمّود على استخلاص هذه الإشارات التي كانت بمثابة خصائص ملتصقة بها سواء في كيفية تناولها للمسألة أم في تعبيرها عن آراء ومواقف لم تعهدها الفترات السابقة([2]).

الثالث: دور طه حسين، إذ فتح آفاقا واسعة وسط الدارسين منذ نشر بحثه بعنوان: " تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر ". وساهم هذا البحث في إمداد الباحثين بمعلومات مفيدة، وأثبت لهم أنّ البلاغة العربية منذ نشأتها إلى نضوجها كانت مدينة للبيان اليوناني وخاصة بلاغة أرسطو. وهو ما حفّر الباحثين إلى مناقشة طه حسين في أفكاره، حتى أصبح قضية من قضايا البحث في العصر الحديث([3]).

حديثنا عن بلاغة عبد القاهر وطبيعتها يأتي في هذا البحث لأنّه يعتبر المنطلق في بلاغة السكاكي، وصاحب المفتاح أخذ فكرة تقسيم علوم البلاغة من كتابيه" دلائل الإعجاز"، و" أسرار البلاغة" ، مما يدفعنا إلى التساؤل عن حقيقة فكرة تأثير أرسطو في بلاغته. وهو رأي فنّده بعض المحدثين.

---

[1] عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1974، ص 300 وما بعدها.

[2] حمّادي صمّود: التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط3، 2010، ص 64- 75.

[3] إرحيلة عباس: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999، ص 121.

انتهى أحمد بدوي في أبحاثة إلى ما يشبه اليقين من أنّ عبد القاهر لم يكن على صلة بكتابي أرسطو " الخطابة" و" فن الشعر"، فالموازنة بين ما كتبه أرسطو وما كتبهُ عبد القاهر في مسألة الاستعارة- مثلا- تُظهر أنّ الصلة بين الدراستين إذا تشابهت في القليل فذلك لأنّ طبيعة العمل الفنّي تتشابه في اللغات بطبيعتها، ولذلك لم يستفد عبد القاهر كثيرًا ممّا كتبه أرسطو([1]).

والحقّ إنّ مسألة التأثير اليوناني في البلاغة العربية تجلت في ثلاث مواقف من هذه المسألة: موقف يعمق مسألة التأثير ويراها واسعة ومنتشرة في بعض كتب النقد والبلاغة، وموقف يجعل التأثير محدودا، وموقف يرفض التأثير مطلقا، وهو ما جعل صورة الجدل والتضارب في مواقف الدراسات المحدثة، فهي لا تكاد تستقر على أمر ثابت فيما يتعلق بمسألة التأثير([2]).

رغم هذا الخلاف في تأثير أفكار أرسطو في بلاغة عبد القاهر، إلا أنّ واضع قواعد البلاغة –السكاكي- لم يسلم من الانتقاد في قضايا مختلفة حول الصورة التي وضعها للميراث البلاغي، بل كان نقد البلاغة يدور في فلكه في العصر الحديث.ولتوضيح الانتقاد الذي وجهه الدارسون المحدثون إلى بلاغة هذه المرحلة، لا بأس أن نفصّل القول في كل قضية من هذه القضايا، والتي نضعها في الشكل التالي:

2-قضية المنطق في بلاغة السكاكي ([3])

[1] أحمد بدوي: عبد القاهر الجرجاني، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 316

[2] رامي جميل سالم: التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين، من منظور الدراسات العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص 286.

[3] والمنطق في أبسط تعريفاته يقصد به آلة العلم، وموضوعه الخاص هو العلم نفسه، فهو صورة العلم، ومن ثمّ يسمى علم العلوم؛ لأنّه هو علم العمليات والطرق التي يتأسس بواسطتها العلم. للتوسع في المفهوم يراجع كتاب: المنطق الصوري: جول تريكو، ترجمة محمد يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 21 .

ينقد عبد العزيز البشرى(1886- 1943م) بلاغة السكاكي– والتي استمرت أربعة قرون- بأنها بلاغة ذهب رواؤها وجف ماؤها، واقتصر خطابها على العقل والحافظة، في حين أنّها كانت من قبل تخاطب الإحساس والأذواق وكان همّ الباحثين شرح كتاب «مفتاح العلوم» أو التعليق عليه، وكثرت حوله هذه الشروح والتعليقات وأهمها مختصر التفتازاني (ت793هـ) والمطول، وحاشية الشريف بن محمد الجرجاني (ت816هـ) على هذا المطول ([1]).ويكاد المحدثون يتفقون على أنّ السكاكي استخدم المنهج التقنيني المنطقي في مفتاحه، وهو المنهج الذي يهتم بالقانون والقاعدة على حساب التذوق الفني والتحليل الأدبي، والذي تحولت البلاغة في إطاره إلى مجموعة من القواعد والتعريفات والتقسيمات الجامدة، وتقهقر النص الأدبي إلى المرتبة الثانية بعد القاعدة، أو الثالثة بعد التعريف والتقسيم([2]).

تأثير المنطق واضح في التعريفات التي جاء بها السكاكي في مفتاحه، ومن القضايا التي يتضح فيها تأثير المنطق قوله في حقّ الفنون البيانية:" إنّ صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة يسلك مسلك صاحب الاستدلال (المنطق) فإذا شبهت الخد بالوردة فإنّ المراد إثبات صفة الحمرة للخد، وإذا كنيت قائلا: فلان جم الرماد فإنّك تريد إثبات صفة الكرم وإذا استعرت قائلا: في الحمام أسد، فإنّك تريد أن تبرز من هو في الحمام في معرض شدة البطش وجراءة المقدم مع كمال الهيبة"([3]).

---

[1] عبد العزيز البشرى: ثورة على علوم البلاغة (محاضرة ألقيت في الجامعة الأمريكية بالقاهرة)، نقلا عن خديجة السايح: مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندارية، ط1، 2000، ص 196.

[2] علي عشري الزايد: البلاغة العربية، تاريخها. مصادرها. مناهجها، مكتبة الآداب، 2009، ص

[3] السكاكي، يوسف بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص 207 وما بعدها

يعلق عمر عبد الهادي عتيق على كلام السكاكي بملاحظة مهمـــة مفادها الربط بين الأساليب البيانية من تشبيه وكناية واستعارة يـــفضي إلى تجريد الأســـاليب البيانية من الغـــاية الجمالية وينـــفي الملكة والذوق عنها [1].

يظهر الأساس المنطقي الذهني في مشروع السكاكي في حديثه عن أصول علم البيان، وأصله الأول، التشبيه، فيقول: " لا يخفى عليك أنّ التشبيه مستدع طرفين: مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من وجه آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو العكس؛ فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولا وقصرا، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الخلاف من جميع الوجوه حتى التعيين يأبى التعدد فيبطل التشبيه، لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر، والشيئ لا يتصف بنفسه، كما أنّ عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك من محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث ولا وصف "[2].

الملاحظ في هذا التعريف أن التقسيم فيه قائم على أساس منطقي ذهني، وليس على أساس فنيّ أو اعتبارات بلاغية جمالية، فاشتراك المشبه مع المشبه به في الصفة أو الحقيقة أو عدم اشتراكه معه فيهما ليس من الاعتبارات الجمالية أو البلاغية من شيء.

يرى عشري الزايد أنّ صياغة السكاكي في هذا التعريف كانت تتميز بالجفاف، وسيطرة الفكر المنطقي، وخلوها من الحس الفني الذي تفتقر إليه أية دراسة بلاغية حقيقية[3].

---

[1] عمر عبد الهادي عتيق:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة، عمان،ط1، 2012، ص50.

[2] السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ص 210 .

[3] علي عشري الزايد: البلاغة العربية، ص139.

وفي علم البديع،يرجعشفيع السيد تقسيم البلاغيين القدماء الفنون البديعية إلى القسمة العقلية، التي تميزت بها المدرسة السكاكية، بسبب تأثير المنطق والفلسفة على البلاغة. إذ يعتبر أنّ الإفراط في تقسيم الفنون البديعية له سلبياته، منتقدا مسيرة البحث البلاغي بهذه الشاكلة ، قائلا: " مضى البحث البلاغي بتكلف إحصاء الظواهر، والاستزادة منها في أي سبيل، دون أدنى اهتمام بما ينبغي أن يكون غاية أساسية لدراستها، وهي تحليل مدى تأثيرها في تشكيل الصورة الفنية في الشعر والنثر، وعوامل شيوع ظاهرة ما عند شاعر معين، أو لدى شعراء عصر بذاته، وعلاقة ذلك بالمناخ الفكري والنفسي للشاعر أو للعصر كله"[1].

مردّ انتفاء الذوق والملكة عن البلاغة كان بسبب ربط الغاية بين الأساليب البيانية بالغاية من المنطق،وكأنّ صاحب المنطق يسعى إلى إثبات أمر ما مثل من يسعى إلى استخدام تشبيه أو استعارة أو كناية. وهذا ما يجانب دور البلاغة ويبتعد عن هدفها الأسمى.

صورة هذا المنهج بدأت في المؤلفات البلاغية قبل «مفتاح العلوم»، إذ برزت صوره في كتاب " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر(337هـــ)، ففي هذا الكتاب نجد تأثير المنطق الأرسطي شديد الوضوح، فالكتاب" قد كتب في ضوء ثقافة منطقية فلسفية، وكأنّه من محاولة لقدامة ليضع ما يمكن أن نسميه " منطق الشعر"، وليس هذا واضحا وحسب في بناء الكتاب وتقسيماته وحدوده، واقتباس بعض الآراء اليونانية فيه، بل واضح على أشده في الحديث عن خصائص المعاني وعيوبها كذلك "[2].

3 – قضية التفريعات والتقسيمات في البلاغة السكاكية

[1] شفيع السيّد: البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم)، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 165 .

[2] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1971. ص 204.

تكون قضية التفريعات والتقسيمات من أهمّ القضايا التي عالجها الفكر البلاغيّ الحديث، ودافعهم الإحساس بأنّ البلاغة العربية جنحت إلى كثرة التفريع والتقسيم فيفنونها.

يرى علي عشري الزايد بأنّ تأثير المنطق واضح على المنهج التقنيني المنطقي في التأليف البلاغي، وظهر ذلك في الولع الشديد بالتعريفات الجامعة المانعة والحرص الشديد على التقسيم المنطقي العقلي واستيفاء الأقسام، والشغف بالتعريفات والتشعيبات الكثيرة للموضوع الواحد، وأخيرا في إقحام مباحث منطقية خالصة على البحث البلاغي([1]).

وأسهمت هذه التفريعات والتقسيمات التي تميزت بها البلاغة القديمة من منظور عشري الزايد إلى " تحويل البلاغة إلى علم تقعيدي جاف ينهض على مجموعة من القواعد التي تحفظ وتستظهر، أما القيم الجمالية في الفن البلاغي، ووظيفة هذه القيم في إيصال المعنى إلى المتلقي فلم يكن لها كبير اعتبار عند صاحب " المفتاح" ومدرسته من بعده، فقد أصبحت غاية اهتمامهم الاطمئنان إلى استيفاء الفن البلاغي لأركانه الشكلية، وانطباقه على التعريف، الذي وضعوه له، ولا عليهم بعد ذلك ألا يكون هذا الفن البلاغي قد استوفى حظه من الجمال الفني مادام قد استوفى حظه من الخضوع لقواعدهم"[(2)].

غير أنّ هذا الانتقاد الذي وجهه عشري الزايد ومن سبقه من البلاغيين في تأثير المنطق على البلاغة، وما نتج عن هذه العلاقة من سمات التصقت بالدرس البلاغي، أصبحت هذه العلاقة محمودة عند نقاد آخرين بعد ظهور في اللسانيات الحديثة ما يسمّى بالنظرية التداولية.

---

[1] علي عشري الزايد: البلاغة العربية، ص 133.

[2] علي عشري الزايد: البلاغة العربية، ص 137 .

يَعتبرعمر أوكانسبب ريادة عمل السكاكي اليوم تكمن في " اهتمامه بالجانب التداولي للغة الأدبية، والذي ساعده على إدراكه هو الدمج بين البلاغة والمنطق والصرف والنحو والعروض واللغة.."[1].

ويحصر عمر أوكان قضية البلاغة القديمة في غياب الاهتمام بمشروع السكاكي، ملصقا تهمة التحجر بالقزويني، يقول فيما بيانه " مشروع السكاكي الثريّ قد أصابه الفقر ونزل به الضيم ومُسخ على يد القزويني الذي أوقف تطوره من خلال الاختصار الذي قام به في التلخيص؛ حيث حوّل هذه البلاغة العامة إلى بلاغة مختزلة"[2].

يشاركعلي عشري الزايدالآخرينفي التنويه بمشروع السكاكي البلاغي، وينصف الرجل،ويرى أنّه" ينبغي أنّ ننوه- إنصافا للسكاكي ومنهجه في البحث البلاغي- إلى أنّ البلاغة في إطار هذا المنهج قد تحددت لها مباحثها الأساسية على نحو من الإحكام والدقة والتنظيم لم تعرفه قبل السكاكي، وأنّه جمع شتات هذه المباحث وبوبها تبويبا منهجيا شديد الصرامة، ولكن الإسراف في الأحكام والدقة والصرامة كان على حساب الذوق الأدبي والتحليل الفني"[3]

و يقرّعباس حسنبأهمية كتاب « مفتاح العلوم»، ويذهب إلى أنّ السكاكي خدم البلاغة خدمة جليلة بما وضع لها من قواعد وأصول جمعت شتاتها ولمت شملها وجعلتها علما قائما بذاته ومستقلا بنفسه، الأمر الذي دعا إلى الإشادة بفضله([4]).

---

[1] عمر أوكان: اللّغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص191.

[2] المرجع نفسه، ص 192 .

[3] علي عشري الزايد: البلاغة العربية، ص 140.

[4] .حسن عباس: المتنبي وشوقي (دراسة ونقد وموازنة)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (د.ط)، (د.ت)، ص 64 .

و يزيدأحمد موسىمن فضل السكاكي في البلاغة، ويرى أنّ كتابه لا ينبغي أن ينسينا ما أفاد البلاغة من حسن التنسيق والتبويب، ودقة التقسيم والتفصيل، وإحكام التمييز بين مباحث علم المعاني والبيان، و"هذا مما يحمده التاريخ للسكاكي، ولو سلم هذا القسم – الثالث من المفتاح- من مزجه بالعلوم العقلية لكان خير المؤلفات التي ألفت في البلاغة في جميع عصورها"[1].

تواصلت الإشادة بما قدّمه السكاكي في البلاغة العربية مع الباحثين المحدثين، ولا تزال خدمة الرجل في صناعة صورة الدرس البلاغي تتردّد بين المختصين في هذا البحث، فالسكاكي عند محمد جاسم جبارة فضله واضح في هذا العلم، بعدما كانت البلاغة قبله متفرقة في متون المؤلفات، ولا تتّبع منهجا واضحا ومحدّدا، بل تعتمد على المذهب الفلسفي أو الأدبي لأصحابها، غير شاملة للفنون البلاغية كافة، فالملاحظ أنّ المؤلفين قبل السكاكي كانت تختلط عندهم فنون البيان بالبديع والمعاني[2].

السكاكي في مشروعه المعرفي اعتمد على عملية الفرز والتبويب والتجميع، حتى خرج بأصول الدرس البلاغي التقليدي، وأصبح كتابه " مفتاح العلوم" أفضل ما يمثل البلاغة القديمة في تقاليدها، والخروج عن هذه التقاليد هو الخروج عن منهجه وهو تجديد في نظر النقاد، غير أنّ هذا الاهتمام الذي يوليه بعض الباحثين إلى البلاغة السكاكية، تتلقى هذه الأخيرة نقدا لاذعا من نقاد آخرين، ثاروا على منهجها في التحليل، بتسيّدها للقاعدة، فيكون النص تابعا لها، بعد

[1] أحمد موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1969، ص 248 وما بعدها

[2] محمد جاسم جبارة: المعنى والدلالة في البلاغة العربية، دراسة تحليلية لعلم البيان، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2012، ص 13.

أن كان النص في المنهج التحليلي الفني هو المحور الذي يدور حوله كل الاهتمام البلاغي، وهو المنبع الذي تستمد منه القاعدة.

رغم أنّ السكاكي قرأ جيّدا آثار عبد القاهر الجرجاني إلا أنّه جرّد هذه الآثار من جانبها الفني التحليلي، واهتم بالجانب النظري بعد أن حوله إلى مجموعة من القواعد والقوانين الصارمة والتعريفات البالغة التعقيد والالتواء، وهو يحلل كلّ تعريف بالطريقة المنطقية الذهنية.

4–قضية تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة:

لم يقتصر النقد الذي وجه النقاد المحدثون –وهم يقدمون قراءتهم للتراث البلاغي– في مناقشة مشروع السكاكي في عموميته، بل تعدى الأمر إلى محاولة الوقوف على الأسباب التي جعلت السكاكي يوافق على تقسيم البلاغة، والنظر في فحوى التعريفات التي حملها علم البيان وعلم المعاني عند صاحب المفتاح.

يرى أحمد خليل أنّعلي عبد الرزاقأول من انتبه من المحدثين إلى ما في منهج السكاكي من تضييق لبحوث البلاغة وحصر لمسائلها يؤدي إلى الجمود، لكنّه لم يقف عند هذه النقطة لأنّ بحثه كان منصبا على البيان وتأريخه[1].

ينقد أحمد مصطفى المراغي (ت 1952م) تقسيم البلاغة بهذه الوجهة السكاكي، يقول فيما بيانه: " ولا نرى لهذا التقسيم وجها صحيحا، ولا مستندا من رواية ولا دراية"[2].

يرفضالمراغي صورة تقسيم البلاغة عند السكاكي؛ لأنّ الأقدمين لم يقسموها إلى معان وبيان وبديع، ولا يمكن أن يقوم هذا دليلا على فساد منهج السكاكي؛ لأنّ معنى هذا لم يترك

[1] أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1968 ، ص 145.
[2] أحمد مصطفى المراغي: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة الحلبي، مصر، ط1، 1950، ص 32.

الأول للآخر شيئا، وهذه قاعدة ينبغي أن لا تتخذ دليلا في البحث العلمي، وإلا ثبطت العزائم وفترت الهمم وترك الناس البحث والتتبع([1]). وقد انطلق السكاكي في تقسيمه للبلاغة العربية من نظرة فلسفية، وقسّمها هذا التقسيم الذي أوقف البلاغة عندما رسم حدودها ، وكانت قبله مفتحة الأبواب، عامة الموضوع، قابلة للتطور والزيادة؛ وانتهى أحمد مطلوب إلى القول و" كأنّ السكاكي خشي على علم البلاغة من ذلك الإطلاق الذي يجعل الحرية فيه فوضى في يوم من الأيام، فنظر إلى هذا العلم نظرة فلسفية تحدد ما بينه وبين سائر فنون الأدب من النسبة والارتباط، وتميزه عنه تمييزا واضحا، وتحصر أبوابه ومباحثه حصرا عقليا حتى لا يبقى مجال للخوف عليه من دعي لا يفقه الأدب ولا يعرف فنونه"[(2)].

السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه ونحن نستقرئ رؤية المحدثين في تقسيم السكاكي البلاغة إلى علومها المعروفة: هل يمكن اليوم الأخذ بهذا التقسيم؟.

ذهب أحمد مطلوب إلى القول إنّ" تقسيم السكاكي للبلاغة إلى علوم ثلاثة لا أساس له ولا يمكن الأخذ به في دراستها دراسة تقوم على الذوق والمقاييس الفنية، ويتضح خطأ هذا التقسيم في نواح أهمّها ما يتعلق بتعريف السكاكي للمعاني والبيان"[(3)].

لم يقف أحمد مطلوب بهذا الرأي موقف الذي يطلق الحجج دون برهنة ومناقشة جادة ومثمرة، بل حاول من خلال ذلك مناقشة السكاكي في تعريفه لعلمي المعاني والبيان.

نَقــَد مطلوب تعريف علم المعاني، ، وهو التعريف الذي يقول فيه السكاكي: " اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره،

[1] المرجع نفسه، ص 34 .

[2] أحمد مطلوب: منهج السكاكي في البلاغة، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد10، 1962، ص 283

[3] أحمد مطلوب: منهج السكاكي في البلاغة،ص 289.

ليحترز عليها عند الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة " [1].

وهذا التعريف الذي يحدد فيه السكاكي مهمة علم المعاني يمكن أن يكون ضمن عمل البياني أيضا من منظور أحمد مطلوب ، يقول فيما بيانه: " وتتبع خواص تراكيب الكلام ليس مختصا بعلم المعاني وحده وإنّما يشمل علم البيان أيضا، بل إنّ " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره من عمل البياني؛ لأنّه هو الذي يتتبع خواص تراكيب الكلام، وكل أسلوب من الأساليب له خاصة تدل على المقصود به ولا فرق بين مباحث المعاني كما حصرها، ومباحث البيان كما حصرها أيضا"[2].

يتضح من خلال ذلك أنّ إسناد السكاكي لمهمة «تتبع خواص تركيب الكلام» لعلم المعاني، ليس فارقا جوهريا بينه وبين علم البيان، وأنّ هذه المهمة هي من عمل البياني في نظر مطلوب.

معنى هذا أنّ هناك منطقة تواصل بين علمي المعاني والبيان، أو أنّ البيان شعبة من المعاني كما يقرّ بذلك السكاكي، وأنّ الفصل بينهما يكمن في زيادة الاعتبار وهو ما يجسد تفطن الرجل إلى العلاقة بين المعاني والبيان، واعتراف ضمني منه بأنّ لا حاجة إلى فصل المعاني عن البيان، لأنهما مرتبطان أشد الارتباط، ومتداخلان أعظم التداخل، ولكنّ السكاكي في نظر مطلوب لم يصرح بذلك خصوصا وأنّه هو " الذي يريد أن يجعل من البلاغة علوما شتى، وليس له بعد ذلك إلا أن يفصلهما ويلتمس التعليل لذلك"[3].

---

[1] السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ص 161 .

[2] أحمد مطلوب: المرجع السابق، ص 290 .

[3] أحمد مطلوب: منهج السكاكي في البلاغة، ص 291 .

و لم يسلم تعريف السكاكي للبيان من النقد، وهو التعريف الذي يقول فيه: " وأما علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه "[1].

والحاصل في الأمر أنّ هذا التعريف يكاد ينطبق على عمل علم المعاني أيضا، وهو ما لاحظهأحمد مطلوب، عندما يقول: " ومما يؤاخذ السكاكي عليه أن خص البيان بأداء المعنى بطرق مختلفة، فقوله " في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان" لا يخص علم البيان وحده و إنّما يخص المعاني أيضا"[2].

معنى هذا أنّ مهمة التوضيح والبيان التي أسندت إلى علم البيان من وجهة مشروع السكاكي البلاغي، يقوم بها أيضا علم المعاني، وفي نظر أحمد مطلوب أنّ تأدية المعنى بطرق مختلفة بالزيادة في الوضوح أو النقصان تكون في موضوعات المعاني المختلفة، وتعليل ذلك أنّ قولنا: " البرد قارص" أخبرنا عن أنّ البرد شديد، أو أسندنا " قارص" إلى " البرد"، فإذا أردنا أن نزيد هذا المعنى وضوحا وتأكيدا قلنا: " إنّ البرد قارص".

وأحمد مطلوب في مناقشة السكاكي في تعريفه لعلمي المعاني والبيان، وكأنّه يبحث عن علة تفرّق بين العلمين فلم يجد؛ مادام أنّ السكاكي خصّ علم المعاني بمهمة « تتبع خواص تراكيب الكلام »، وعلم البيان بـــ «أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة».

التساؤل عن تقسيم البلاغة إلى علمي المعاني والبيان طرحه أكثر من باحث في الدراسات البلاغية الحديثة؛ إذ نهج مطلوب طريق المراغي في التساؤل عن شرعية هذا التقسيم.

[1] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 263 .

[2] أحمد مطلوب: المرجع السابق، ص 297 .

يقرّ المراغي بالقول بأنّ مباحث البلاغة ليست متمايزة، ومما يبرهن ذلك في نظره بأنّ بعض المؤلفين أدخلوا" المجاز العقلي في علم البيان بينما غيرهم أدخله في علم المعاني، وكذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس والاعتراض والحشو في البديع، وأدمجه غيرهم في المعاني وجعلوه أقساما للإطناب، فلو كان هناك حدود واضحة تميز قسما من قسم لما جاء مثل هذا الاختلاط والارتباك في تفريع هذه المسائل ووضعها في المواضع المناسبة لها"[1]. وهو كلام يفهم منه أنّ الاختلاف الحاصل في وضع الفنون البلاغية بين علم المعاني والبيان والبديع عند البلاغيين ناتج عن غياب تمييّز حقيقي بين هذه العلوم الثلاثة، وأنّ التقسيم بهذه الشاكلة يستند إلى التوهم والنظرة الفلسفية لا غير.

وتقسيم البلاغة وفق هذا الشكل أضرّ بالعلم، ويرى محمد رمضان الجربي بأنّ السكاكي بتقسيمه البلاغة إلى هذه الأقسام الفرعية(علم المعاني، والبيان، والبديع) مزّق وحدة البلاغة، ونظر إلى البديع نظرة زخرفية شكلية عرضية، بسبب منهجه المنطقي الفلسفي الذي لا يتفق والمنهج الأدبي النقدي الذي رسمه عبد القاهر الجرجاني([2]).

ومن القضايا التي أثيرت في حقّ البلاغة قصر مسألة تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره على علم المعاني، والحقّ، في نظر الباحثين " أنّ ذلك شامل لفنون البلاغة جميعا، حتى أنّ فنون البديع ينبغي أن تتحرى المطابقة فيها بين الأساليب ومقتضى الحال، لأنّه لا قيمة لإيراد اللفظ أو تحسينه إلا إذا كان في وسع القارئ أو السامع فهم معناه وإدراك ما فيه من الصنعة التي قصد صاحبها إلى إبرازها وتنبيه السامع إلى قدرته على البيان والتصرف في ضروب الكشف والإبانة " [(3)].

---

[1] أحمد مصطفى المراغي: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص 35.

[2] محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقيّة دراسة تحليلية لعلم البيان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009 . ص 36 .

[3] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 256 .

يستفاد ممّا تقدّم بأنّ المنهج الذي سلكه أبو يعقوب يوسف السكاكي في مفتاحه لم يقبل به الباحثون في العصر الحديث، وأنّ المنهج التقنيني المنطقي كان عالة على الدراسات البلاغية، بعد أن كان النّص في المنهج التحليلي الفني هو المحور الذي يدور حوله كل الاهتمام البلاغي؛ فهو المنبع الذي تستمد منه القاعدة لكي تعود إليه من جديد لإضاءاته وإبراز جوانب الجمال الفني فيه،و انعكس الوضع فأصبح النّص تابعا ذليلا للقاعدة- في ظلّ المنهج التقنيني- وصار آخر ما يشغل بال المؤلف .

تبنى بعض الباحثين تقسيم البلاغة إلى هذه الأقسام المعروفة اليوم ، ورأوا أنّ السكاكي كانت له دوافعه وأسبابه الخاصة؛ إذيدافع أحمد سعد عن السكاكي، ويذهب إلى القول بأنّ الغاية التعليمية كانت الدافع وراء تقسيم البلاغة بهذه الصورة، يقول فيما بيانه:" لم تكن غاية السكاكي إذا من وراء ذلك إلا تقسيم العلم؛ ليسهل بحث عناصره وتحصيل مسائله في مقام التعليم وتربية الذوق." [1].

يردّ أحمد سعد عن الجربي في قضية أنّ السكاكي مزّق وحدة البلاغة بقوله " وهذا لا يعني بوجه من الوجوه، حتى بادي النظر أنّه كان يرمي إلى تمزيق أوصال العمل الأدبي، فندرسه طورا من حيث تراكيبه، ونحلّله طورا من حيث صوره البيانية، وطورا ثالثا من حيث مناحي البديع فيه، فذاك نظر قاصر يتنافى مع الواقع التعبيري في النصوص العالمية"[2].

اتجهت بعض الأبحاث إلى إعفاء السكاكي من المسؤولية في جمود الدرس البلاغي، وترى أنّ السكاكي ليس هو المسؤول عن جفاف هذه الدراسة التي نتجت عن جفاف الكتاب نفسه، ولكنّ الواقع أنّ البلاغة والنقد الأدبي لا بدّ أن يمرا في هذه الأطوار دائما ببداية فطرية مبعثرة، ثم

[1] أحمد سعد محمد: نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص 69.

[2] محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية ص 54 .

دراسة حيّة قويّة مثمرة مؤثرة، وأخيرا خلاصة وتقنين وتعقيد جاف يؤدي بحياة النظرية أو الفكرة أو الناحية المدروسة، إنّ هذه سنّة الحياة في الأبحاث الأدبية والفنية .

وإذا كانت البلاغة السكاكية وفق ما أشرنا إليه في مستهل هذا الفصل ممتدة إلى مرحلة الشروح والتلخيصات فإنّ منزلتها عند المحدثين من النقاد تكمن في عدم اعتبارها ذات قيمة. وهو ما يدفعنا إلى العودة إلى هذه المصنفات بغية معرفة الأسباب التي دفعت العلماء إلى تأليفها.

ويكون أول ما ألّف بعد المفتاح كتاب « تلخيص المفتاح » للقزويني(ت 729هـــ)، الذي كان همه تلخيص ما جاء في كتاب السكاكي، مثلما يؤكد في مقدمة الكتاب، يقول فيما بيانه: " وكان القسم الثالث من " مفتاح العلوم" الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا؛ لكونه أحسنها ترتيبا، وأتمّها تحريرا، وأكثرها للأصول جمعا، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا للاختصار مفتقرا إلى الإيضاح والتجريد"[1]

والملاحظ أنّ المهمة التي فتحها القزويني أمام العلماء تعد جديرة بالاهتمام؛ لكونها تهدف إلى توضيح وبيان المادة المعرفية التي حملها كتاب السكاكي.

ولا مناص في أنّ طابع المدونات العلمية البلاغية التي ظهرت بعد السكاكي لم تدُر في فلكه فقط، بل حمل العلماء همّ التفكير البلاغي، إذ وجدنا أنّ بناء المنوال البلاغي لم يقتصر على المفتاح، بل رجع بلاغيو هذه المرحلة إلى كتب عبد القاهر، و أبي هلال العسكري، وهذا ما نلمسه في تفكير السَبكي (ت773 هـــ)، الذي يقول: " واعلم أنّني لم أضع هذا الشرح

[1] الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009،ص5 .

حتى استعنت عليه بنحو من ثلاثمائة تصنيف، وأنّه تضمن الخلاصة من مائة تصنيف في هذا العلم، منها ما وقفت عليه، ومنها ما وقفت على كلام من وقف عليه"[1].

ورغم هذه الأسباب التي كانت وراء التأليف بعد المفتاح، إلاّ أنّنا نجد أصواتا تعالت ونقصت من قيمة ما ألّف ضمن مدرسة المتأخرين البلاغية.

يذهب عز الدين المجدوب إلى الاعـــتراض على الاستشهـــــاد بالحواشي والاخـــــتصارات، ذلك أنّـــــه " من ناحية منهجية لا يصحّ أن نظرية ما انطلاقا من الكتب التعـــــليمية التي وضعت لشرحها لمـــا تؤول إليه غاية التعليم من اختصار أو تقريب قد يُفيد المبتدئين و لا يصحّ من وجهة نظريّة خالصة عند من يريد التحقيق "[2].

الأبعد من هذه الملاحظات الانطباعية، يقرّ محقق كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي بتوقف البحوث البلاغية بعد صاحب المفتاح، و رأى أنّها " اقتصرت من بعده على عمل التلخيصات والاختصارات " [3] . فهو – أي محقق الكتاب – قد ميّز تابعي السكاكي فصنّفهم إلى كوكبة من العلماء ويقصد بهم الخطيب القزويني (ت 739 هـــ) وسعد الدين التفتازاني (ت . 771 هـــ) وإلى أصحاب الأعمال التي اقتصرت " على إعادة الاختصار ومن ثمّ الشرح من جديد وكلّها تدور حول كتب الخطيب " [4] .

---

[1] بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 2003، ج1، ص 30.

[2] عز الدين المجدوب: المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، تونس، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامّي، ط1، 1998، ص 133 .

[3] السكاكي: مفتاح العلوم، مقدمة المحقّق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص . د

[4] المصدر نفسه، ص. د .

مترلة الحواشي والشروح البلاغية عند بدوي طبانة عديمة الفائدة، ويراها أنّها " لم تقدّم للبيان أيّة فائدة بل وقفت به من حيث انتهى السكاكي "([1]) .

علّل طبانة حكمه الصادر بشأن هذه المؤلفات البلاغية بتقرير حال هؤلاء الملخصين والشرّاح إذ يبدو أنّ أكثرهم " كانوا من طائفة المعلّمين، فوقف نشاطهم عند التدريس، وكان أسلوبهم التقرير الذي لا يعدو ذكر الكلمة أو العبارة من الأصل ثمّ اتباعها بالشرح وتبيين المراد منها ولذلك لا تعدّ هذه الكتب الكثيرة مؤلفات بالمعنى الصحيح للتأليف الذي تجد فيه الفكرة الخاصّة، أو المنهج المختلف عن مناهج الغير "([2])

والحقّ إنّ القراءة السطحية وراء ظهور مثل هذه الملاحظات في حقّ أصحاب الشروح والتلخصيات، بل إنّ الملاحظة التي أبداها بدوي طبانة تلقفها الباحثون دون تمحيص ودراسة،وسنرى بعد هذه الصفحات كيف أنّ تغيير منهج القراءة يسهم في إبراز المكانة الحقيقية لمؤلفات البلاغيين في هذه المرحلة التي استقر فيها الدرس البلاغي.

لعل عبد العزيز عتيق قد واصل من حيث انتهى طبانة – اعتبار السكاكي مترلة بين مدرسة عبد القاهر والمتأخرين " الذين سلكوا بالبلاغة العربية مسلك العلوم النظريّة كما يفسّرون المفردات اللّغوية "[(3)] .

إذا كان الولع في الاختصار والإيجاز صفة سلبية عند المتأخرين، أليس من المنطقي أن يكون ذلك من منبت أصله ونقصد السكاكي وقد أُولع بالتقنين ، لقد خُيّل إليه .بمنهاجه المنظّم

[1] بدوي طبانة: البيان العربي، 272 .

[2] المرجع نفسه، ص 272 .

[3] عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1970، ص 301 .

المقنّن وبأسلوبه المنطقيّ الذي حجب جوهر البلاغة في طيّاته أنّه يُصلح من شأنها، فإذا به من حيث لا يدري يسئ إليها([1]) .

يبدو لنا من خلال رؤية عبد العزيز عتيق أنّه حاول أن يرفع مسؤولية " تحجر " البلاغة عن أصحاب الشروح و التلخيصات، و يعود إلى رأس المشكلة، ويرى أنّ صورة السكاكي بالنسبة إلى المتأخرين قد رسّخ البلاغة ووطّد دعائمها، بحيث يكون الخروج على منواله خروجا عن البلاغة.

يستنتج عبد العزيز عتيق، ويقول : " فقد أصّل السكاكي منهاجه على أسس منطقية حوّلت البلاغة من فنّ إلى علم له قواعده ونظريّاته التي نجحت في تكوين طبقات من البلاغيين فهيهات أن تنجح في تكوين البلغاء "[(2)] .

وعليه، فالقول بأنّ أصحاب الشروح والتلخيصات اقتصر اطّلاعهم على السكاكي والقزويني، مكتفين بالشذرات الترة المنقولة عن القدماء، أمر غير صحيح؛ لأنّهم عادوا إلى منابع البلاغة .ويفهم كذلك أنّ مفتاح السكاكي كان محلّ طعن من قبل البلاغيين المحدثين، فهو المسؤول عن جمود البلاغة من جهة، وكذا عن طابع التلخيص والإيجاز الذي اتّسمت بها المؤلفات البلاغية بعده .

[1] المرجع نفسه، ص 301 .

[2] نفسه، ص 302 .

المبحث الثاني:

موقف«محمد عبد المطلب» من البلاغة

لاحظنا في المبحث الأول من هذا الفصل أنّ البلاغة السكاكية كانت تحت نقد المحدثين، وأنّ أصواتا تعالت لتظهر عيوب هذه المرحلة التاريخية من تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب، سواء ما حواه كتاب « مفتاح العلوم»، أو الكتب التي اتّبعت نهج السكاكي في التأليف البلاغي.

لاشكّ أنّ الموقف الذي اتّخذه المحدثون اتّجاه البلاغة السكاكية دفع آخرين إلى الاستغناء عنها، وهو ما يُفهم من قول فايز الداية: " نحن مع الجاحظ في آرائه وابن المعتز«وبديعه» وابن طباطبا «وعياره» والآمدي «في موازنته»، والقاضي الجرجاني في «وساطته» وأصحاب الشروح الشعرية: ابن الجني وابن الأنباري وابن النحاس والتبريزي والمرزوقي في شروحهم للشعر الجاهلي والعباسي، ومن كان يسير في هذا الركب، أمّا من اتخذوا البلاغة رسما شكليا يحتمل التقسيمات والتفريع، وتبرز فيه البراعة التي تميّز الأصناف والمتقابلات فهو يدرس عندنا تاريخيا دون أن نحمل عنه ما جاء به " ([1]).

فهل يكون السكاكي ومفتاحه سببا في جمود البحث البلاغي؟ أم أنّ هناك أسبابا أخرى هي التي دفعت الدرس البلاغي إلى هذه الحالة. ومن جهة أخرى: هل هناك رؤية أخرى تنظر إلى البلاغة السكاكية بمعيار آخر؟ ، وما موقف محمد عبد المطلب من البلاغة العربية؟ .

المطّلع على الدراسات البلاغية التي أُلفت في العصر الحديث، يجد أنّ الموقف اتجاه البلاغة العربية، سلك طريقين، وإذا كان الموقف اتجه إلى نعت هذه البلاغة، وعيّب القول فيها في الكثير من القضايا فإنّ موقفا آخر، حاول أن يبرز رؤيته من خلال الانتصار لها، والدفاع عنها.

[1] فايز الداية: جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، ط2، 1996، ص 14 .

يحاول هذا المبحث أن يظهر موقف البلاغيّ محمد عبد المطلب من البلاغة العربية، على ضوء ما ورد في مدونة هذا البحـــث، ونقصد كتابــَه: « **البلاغة العربية، قراءة أخرى** » ؛بحثا عن أسئلة مفادها: هل سلك عبد المطلب طريق أقرانه في قراءة البحث البلاغي، أم كانت له قراءة أخرى،كان فيها مدافعا ، ومنتّقدا لآراء المحدثين الذين حاولوا أن يقلّلوا من قيمة بلاغةالمدرسة السكاكية، وما استوى عليه الدرس في المتون والحواشي، بعدما اتّهم باحثون إيّاها بعديد النقائص والعيوب، وموجّهين انتقادات حادّة، وكأنّ الإقرار بجمود البحث البلاغي في صورته المعروفة، سببا في أن يكون ذلك منبها ودافعا قوّيا في استقبال النظريات الغربية.

لتوضيح رؤية محمد عبد المطلب وموقفه من البلاغة العربية خصوصا في مرحلتها السكاكية، يمكننا أن نتابع ذلك بالشكل التالي:

1-البلاغة وعلاقتها بالعلوم الأخرى (المنطق والفلسفة):

شغلت قضية تحوّل البلاغة إلى علم، له قواعده وحدوده، اهتمام من حمل لواء حركة إحياء التراث البلاغي، ولا نقرأ كتابا منذ مرحلة أحمد الشايب وأمين الخولي إلا وتشغل هذه القضية فكر الدارسين، منتقدين هذا الانتقال من دائرة الذوق والجمال إلى دائرة العلميّة. يقول محمد عبد المطلب: " فقد تصوّر شيوخنا أنّ العلمية كانت أخطر المزالق التي سقطت فيها البلاغة، وتبرير ذلك أنّها دراسة ذوقيّة جماليّة، فتحوّلها إلى العلميّة المنهجيّة فيه قضاء على معظم جماليّاها "([1]).

مأخذ عبد المطلب يتماشى وما تتجه إليه الأبحاث اللسانية التي جاءت خدمة للأدب، وبحثا عن علميته، من خلال تبني الدراسة العلمية في تقويم الإبداع ونقده. ومن ثمّ فإنّ

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1997، ص 2 .

تجميع البحوث البلاغية بالشكل الذي وضعه السكاكي نهج يحمد له الرجل؛ إذ " كانت البلاغة قبل السكاكي متفرقة في متون مؤلفات مختلفة لا تتّبع منهجا واضحا ومحدّدا بل تعتمد على المذهب الفلسفي أو الأدبي لأصحابها، غير شاملة للفنون البلاغية كافة، فالملاحظ أنّ المؤلفين قبل السكاكي كانت تختلط عندهم فنون البيان بالبديع والمعاني "[1].

ومن هذا المنطلق يعتبر عبد المطلب تقليل قيمة البلاغة السكاكيةهجوما ظالما ؛ لأنّ شرف البلاغة أن تكون علما، من أن تكون بحوثا مبعثرة، لا تلتزم بخطّة، أو منهج يضبط حركتها. قائلا:" فلا نتصور أن تعاب دراسة ما بأنّها أخذت ثوبا علميّا منظّما، بل الأوفق أن تكون العلميّة صفة مدح لا ذم، وهو ما تصبو إليه أيّ دراسة قديمة أو جديدة "[2].

والحقّ إنّ دخول البلاغة العربية دائرة العلميّة على يدّ السكاكي في كتابه « مفتاح العلوم» لا يعتبر عيبا أو قصورا في سبيل تطوّر البحث البلاغي، خاصة وأنّ محلّ الانتقاد يعدّ غاية اليوم في الدراسات الحديثة، والمناهج الغربية التي تجتهد لتؤسس منهجا علميا يحتكم إليه في دراسة النصوص وتذوقّ جماليّاتها.

يرى عبد المطلب أنّ المقارنة بين حاجة المجتمع الغربي منذ كتاب دي سوسير وما وصل إليه الفكر البلاغي في مرحلته السكاكية، اعتزاز " بالجهد الّذي بذله القدماء في تحويل البلاغة

[1] محمد جاسم جبارة: المعنى والدلالة في البلاغة العربية، دراسة تحليلية لعلم البيان، دار مجدلاوي، الأردن،ط1، 2012، ص13.

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 2 .

إلى علم مكتمل الأصول والفروع، فالعلم ليس إلا منهجا في التّفكير، وكل علم يستخدم المنهج الّذي يتوافق مع خواصّه الذّاتيّة" [1].

وعليه، فمحمد عبد المطلب ينتصر للجهد البلاغي السكاكي، ويرى قيامه على أساس من الخبرة الدّقيقة والمعرفة الصحيحة بكل مفرداته ، فهو محكوم بمجموعة من القوانين التحوّلية التي كشفها البلاغيّون من ممارستهم الفعليّة للخطاب الأدبيّ عموما والخطاب القرآني على وجه الخصوص.

ويرجع محمد عبد المطلب سبب تحوّل البلاغة العربية إلى علم إلى أسلوب التفكير، ومنهجيّة البحث، ودقّة رصد الظّواهر، والكشف عن أبعادها التي تفسّرها[2].

والحقّ إنّ السبب من وراء تحوّل المعرفة البلاغية إلى العلميّة عند السكاكي، مردّه إلى الإلحاح الذي فرضه أهل زمنه في تصنيف مختصر يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كلّ ذكيّ، فقدّم مصنفه وضمّنه كلّ المطالب العلميّة خلال محاور ثلاثة/: محور الصرف، ومحور النّحو، و محور المعاني والبيان[3].

ومن هنا تنبه سعد مصلوح إلى التفات السكاكي إلى الفرق بين النحو والبلاغة في رؤيته العامة للعلوم التي تألفت منها منظومته التي أطلق عليها علم الأدب، فيذهب أنّ علم الصرف يطلب النحو، والنحو علم مداره على دراسة التراكيب، وبهذا فإنّ علم النحو يطلب علم المعاني، بحكم أنّ علم المعاني هو نوع من النحو المقامي على مستوى الكلام الأدبي[4].ومن

---

[1] المرجع نفسه، ص 2 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 4 .

[3] السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ص 7

[4] سعد مصلوح: مشكلة العلاقة بين البلاغة العربية واللسانيات الأسلوبية، بحث منشور ضمن المجلد، الآخر، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، الملجد العاشر، 1988، ص845، ما بعدها.

ثمّ فإنّ علميّة البلاغة العربية في نظر عبد المطلب متمثلة في مباحثها، واتّصالها بعلوم أخرى كعلم اللّغة، وعلم النّحو والصرف، بالإضافة إلى اتّصالها بالممارسات النّقديّة القديمة للشعر والنثر، كما تتأكد علميّة البلاغة باتّساقها الجوهريّ مع علم المنطق[1].

اتّصال البلاغة بهذه العلوم وغيرها مهمّ في التأسيس المعرفي للدرس البلاغي، في حين أنّ شوقي ضيف يرجع سبب الجمود في البلاغة إلى امتزاجها بمباحث منطقية وفلسفية وكلامية وأصولية[2].غير أنّ انتقاد العلاقة بين البلاغة و علم الأصول كانت محلّ بحث عند الدارسين، ورأوا أنّ " علماء الأصول هم أفضل من درس دلالة النّص ووضعوا أساسا في فهم النصّ القرآني خدمت بشكل كبير الدرس البلاغي والنقدي، كما أنّنا نجد علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة هم أوّل من وضعوا تعريفا للبلاغة "[3].

اتّساق البلاغة بهذه العلوم المختلفة مفيد عند محمد عبد المطلب، بحكم أنّها " تستهدف مع الجمال إنتاج (الصّحة) و (السّلامة)، ومن ثمّ امتدّت مباحثها من منطقة الصّوت المفرد، إلى الكلمة المفردة، إلى التّركيب المفيد، إلى التراكيب المتّصلة أو المنفصلة"[4].أمّا فيما يخص قضية اتجاه البلاغة العربية إلى العلميّة فكانت الدافع وراء أمين الخولي للبحث عن صورة جديدة للدرس البلاغي، لكي يجعل هذه البلاغة فنّا، وألّف في سياق هذه الفكرة كتابه المشهور « فنّ القول»، لكي يصرّ فيه أن تظلّ البلاغة فنّا.[5] .وهذه القضية كانت محلّ خلاف بين الدارسين المحدثين.

---

[1] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 8.

[2] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط8، (د.ت)، ص374.

[3] جاسم جبارة: المعنى والدلالة في البلاغة العربية، ص14 وما بعدها .

[4] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى،ص 3

[5] أمين الخولي: فنّ القول، دار الفكر العربي، القاهرة،1947، ص 74 .

وعليه، فإنّ القارئ لمدونة محمد عبد المطلب يجد أنّ صاحبها يخالف الخولي من جهة ويتفق معه من جهة أخرى، وهو ما شكّل له رأياجمع فيه بين فنّية البلاغة وعلميّتها، ونلمس ذلك في قوله: " لا تناقض بين الفنّية والعلميّة؛ لأنّ البلاغة (فنّ الصّنعة)، وكلّ ما يأتي من وراء الصّنعة لا بدّ أن يحتكم إلى تدبير مسبق، على معنى أنّ العفوية، أو العشوائيّة لا يحتملها هذا المجال، بل إنّ التّعقّل والمنهجيّة يكونان صاحبي السيّادة المطلقة"[1].

ولهذا تكون البلاغة بحاجة إلى منهج ؛بحكم ارتباطها بظاهرة إنسانية، تتمثّل في الكلام، ممّا يجعل البحث فيها يقتضي بالضرورة وجود قواعد إجرائية تنظيمية، تعمل على تفسير هذا الحدث الكلامي، الذي يحدثه المتكلّم .

هذه القواعد الإجرائية ضرورية في البحث لتحقيق علميّة البلاغة، وهي علميّة فنيّة على صعيد واحد، والسبب في ذلك أنّ التقاليد التراثية تفرض توحد البلاغة والنّقد، الذي سمح بتكوين أداة تحليليّة تمتلك القدرة على التعامل مع الخطاب الأدبيّ بكافّة مستوياته[2].

يرى محمد عبد المطلب أنّ الوصول إلى فنيّة البلاغة لا ينبغي أن يأتي هكذا، وإنّما من امتزاج النّقد بالبلاغة، وتكون مهمة الأول عملية تخلق العمل الأدبيّ لتميّز فيه الجودة والرّداءة، ويشتغل الثاني على رصد أشكال النصوص والوقوف عند ما يتّصل بالخروج على المواضعة اللغويّة في مباحث البيان والمعاني والبديع[3].

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص4 .

[2] المرجع نفسه، ص 5

[3] نفسه، ص 5 .

أثار النقاد المحدثون قضية أخرى تتصل بالعلمية، ومفادها أنّ البلاغة العربية افتقدت روح التصنيف العلميّ السديد، بحكم أنّها أغفلت التميّيز بين أجناس القول المختلفة. ومعنى هذا الكلام أنّ البلاغيين لم يؤسسوا لبلاغة الشعر ولبلاغة النثر.

هذه القضية تنبّه لها محمد عبد المطلب، حاول في كتابه أن يظهر موقفه منها؛ إذ يرى أنّ الدرس البلاغي بدأ في متابعة أجناس الكلام من شعر ونثر، عندما حدّد السكاكي منطقة علمه، ووضع الفروق بين المستوى البلاغي والمستوى المألوف[1].

الحقّ إنّ تمييز بلاغة الشعر من النثر ابتدأت مبكرا في التراث العربي،وظهر ذلك جليا في الرسالة التي وجهت إلى المبرد من بعض أولي الأمر يسألعن رأيه في " أي البلاغتين أبلغ: أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع؟"[1]

كان الباحثون في السنوات الأخيرة قد أثاروا بلاغة الأجناس المختلفة، وترى مؤلفاتهم تحمل عناوين مختلفة، منها بلاغة الرواية، و بلاغة السرد، وبلاغة المسرحية. ويعتقد الباحث أنّ قضية البلاغات المختلفة في الأجناس النثرية هي التي كانت محلّ انتقاد، وغيابها في التراث البلاغي العربي. ولو أنّ ظواهر النثر التي تمّت دراستها تنتمي إلى أشكال عصرها كالخطبة والرسالة.

2 – (التراث / الحداثة):

تظهر ثنائية (التراث / الحداثة) في أعمال محمد عبد المطلب بشكل جليّ، وهو الذي قام طوال حياته العلمية بإيجاد جسور التواصل بينهما، من خلال عديد المؤلفات والبحوث العلمية، التي حاول فيها إبراز الجهد البلاغي القديم وقيمته الحضارية. وفي المدونة التي بين أيدينا

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص6 .

« **البلاغة العربية قراءة أخرى**»، نقرأ عديد القضايا البلاغية التي كانت محلّ خلاف بين الدارسين المحدثين، في وسط ظهرت فيه البلاغة العربية في ثلاث اتجاهات،اتّجاه يتعصّب للقديم، و آخر يتنكّر له وينبهر بما جاءت به الحداثة و البلاغة الجديدة على سبيل التّحديد، وثالث توسّط الموقفين، وحاول أن يزاوج بين كلّ ما هو قديم وحداثيّ.

الملاحظ من خلال قراءتي لأعمال عبد المطلب أنّ الرجل يمكن تصنيفه ضمن التيار الثالث، الذي سخّر حياته لخدمته، وظهر ذلك جليّا في عناوين مؤلفاته العلمية؛ لأنّه لا يغفل دور الحداثة في العناية بالتراث البلاغي، يقول فيما بيانه: " واللافت أنّ ازدياد العناية بالبلاغة كان بمنبهات طارئة، نتيجة لاتّصالنا بالتّيارات النّقدية الوافدة، وكأنّنا نحتاج إلى من ينبّهنا- دائما – إلى الإفادة من تراثنا"[2].

في هذا القول تصريح لدواعي قراءة التراث بشكل عام، والتراث البلاغي بشكل خاص، وهو الدافع الأساسي وراء مدونة هذا البحث، التي قدّم فيها عبد المطلب قراءته الجديدة للمدونة البلاغية القديمة، خاصة في مرحلة المدرسة السكّاكيّة. ومن ثمّ فإنّ الغاية من ذلك أنّ العودة إلى التراث اللغوي، تسمح بالوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من آراء متطورة،وهذا من الأمور الهامة، التي من شأنها أن تلقى على المواضع العديدة، التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغويّ[3] .

مدارسة عبد المطلب للتيارات النقدية الحداثية بما فيها اللسانيات والأسلوبية لم تكن طريقا لنكران الذات العربية فيما خلفتّه من مدونات في مختلف العلوم اللغوية، وإنّما كان ذلك

---

[1] المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: البلاغة، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1985، ص 3 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 7.

[3] البهنساوي، حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغويّ عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994، ص2

سبيلا لإبراز قيمة هذا التراث. والحاصل في الموضوع أنّ التراث لم يعد " مجرد مدونات في حقولها المعرفية المتعددة وإنما إضاءات مستمرة تحمل من الديمومة والتفاعل قدرا كبيرا يمد المعرفة الإنسانية "[1]

اشتغل محمد عبد المطلب في مدونته على إظهار الجانب الحضاري في البلاغة العربية، ومدى حيويتها في مقارعة أحدث المناهج النقدية التي أظهرتها الأبحاث اللسانية؛ إذ نقرأ له في سياق ذلك عديد النصوص التي يبرز فيها خصوصية الدراسة اللغوية عند العرب. يقول فيما بيانه: " فإذا كانت التّيارات الجديدة قد شغلت نفسها بتحليل أدوات اللّغة بكلّ طاقتها التّأثيريّة والإقناعية، وبكلّ مهامها الانفعاليّة، فإنّ المهمّة نفسها قد شغلت البلاغة القديمة، وقد أفاد منها- بلا شك- الخطاب الأدبي التّراثي، وسوف يفيد – بلا شك أيضا- الخطاب الأدبي الحديث "[2].

أعاب محمد عبد المطلب المحاولات التي تسعىلتجديد البلاغة العربية، وتعمل على هدم البناء التراثي، وهي تلك التصّورات التي عملت على خلق بلاغة جديدة بمسمياتها ومصطلحاتها، وهو ما يتناقض مع رؤيته لقضية التجديد، التي عنده ليست " إعادة البلاغة بكل مصطلحاتها، وبكل تفريعاتها. لتحلّ محلّ المصطلح النّقدي الجديد"[3].

وفي هذا الكلام إشارات واضحة للجهود التي سبقته، وحاولت تجديد البلاغة من منطلق تقويم البلاغة السكاكية، والإدعاء بأنّها غير صالحة لهذا العصر، بدلا من تثمين ما احتوته من أفكار وآراء تحقّق الدارسون أنّها تضاهي الأبحاث اللسانية في مراحل تطورها المختلفة.و معنى هذا أنّ البلاغة القديمة تشارك التّوجهات الشّكلية والبنيويّة، والسميوطيقيّة في اهتمامها

[1] إيهاب مجيد جراد: القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، دار غيداء، الأردن، ط1، 2014، ص 211.
[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص7 .
[3] المرجع نفسه، ص8 .

بالأدوات الشّكلية اللغويّة، ثم يضاف إلى ذلك اهتمامها بالكيفية التي يمكن لهذه الأدوات أن تؤدي بها مهمتها داخل الخطاب الأدبي.

تبرز قيمة البلاغة العربية عند عبد المطلب من خلال الحرص على القواسم المشتركة بينها وبين عديد المناهج الغربية الحديثة، بين البلاغة والأسلوبية، وبينها وبين الشّعريّة، وينتقد الذين أبدلوا البلاغة بما هو حداثيّ، من منطلق عجزها، والصواب في نظره أنّ " الدّارس المنصف يدرك صلاحية البلاغة القديمة، للأسلبة الحديثة، فالعلاقة بينهما وطيدة (...) وهذا الذي يصدق على صلة البلاغة بالأسلوبيّة، يصدق على صلتها أيضا بالّشعريّة "[1].

ودفع بيان ذلك هدى صلاح رشيد إلى تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، وخلصت إلى أنّ النضج الفكري المبكر عند العرب كان واضحا ولاسيما في الأسس التي اعتمدها والتي جعلته يلتقي من خلالها مع أحدث ما وصل إليه الدرس اللساني الغربي، وأنّ الأفكار التي طرحها دي سوسير جديدة على الفكر العربي، فقد كان الفكر اللساني البنيوي معروفا عند العرب والهنود بشهادات واعترافات من قبل العلماء الغرب المنصفين، وكان معظم ما طرحه دي سوسير متناثرا في الفكر اللساني العربي القديم[2].

تكمن الإفادة من المناهج الحداثيّة عند محمد عبد المطلب في تقديم نظام ذي أصول عربيّة، صالح للتعامل مع الخطاب الأدبي العربيّ، ومنهج تقديم هـــــذه الصلاحية يكون من خـــلال تـــــوظيف " الأدوات البلاغية ما يجده قابلا للتّوظيف، ويطوّر ما يحتاج إلى تطوير،

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص8 .

[2] هدي صلاح رشيد: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات ضفاف (بيروت)، دار الأمان (الرباط)، ومنشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2015، ص416.

ويعدّل ما يحتاج إلى تعديل، ثمّ فوق هذا وذاك يستحدث أدوات وافدة بعد أن يطوّعها لروح هذه البلاغة "[1].

يتّخذ محمد عبد المطلب موقفا معاديا للذين يلتفتون للحداثة من أجل هدم البلاغة العربية، والانقطاع عن القديم. وهو يرفض تجاوز التقليد التراثي في تحليل الصورة، في إشارة لبعض البلاغيين المحدثين الذين قدّموا تصورا في تحليل التركيب الاستعاري بنظرة جديدة تخالف الأعراف البلاغية المتوارثة، أو أنّ تصورات أخرى اختزلت الفنون البلاغية وخرجت عن التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة كما وضعه السكاكي. إذ تراه في المدونة التي بين أيدينا يفصّل القول فيما يدعيه هؤلاء لتجاوز التراث البلاغي بشموليته، خاصة تلك الأصوات التي عملت على إضافة التركيب الاستعاري إلى دائرة الحقيقة، عندما يرون مقولة المبدع: (تكلّم المقعد) على أنّ (المقعد متكلّم) ، ويطالب عبد المطلب هؤلاء بالاحتفاظ بالإجراء البلاغي الذي يحفظ للتركيب أدبيته، وتجاوزه للتعبير المألوف([2]).

يرى عبد المطلب أنّ بعض الحداثيّين يتناسون الجانب المحسوس في إدراك الصورة البلاغية، ويخلصون للإدراك العقلي فيها، ويعتبر هذه العناية بما هو عقلي يصلح للمتلقيّ العادي عند تقبّل الصّورة سريعا، في حين أنّ مهمّة المحلّل البلاغي معني بمجموع العلميّات الإنتاجية للكشف عن فاعليتها الإبداعية في الوصول إلى تلك النهاية([3]) .

إدراك الصورة عن طريق الحواس من منظور محمد عبد المطلب يتطلبردّ الصورة إلى مصدرها التكويني في الواقع، وهو ما تأسّس عليه الجهد البلاغي القديم عندما قام البلاغيون في

[1] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 8 وما بعدها .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 10

[3] المرجع نفسه، ص 11 .

كلّ إجراءاتهم التحليليّة التي تزدوج فيها الحركة بين مستوى السطح ومستوى العمق، وهو جوهر عمله في إظهار هذه الحركة من خلال المحاولة التجديدية التي هي موضوع هذا البحث.

يَعتبر عبد المطلب أنّ رؤية المحدثين في تحليل الصورة بالنظر في الجانب الذهني منها شيء خطير، يجعل الإدراك فيها وسيلة للحكم بالقيمة، ودور الصورة في مثل هذا التحليل عنده لا يتجاوز التّعبير بطريق غير مباشر، وما على المتلقّي إلا التأمل في الصورة التي تقدّم له ليصل إلى المعنى وصولا مريحا([1]).

اعتماد القراءة الحداثية على التعامل الذهني في تحليل الصورة يتنافى مع الوعي التراثي. ويدلّل على ذلك عبد المطلب بآراء عبد القاهر الجرجاني في أصول الجودة الكلاميّة، ويراها في التّشبيه والتّمثيل والاستعارة([2]). ومن ثمّ فهو ينحو إلى رفض الإدراك المتعجّل في تحليلها، الذي يكون فيه المحلّل مقتصرا على طلب الحقائق، والبحث عن الدقائق، وعدم الوصول إلى اللطائف، ويرضى فيه على الظاهر الصيّاغي المباشر، وهو الاتجاه الذي تأخذ به بعض الدراسات التي تسمّي نفسها بالحداثية. ([3])

رأي عبد المطلب من رأي عبد القاهر في إدراك الصورة من جانب عقلي يرتكز على أولويّات الإدراك الحسيّ، وهو ما يشير إلى قيمة البلاغة القديمة عند عبد المطلب، الذي لا يحاول أن يتجاوزها، بل يستدّل على قيمة نصوص البلاغة القديمة، وأهميتها في محاورة عديد القضايا التي تجدّد طرحها في العصر الحديث والمعاصر.

[1] نفسه، ص 12

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

إبراز دور النصوص البلاغية القديمة عند محمد عبد المطلب هدفه " الكشف عن بعض المفارقات الحداثيّة التي تستهدف هدم البلاغة القديمة، بهدم إجراءاتها في تحليل الصورة، وهو ظلم يجب أن يتصدّى له من قرأ التّراث البلاغي"([1]). وهو الاتجاه الذي رأى أصحابه أنّ البلاغة القديمة لا تقدم تحليلا دقيقا في فهم الصورة الاستعارية، فحاولوا السعي إلى وصل القيم البلاغية التراثية بحاضر النصّ الأدبي، بكل ما طرأ على أبنيته وعناصر تشكيله الجمالي من تطور، واستفادوا في ذلك من الدراسات الأسلوبية والنقدية الحديثة.

ويعد شفيع السيد من الباحثين الذي دعوا إلى تجاوز النظرة التراثية في تحليل الصورة ؛ إذ يذهب إلى القول بأنّ ربط الاستعارة بالتشبيه أمر لا يستقيم في كلّ النماذج، باعتبار أنّ العلاقة التشبيهية بصورتها المألوفة لا تتحقق في الكثير من الأمثلة([2])

النظر إلى البلاغة القديمة بهذه الطريقة- التي رأينا جانبا منها عند شفيع السيد- يرفضها محمد عبد المطلب، ويرى أنّ إنصاف البلاغة القديمة يتطلب التقيّد بخصائص تنمّ عن " وعي منفتح، وألمّ بمفرداته عن بصيرة محايدة، دون أن ينغلق على ما قرأه، ويظنّ أنّ فيه كلّ ما يحتاجه، ولكن يأخذ منه ما يجد فيه صلاحيّة للحلول في الواقع النّقدي الجديد " ([3]).

3- نفي التعقيد عن البلاغة السكاكية

تعتبر صفة التعقيد من أهمّ الملاحظات السلبية التي نُعتت بها البلاغة العربية، وقد دفع ذلك الباحثين لإيجاد أسبابها، ورأوا أنّ التعقيد والغموض نتج من علاقة البلاغة بالفلسفة وعلم الكلام.وذهب عبد العزيز عتيق إلى أنّ مشروع السكاكي في مفتاحه، استنبط فيه القواعد

[1] نفسه، ص 14 .

[2] شفيع السيد: التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1995، ص 135 .

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 14 .

والقوانين باستخدام المنطق وأصوله، وألفاظه، أسلوبه الجاف، الذي لا يحوي أي جمال، " ولا عجب في ذلك، فقد كان همه أن يقنن البلاغة ويقعدها كسائر العلوم الأخرى "([1]).

في حين نجد محمد عبد المطلب يعتبر، " أنّ اتّهام السّكاكي ومدرسته بتعقيد البلاغة، اتّهام ظالم، فلم يصنع الرجل شيئا سوى أنّه حوّل البلاغة إلى علم دقيق "([2]).

ولاحظنا في المبحث السابق بأنّ صفة التعقيد تكون قد أجمع الباحثون على اتّصاف البلاغة السكاكية بها، لكنّ صاحب مدونة البحث أخذ موقفا مخالفا متسائلا عن سبب هذا التحامل ، قائلا:" فهل العشوائية تمتدح، والنّظام يعاب؟ وهل الاعتباطيّة في البحث تعدّ أصلا، والتنظيم المبرّر يصير تعقيدا وجمودا؟ "([3]).

هي جملة التساؤلات التي طرحها محمد عبد المطلب بشأن الأسباب الحقيقية التي تدفع إلى القول بمثل هذا الاتّهام، داعيا إلى ضرورة مراجعة هذه الأحكام، التي تتداولها الألسن ، وتنقلها من جيل إلى آخر. وبرّر عبد المطلب موقفه من هذه القضية بالكشف عن السبق الذي حققه البحث البلاغي في مرحلته السّكاكية، متحدثا في الردّ على خصومه عن المفارقة الدقيقة في التشبيه وربطه فنيّا بالناتج الدلاليّ التي توصل إليها السكاكيّ في القرن السابع الهجري([4]). في حين نجد الباحثين يوجّهون سهامهم عشوائيا إلى كلّ ما قدّمه السّكاكي، مدعيّن أنّ الجهد الذي جاء به هذا الرجل غير صالح للدخول في دائرة النّقد الحديث، وأنّ التحليل البلاغي يتنافر مع معطيات الخطاب الأدبي الحديث([5]).

---

[1] عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1974، ص32 .

[2] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 14 .

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 14 .

[4] المرجعنفسه، ص 15.

[5] نفسه، ص 15 .

يوافق محمد العمري هذا الحكم، بعدما رأى أنّ بلاغة السكاكي تولدت من مخاض بين النحو والمنطق والشعر من أجل مشروع اسمه علم الأدب، وأنّ السكاكي وُفقّ " إلى اكتشاف المنطقة الملتبسة التي اقتتل حولها متى بن يونس والسيرافي جاعلا إياها منطقة تعايش لا تقاتل. وهذا ما يجعله اليوم موضع عناية من طرف اللسانيين التداوليين والمناطقة فضلا عن البلاغيين المقعدين"([1])

4- بلاغة تهتمّ بالجملة على حساب النّص

منالقضايا التي كانت محلّ خلاف بين البلاغيين المحدثين القول بأنّ البلاغة القديمة اهتمت بالجملة على حساب النصّ. وهي ملاحظة أفرزها تطور علم اللغة الحديث، الذي حاول أن يؤسس لما يسمى بلسانيات النص،الأمر الذي فتح النقاش بين البلاغيين المحدثين متّهمين البلاغة العربية بالقصور وتوقفها عند حدود الجملة.

و محمد عبد المطلب كان له منحى آخر في هذه القضية، حاول من خلاله أن يبحث عن دواعي هذا الاهتمام بالجزئية، ورأى أنّ وقوف البلاغة القديمة عند ذلك راجع إلى ظروف العصر، وسيطرة الملاحظة الجزئيّة في النّظر إلى الواقع، ولو أنّه لم يتقبل هذا الإغراق في هذه الجزئية، مستثنيا في ذلك عبد القاهر الجرجاني، الذي أفلت من هذا القصور عندما أحال البنى البلاغية إلى تراكيب نحويّة، وتفطنه إلى العلاقة بين التشبية والذكر، وعلاقة الاستعارة والحذف([2]) .

الملاحظ أنّ محمد عبد المطلب نظر إلى قضية الجزئية التي طبعت الأبحاث البلاغية بنظرة شمولية لمراحلها المختلفة، دون أن يستثني واقع الدرس البلاغي قبل السكاكي.غير أنّ ذلك لم

[1] محمد العمري: البلاغة العربية، أصولهاوامتداداتها، ص 27 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 19 .

يمنعه في البحث عن ردّ للذين يتهمون المدرسة السكاكية بالوقوف عند حدود الجملة، وتراه في مدونته يجد مخرجا لهذه القضية، عندما توقف عن اجتهادات السكاكي في تجاوز مقولة وحدة البيت، والاعتماد عن البيتين والثلاثة في معالجة الفنون البلاغية منها التشبيه([1]).

يعود محمد عبد المطلب مرة أخرى ليعلل سبب اعتماد البلاغيين على الجزئية في دراستهم، إذ يرى ذلك ضروريا في أيّ ممارسة علمية، يقول فيما بيانه: " إنّ الدّارس – أي دارس- في ممارسته العلميّة لمفهوماته التنظيرية يلجأ – بالضرورة – إلى اختبار مفاهيمه من خلال اجتزاء الشاهد، وهذا أمر مسلم به على مستوى الخطاب البلاغي القديم، والخطاب البلاغيّ الجديد"([2]). ومن هذا المنطلق يردّ علىمطبقيّ المناهج النقدية الغربية على النص العربي، قائلا: " برغم كثرة ما ترجم عن الأسلوبيّات والبنيويات، لم نصادف من يتعامل مع النّصوص الكاملة تحليلا وتفسيرا، و إنّما كان الاجتزاء سمة تميز هذه الدراسات فهي ضرورة يحتملها المنهج " ([3]).سعة اطلاع عبد المطلب بالمصنفات البلاغية دفعت للوقوف عند الطفرة التي أحدثتها المصنفات في تجاوز حدود الجملة أو البيت الواحد في التحليل البلاغي، مؤكدا أنّ تجاوز هذه الجزئية لم يكن غائبا في فكر بعض البلاغيين، أمثال الباقلاني في كتابه « إعجاز القرآن» عندما وازن بين نص قرآني ونص كامل من عيون الشعراء وهو معلقة امرئ القيس ([4]).

5- المعيارية والبلاغة السكاكية

[1] المرجع نفسه، ص 20 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 21 .

[3] المرجعنفسه، ص 21

[4] نفسه ص 22 .

من التهم التي ألصقت بالبلاغة القديمة وكانت محلّ نقد من طرف المحدثين قضية المعيارية التي اتّصفت بها المدرسة السكاكية، وهو انتقاد تعامل معه محمد عبد المطلب من جانبين: القبول والنفي، وعلّة ذلك فيما بيانه: " من أخطر ما ألصق بالبلاغة هو طابعها المعياريّ، وهي تهمة قد تكون صادقة في جانب، وغير صادقة في الجانب الآخر، يرجع صدقها إلى الكمّ الهائل من القواعد والقوانين التي قدّمها البلاغيون كشروط أوليّة لإنتاج القول البليغ، أمّا عدم الصدق فيأتي من أنّ مجموعة القوانين لم تأت من تصوّر تجريديّ، وإنّما كانت ناتجا لمتابعة وصفيّة لمجموعة النّصوص الأدبية"([1]) .

معنى المعيارية التي اتُّهمت بها البلاغة العربية أنّ البلاغة تحولت " إلى علم صارم يتوفر على قدر هائل من القواعد والتفريعات والتقسيمات التي لم تصدر عن ثراء استثنائي من النصوص الأدبية الرفيعة، وإنما صدرت عن نزعـــة تعليميـــــة منطقية "([2]).

محمد عبد المطلب ينفي صفة الإطلاق في تهمةالمعيارية على جلّ مراحل تكوّن الدرس البلاغي، قائلا: " لا يمكن القول بأنّ البحث البلاغي – في بكورته- قد استلهم الملامح الجزئية يختطفها ليضع لها التّعريف الذي يناسبها، وإنّما الصحيح أن نقول إنّه قام بعملية استقراء شبه كاملة، خرج منه بمحاولاته الأولى في ضمّ ما تناوله الاستقراء في محاور محدودة ثمّ الاصطلاح عليها، فهي متابعة وصفيّة، وليست تجريدا جزئيا محدودا "([3]).

تعليل عبد المطلب يكمن في أنّ المتابعة البلاغية كانت وصفية وليست تجريدية من خلال تعريف السكاكي لعلم المعاني، الذي خصّه بعملية التتبّع ، يقول: " لو رجعنا إلى التعريف

[1] نفسه، ص 21 .

[2] رحمن غركان: نظرية البيان العربية (خصائص النشأة ومعطيات التروع العلمي- تنظير وتطبيق، دمشق، ط1، 2008 ، ص42 .

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 21 .

لوجدنا أساسيته تبنى على (التّتبع)، ومن يغفل هذه الكلمة ودلالاتها على (الوصفيّة) ، وأنّ الخطاب أوّلا وآخرا هو مرجعها، فإنّه يسرع قائلا: إنّ التعريف كان فرضا معياريا يحاصر المبدعين "([1])

السلوك وفق هذا النهج في المعالجة اللغوية عند العرب، قد جاء متوافقا مع ما تنادي به أحدث النظريات الغربية التي ترى بأنّ القواعد التقليدية، ليست بهذه الصورة عديمة النفع أو الاختلاط([2]).

ردّد بعض الباحثين أنّ هذه المعيارية ليس لها ما تعلّمنا، " بل العكس، فقد تبنت بعض الصفات في الجملة، سواء في المستوى الدلالي أو المنطقي أو الصوتي، ولكن هذه الصفات لم تكن هي الصفات الممتازة تركيبيا، ثمّ إنّها جمعت حول اللغات التي درستها أكداسا ضخمة من الأحداث التركيبية، وُصفت وحُللت ثمّ رُتبت باعتناء على الرغم من أنّ الترتيب قد جاء – دائما– متباينا بالنسبة إلى هيكل اللغة"([3]).

يذهب حسين خمري في هذا الإطار، إلى أنّ الخلل لم يكن في الجهاز المفاهيمي الذي قدمه المشروع البلاغي العربي، كون هذا الجهاز كان متكاملا، ووفّر مجموعة من الأدوات المنهجية الدقيقة، والأطر المعرفية الواضحة– على المستوى التنظيري، للقبض على دقائق التعبير

[1] المرجع نفسه، ص 22 .

[2] البهنساوي، حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994، ص24.

[3] مونان، جورج: مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش،تونس، 1981، ص 107.

وأسرار الخطاب الأدبي، إنما الخلل كان في التطبيق- إلا على شواهد قليلة، وبذلك شلّت فعاليته، وحصر نشاطه في نطاق ضيّق([1]) .

6- الشاهد البلاغي:

طبيعة الشاهد الذي اعتمدت عليه المصنفات البلاغية من أبرز القضايا التي كثرت حولها الأقاويل في العصر الحديث، وتعرض الشاهد في المدرسة السكاكية والبلاغة العربية بمراحلها إلى انتقاد، مفاده أنّ البلاغيين في أطوار تطوّر الفكرة البلاغية لم تعرف التجديد، وأنّ المتأخرين أخذوا عن السابقين نفس الأمثلة في شرح ووضع أفكار المادة البلاغية .

قضية الشاهد البلاغي لم يغفلها محمد عبد المطلب وهو يؤسس لموقفه من البلاغة القديمة. ويدحض الرجل رأي من يذهب إلى أنّ الشاهد في المصنفات البلاغية كان بكمية أقلّ مما هي عليه المصنفات اللغوية.

يرى محمد عبد المطلب" أنّ كتب البلاغة حتى القرنين السّابع والثّامن الهجريّين قد ازدحمت بكمّ هائل من الشّواهد والنّماذج التطبيقيّة الّتي يضيف فيها كلّ باحث إلى ما سبقه من الشّواهد التي تتوافق مع منظومة الشّواهد السّابقة من ناحية، وما يكون متوافقا مع ذوقه الخاصّ من ناحية أخرى"([2]) .

يرجع محمد عبد المطلب سبب الشهرة والتداول التي عرفتها شواهد عبد القاهر الجرجاني إلى مكانة الرجل وميّزته ومنهجه وذوقه، وكان ذلك مثلا يقتدى به، خصوصا أصحاب الكتب التي كانت حاشية عليه، أو تلخيصا له.ويحاول محمد عبد المطلب أن يبعد فكرة توارث الشواهد

[1] حسين خمري: نظرية النص (من بنية المعنى إلى سميائية الدال)، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 325

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 23.

البلاغية عبر مراحل تطور الدرس البلاغي، قائلا: " لا يمكن القول بأنّ ما قدمه الرّماني والباقلاني والعسكري هي النّماذج نفسها الّتي قدّمها عبد القاهر، ولا يمكن القـــول بأنّ مجموعـــــة نمـــــاذج عبد القاهر هي وحدها الّتي تعامل معها الزّمخشري وابن مالك والعلوي ."([1])

يذهب عبد المطلب إلى أنّ البلاغيين كانوا مخلصين لإبداع زمنهم، فإذا كانوا قد رصدوا ما سبقهم من شواهد صالحة، فإنّهم تابعوا من كان قريبا منهم، أو من عاصرهم. وحجته في ذلك كتاب " البديع" لابن المعتز، الذي تناول في مؤلفه نماذج من الشعر الجاهليّ والإسلاميّ، كما تناول من كان قريبا من زمنه، مثل بشار ومسلم وغيرهما، ومن كان مزامنا له، مثل شعرسعيد بن حميد، وأبي الغمر الجبلي([2]).

معنى هذا أنّ التأليف البلاغي أخذ طبيعة منهجية، تبدأ من تحديد منطقة العمل، ثمّ الانتشار الانتقائي لتقديم النموذج أو الشّاهد من خلال مفهوم قادر على استيعاب الأشكال التعبيريّة في مستوياتها المختلفة.

يمكن أن نلمس ذلك في كتاب البديع لابن المعتز، الذي حدّد فيه صاحبه منطقة عمله، للردّ على الشعراء المحدثين الذين ادّعوا أنّهم أصحاب البديع، حيث اضطر لإبدال زعمهم إلى الاستشهاد بالشعر القديم، لإظهار قدم البديع من جهة، واعتمد على الشعر المحدث لتبيان مساوئ الإغراق في الصنعة البديعية، وكان عمله في الكتاب وفق خطة منهجية مدروسة، تتقبلها العادة والمنطق بحسب رأينا.وطرحت في العصر الحديث ضمن قضية الاستشهاد عند البلاغيين بأنّهم وجهوا اهتمامهم إلى كوكبة من الشعراء العباسيين، وأغفلوا العصر الجاهليّ

[1] المرجع نفسه، ص 23

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 21 وما بعدها .

والإسلاميّ وجزء من الأموي. ويجيب عبد المطلب عن هذا الإشكال بالقول: " إنّ عناية البلاغيين لم تقتصر على عصر دون غيره(...) معنى هذا أنّ البحث البلاغي قد تنبّه في مرحلة مبكرة إلى أنّ حركة الإبداع الشّعري كان لها ظواهرها المرتبطة بالبعد التاريخيّ "([1]).

الحقّ إنّ المفارقات التي خلقها الشعر في العصر العباسي كانت محلّ اهتمام البلاغيين، خاصة في المصنفات النقدية التي بنيت على أسس بلاغية، مثل الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، والموازنة بين أبي التمام والبحتري، لأنّ ذلك يعود للتعابير الجديدة التي جاء بها شعر هذه المرحلة ومن المنطقي أن تثار قضية الاهتمام به، خصوصا وأنّ التداخل بين النقد والبلاغة يفتح مجال الدراسة لفحص القصيدة المحدثة.

وإيمان محمد عبد المطلب بقضية التجديد في الشاهد الشعري جعله يعمل على تطبيق هذا الرأي في أبحاثه، الأمر الذي يدعونا إلى محاولة البحث عن طبيعة الشاهد الشعري الذي استعمله الرجل وهو يؤسس لمنهجه في التحليل البلاغي، الذي بناه وفق المعطيات التي جاءت بها النظرية التوليدية التحويلية.

لأجل ذلك تابعنا عمله في مدونة البحث، ووجدنا أنّ الرجل اعتمد على 24 ديوانا، أغلب أصحابها عاصرهم الباحث، فاستلهم مادة التطبيق لموضوعات البلاغة من شعراء عاش المؤلف بينهم، على نحو الشاعر المصري أحمد سويلم الذي ولد سنة 1942 بكفر الشيخ، واعتمد محمد عبد المطلب على ديوانه " الشوق في مدائن العشق " الذي نشره عام 1987، نقل صاحب مدونة البحث في التمثيل للفنون البلاغية من ديوان " الأحاديث " لشاعر معاصر ، أحمد الشهاوي، الذي ولد عام 1960 .

[1] المرجع نفسه، ص 24 .

المتأمل في مدونة محمد عبد المطلب يجد أنّ الرجل استوحى شواهده البلاغية من الشعر المعاصر في حديثه عن قضايا علم البديع، الذي حاول في الفصل الآخر من المدونة أن يقدّم تصورا جديدا من أجل الوصول إلى إظهار أهميته بدلا من الوظيفة التحسينية التي أسندها البلاغة القديمة له.وتعامل في دراسة الظاهرة التكرارية للفنون البديعية من خلال خمسة شعراء يمثلون المرحلة التي عاصرهم فيها الشاعر، وهو أحمد الشّهاوي في قصيدته " حديث الجماهير"، وعبد الله الخشرمي، و محمد آدم، وعبد المنعم عوّاد، و فاروق جويدة. ([1])

الملاحظ أنّ شواهد الشعر الحداثيّ عند عبد المطلب جدّ قليلة مقارنة مع الشواهد القرآنية التي استعملها، وشواهد الشعر القديم إلا أنّ بعض الملاحظات التي يذكرها عن الشعر الحداثي توضح أنّ الرجل تعامل مع الشعر المعاصر بوصفه ظاهرة.

مثل هذه الملاحظات تتمثل في حديثه عن بنية التصريع في الشعر الحداثي، قوله: " والنظر في الخطاب الشّعري الحديث والحداثي يدلّ على أنّه قد تخلّى عن هذه البنية بدرجة ملحوظة، لأنّه – أصلا- قد تخلّى عن القافية، وبالتّالي لم يعد التصريع بصورته التراثية بنية إيقاعية في الشّعر الحداثي، لكنّ الشّعرية- بطبيعتها توّاقة إلى الإيقاع، ومن ثم حضرت بنية التصريع في شكل جديد يجمع بين شكلها التّراثي ومتطلبات الشّعريّة الجديدة "([2]).

هذه النتيجة الهامة التي توصل لها محمد عبد المطلب دليل على أنّ الرجل لم يتعامل مع ديوان أو اثنين من الشعرية الجديدة، وإنّما كان تعامله مع هذه المرحلة بعقلية البلاغي الذي يتابع إبداع بيئته، التي عاش فيها، و لم يكن في ذلك محصورا في الشعر القديم مثلما نجد الحال في كتابات بعض البلاغيين المحدثين.وتتبع بنية " التصريع " في كتابات شعراء الحداثة جعل محمد

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 346- 400.

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 403 .

عبد المطلب يلجأ إلى استخدام مبادئ الأسلوبية الإحصائية، وتراه في المدونة يذكر بالنسب ورود بنية التصريع في كتابات محمد إبراهيم أبو سنة (40%) و أمل دنقل(32%)، و أحمد عبد المعطي حجازي(30%)، و عبد العزيز المقالح(28%)، ومحمود درويش(25%)، وفاروق شوشة(20%) ([1]) .

هذا العمل هو في حقيقة أمره إثبات من شأنه أن يقويّ مقولة أنّ محمد عبد المطلب الذي رفض فكرة من قال بأنّ البلاغيين القدماء توارثوا شواهدهم البلاغية، جدّد شواهده الشعرية في حديثه عن قضايا البلاغة في علومها الثلاثة.

حضرت الشواهد البلاغية التي تمثل الشعر الحداثي في مبحث التشبيه عنده، ومثّل في حديث عن تفاصيل هذا الفنّ البياني من تسعة شعراء، حاول من خلال النماذج الشعرية التي استعملها أن يفسّر كيفية تعامل الشاعر مع ظواهر واقعه من خلال نقلها من إطارها الخارجي إلى إطار ذهنيّ داخلي عن طريق فنّ التشبيه وهو ما مثل له من شعر أحمد عبد المعطي حجازي([2]).

استخدم عبد المطلب شعر حسن طلب لتوضيح التشبيه المكتمل الأطراف، ومن شعر فاروق شوشة كيف يحذف وجه الشبه و الأداة معا في التركيب التشبيهي، وحذف الأداة في شعر بدر توفيق، ووجه الشبه في شعر محمد إبراهيم أبو سنة.وحاول محمد عبد المطلب استخدام الشعر الحداثي لتوضيح قراءته التمهيدية لهذا الفنّ البلاغي ويبيّن حضور أطراف العملية

[1] المرجع نفسه، ص 404 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 140 .

التشبيهية وغياب أجزاء منها . في حين أنّ التمثيل من الشعراء الحداثيّن غاب في فنّي الاستعارة والكناية([1]).

لعل ذلك يعود إلى أنّ محمد عبد المطلب نهج مسلك القدامى في كثرة التمثيل في فنّ التشبيه من الأدب القديم وتعدّيه إلى الشعر الحداثيّ، بحكم ما تثيره الصورة التشبيهية في المتلقي من استجابات، ويؤكد محمد بركات ذلك بقوله: " يعجب الإنسان عندما ينظر في كتب البلاغة العربية من شواهد التشبيه لكثرتها، ويرجع سبب ذلك إلى أنّ شواهد التشبيه تمثل صورة إيجابية في التشبيه والإشعاع والظهور، وإنّما تحرّك في المتلقي روح المشاركة، فهي قيمة خاصة يحرص عليها المتفنن لإثارة المتلقي "([2]).

خلاصة الفصل:

يمكن القول من خلال ما تقدّم أنّ بلاغة المدرسة السكاكية ظلمها النقاد المحدثون؛ إذ أخذوا يحكمون عليها في قراءة عجلى، تفتقر إلى الأسباب والعلل، وأنّ إشارات محمد عبد المطلب تحاول دفع الضرر عن بلاغة هذه المرحلة الهامة من تاريخ الفكر العربي.

بلاغة السكاكي التي انتقدت كثيرا باعتبارها قد مالت بالبلاغة العربية إلى التحجر عن طريق جانبها التعليميّ الذي اغتال الجانب المنتج فيها، تعتبر عملا رائدا عند الذين غيّروا طبيعة القراءة اتجاه هذا الموروث البلاغي، وفق آليات حديثة، تتجه إلى الشرح والتفسير والتأويل، بدلا من الوصف والسرد التاريخي، الذي رأينا منهجه في الكثير من البحوث التي تناقلت الصفات السلبية التي التصقت بالبلاغة العربية.وهذه النتيجة التي توصّل إليها أكثر من باحث، لما رأى أنّدراسة كتاب " المفتاح" كانت تقليدية عند المحدثين؛ إذ يقول محمد العمري: " ومع ذلك

[1] المرجع نفسه، ص 143 .

[2]. أبو علي محمد بركات: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشرو التوزيع، عمّان، 2004، ص 77

فسيجد الدارسون التقليديون للبلاغة العربية كلّ شيء عن السكاكي إلاّ الذوق، وسيتهمونه بالتقريرية الجافة، ولكنّه ما كان ليعبأ بهذا حتى ولو قيل له مباشرة، فقد برأ ذمته ودفع الحرج قبل أن يدخل في تلك التقنينات الصارمة "([1]).

ودعوة محمد العمري واضحة بتغيير نمط القراءة للوصول إلى نتائج حقيقية عن بلاغة السكاكي، بدلا من تداول الألسن صفات التعقيد والجمود والتقنين لهذه البلاغة.

هي النتيجة التي توصل إليها صابر الحباشة من قراءته للمدونة البلاغية« شروح التخليص» للقزويني وفق النظرية التداولية. ووجد أنّ نسب مدونة بحثه إلى الكتب الصفراء أمرٌ غير صحيح، وأنّ معاشرة هذه النّصوص أدّت إلى اطّراح آراء سائدة كثيرة، كانت تنظر إلى هذه الشروح بمنظار أسود([2]).

إذا اعتبر السكاكي أبا للمدرسة البلاغية، أي المقعدة، واختزل عمله في نواته: علمي المعاني والبيان فإنّ الباحثين تناسوا أنّ السكاكي حدّد استراتيجية كتابه في البحث عن «علم الأدب». والتي حدّدها محمّد العمري في ثلاث وظائف، مرتبة في ثلاث مستويات متصاعدة من حيث القيمة، حيث يتمثل المستوى الأول (مستوى أدنى) في معرفة بعض القواعد والمصطلحات، دون معاناة النصوص، والمستوى الثاني (مستوى أوسط) وهو مستوى إنتاج النصوص الأدبية السليمة عبارة، المناسبة حجاجا. في حين أنّ المستوى الثالث (مستوى أعلى) وهو مستوى تلقي المراد من الكلام وتأويله([3]).

---

[1] محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص 488.

[2] صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التخليص للقزويني، دار المتوسطية للنشر، تونس، ط1،2010، ص 194.

[3] محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة (دراسات وحوارات)، أفريقيا الشرق،ط1، 2013، ص 48 وما بعدها.

يمكن أن نستخلص من معرفة موقع البلاغة السكاكية في كتابات المحدثين أنّ هذا النقد الذي وُجه إلى هذه البلاغة والكشف عن سلبياتها ومواطن القصور فيه إنّما هو محاولة للبحث عن علل وأسباب لتبنيّ « التجديد» في علوم البلاغة. وهكذا فُهم منطلق التجديد عندهم على أنّه هناك «بناء قديم» فيه سلبيات، يتطلب البحث عن «بناء ممكن» يرفع تلك مواطن القصور.

الحقّ أنّ هذه النظرة التي تقلّل من قيمةالتراث البلاغي ليس لها أهداف ولن تحقّق نتائج؛ إذ يذهب أحمد صبرة إلى القول: " وعلى حين وقف العقل العربي في العصر الحديث دائرا في فلك التركيز على هذه الجوانب السلبية في التراث البلاغي، كان العقل الغربي يسير بخطوات أكثر اتساعا وجوهرية في تطوير الرؤية البلاغية الغربية، أو طرح ما يتلاءم مع العقل الغربي الحديث، فانصرفوا إلى أبحاث واسعة في دراسة الاستعارة "([1]).

ومن الملاحظات التي يمكن الإشارة إليها أنّ الأخذ بالأدوات الجادّة في خلق قراءة تفاعلية مع الشروح والتلخيصات يسمح بتغيير موقفنا اتّجاه مصنفات هذه المرحلة التاريخية. وقد تمكن آزاد حسان شيخو عن طريق النقد المعرفي أن يصل إلى نتيجة مفادها أنّ أولئك الشراح حافظوا على الوجهة المعرفية التي صاحبت الامتداد الابستمولوجي عند السكاكي، ورأى أنّ أصحاب الشروحات والحواشي امتلكوا إجراءات علمية منظمة تمثلت في الاهتمام بالمعنى، والتحليل المعقلن، والعناية بالمصطلح، واعتماد معرفة شمولية([2]).

[1] صبرة، أحمد: التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، القاهرة، 1997، ص 13 .

[2] آزاد حسان شيخو: النقد المعرفي في الدرس البلاغي (نسقية البيان)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ط1، 20013، ص 51 وما بعدها .

الفصل الثاني:

اتجاهات تجديد البلاغة قبل محاولةمحمد عبد المطلب

المبحث الأول: مـــفهـــوم «التجديد» ودواعيه

المبحث الثاني: اتّجاهات التجديد في البلاغة العربية

المبحث الأول:

مفهوم «التجديد» و دواعيه

إنّ المتتبع لمسار الفكر الأدبي واللغوي عند العرب يلاحظ حالة الانغلاق التي ميّزت هذاالفكر لفترة طويلة من الزمن. والواقع أنّ هذه الفترة الممتدّة من القرن العاشر إلى أواسط القرن الرابع عشر للهجرة، شهدت العديد من الأحداث السياسية على الساحة العربية والإسلامية، لعل أهمها وصول العثمانيين إلى سدّة الخلافة، وإحكامهم القبضة على بلاد العرب، ممّا خلّف أثرا عميقا في الحياة العربية، مسّ مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية.

عملت هذه القبضة العثمانية على تغذية القطيعة بين العربي وتراثه، ممّا جعل التواصل مع التراث يكاد يكون مستحيلا، ويذهب حافظ إسماعيلي العلوي إلى القول: " ويمكن أن نفسر ذلك الانحطاط على المستوى اللغوي خصوصا، بإدارك العثمانيين للعروة الوثقى بين العربي ولغته، وأهمية الوازع الدّيني في تعزيزها وتوثيقها، كما يمكن أن نفسر ذلك بشعور الأتراك بضعف لغتهم مقارنة باللغة العربية، وهذا ما حدا بهم إلى إيجاد ستائر عازلة بين العرب ولغتهم، ظهر أبرزها في غياب وسائل التعليم وندرة الكتب، ما أسهم في قطع أواصر العلاقة الروحية بين العربي وتراثه " [1]، وكان ذلك سببا مباشرا في التخلف الفكري الذي عرفته العرب، وألقى ذلك بظلاله على طبيعة التفكير والإنتاج العلمي اللغوي في تلك المرحلة.

يشير جورجي زيدان في حديثه عن الواقع اللغوي في العهد العثماني إلى القولبأنّحالة مزرية ألمت بالعربية وعلومها آنذاك. ورغم كون العربية لغة الدّين في العالم الإسلامي، والمطالعة

[1] حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقيّ وإشكالاته،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1، 2009، ص 46.

فيها أمر عَقَدي لا مناص منه في جميع العصور والعهود، إلاّ أنّ الملل تمكّن من النفوس وقتها وفسدت ملكة اللّسان وجمدت القرائح [1].

وهذه التوطئة التاريخية تسمح لنا بالمعرفة الصحيحة عن الواقع اللغوي للحضارة العربية، في مرحلة لم يكمل فيه العلماء جهد من تقدّمهم في استكمال صورة العلوم اللغوية الموروثة.

والملاحظ في تاريخ الحضارة العربية أنّها عرفت مرحلة أكثر ما كُتب فيها إنّما كان من قبيل الشروح والحواشي والتعاليق وشروح الشروح ونحوها، مما حدا ببعض المفكرين أن يطلقوا على هذا العصر " **عصرالشروح والحواشي**" كما أطلقوا على عصر المغول "**عصر الموسوعات والمجاميع** " [2]

وهذا النوع من التأليف نجده أيضا في البلاغة؛ إذ انتشرت الشروح عند الذين عَنوا بكتاب التلخيص للقزويني، فقد انكبوا على شرحه بمناهج مختلفة، وانتقد كثير من الدارسين هذه الشروح باعتبارها سببا في جمود البلاغة وتراجعها، فقد تحدث محمد رشيد رضا عن ذلك فذكر أنّ المتكلّفين من المتأخرين هم الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية، وفسّروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية، ثم تنافسوا في الاختصار والإيجاز، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعمّيات والألغاز، ورأى أنّ من أثر فساد ذوق اللغة اختيار هذه الكتب (الشروح) حتى صارت " حواشي السّعد " (أي التفتازاني) تطبع وتنسخ، وكادت كتب عبد القاهر تمحى وتُنسى.[3].

---

[1] جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، دار الهلال، مصر، (د.ط)، (د.ت)،ج3، ص291.

[2] جورجي زيدان: المرجع السابق، ص 292.

[3] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة عسيى البابي الحلبي، القاهرة، 1933، ص (د).

ونجد أمين الخولي يشخص قضية علوم العربية إلى ما قبل عصر الضعف، أي قبل ظهور عصر الشروح والحواشي، ويرى أنّ اللغة العربية بعد القرون الثلاثة الأولى أصابتها عُزلة تامة أو ناقصة عن الحياة الاجتماعية، وكان من نتائج ذلك" أنّ البلاغة العربية حينما جُعلت درسًا تعليميًا يُمارس ويُزاول بطرق مدرسية منظمة كانت ظروفه تقتضي عليه بإيثار منهج تعليمي وأسلوب بحث مدرسي له صفة واضحة معينة، هي الاتجاه إلى الناحية النظرية التعليمية التي تعتمد على الضبط العقلي، والقواعد المطّردة، والحدود الضابطة وما إلى ذلك، الأمر الذي يتحققُ معه في سهولة كثيرٌ من الغرض الأدبي العلمي الذي يُراد من تعلّم اللغة، ومعرفة أدبها وفنّها القولي، فالحالة الاجتماعية كانت تدفعُ إلى هذا المنهج " [1].

في القرن الثامن عشر بلغ الفساد الذي أصاب الفصحى مبلغا كبيرا وهو أمر يظهر جليا وواضحا في مؤلفات ذلك العصر. " ومما زاد الأمور سوءا أنّ أدب العصور الزاهية قد نسيته ذاكرة الناس واندرس. واندثرت نماذج البيان الأدبي، وانمحى ما كان لهذه الثقافة العظيمة من أثر روحي "[2].، ومثل هذا القول يحمل دلالات تهمنا في حديثنا عن قضية البلاغة العربية، ومفاد الأمر قوّة الارتباط بين البلاغة والأدب، وضعف الأولى مرهون بالحالة التي يكون فيها الإبداع. ومن جهة أخرى فإنّ قضية البلاغة مردها إلى مشكلة ضعف الإنتاج الأدبي، واندثار النماذج البليغة التي حملها إبداع أدبائنا القدامى.

هذه الظروف دفعت التفكير في تحقيق نهضة فكرية عربية، وتغلغل ذلك في قلب المجتمع العربي، وتطلّع رواد هذه النهضة للانفتاح والتغيير، وأخذت شكل الإصلاحات اللغوية، وفق وجهات مختلفة، من خلال التأليف المعجمي، والتأليف التيسيري، والتأليف النقدي.

---

[1] أمين الخولي: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947، ص70.

[2] جورج أنطونيوس: تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت،ط8، 1987، ص102.

أخذ التأليف التيسيري الطابع التعليمي المبسّط، والذي يهدف إلى تعليمية اللغة العربية وفق منهج ميسّر يتماشى مع روح العصر، ويراعي متطلبات المتعلمين. وهو ما دفع علماء اللغة والبلاغة إلى النظر في المنهج الذي تُقدم فيه الدروس، ورأوا أنّ ذلك لا يحقق الأهداف التي جاءت من أجلها هذه العلوم، مما جعلهم يُقدّمون تصوّرات مختلفة في تجديد علوم اللغة، ومنها البلاغة العربية .

وقبل الحديث عن التأليف البلاغي في العصر الحديث، لا بأس أن نعود إلى تاريخ البلاغة العربية، حيث إنّ الدعوة إلى تجديد البلاغة لها جذورها في البدايات الأولى لظهور البحث البلاغي عند العرب. ومن ذلك ما أراد ابن قتيبة- وهو من علماء القرن الثالث الهجري- في معارضته للآراء التي تقدّس القديم وحده، فنجده يقرر " أنّ الله عز وجل لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر " [1]، وهو ما يعني أنّ البلاغة لا يمكن أن تحدد معالمها وترسم صورتها النهائية، وينتهي البحث فيها، في زمن، وإنّما التحديث والتطوّر من الصفات الجوهرية في نشأة العلوم وتطورها، مما يطرح فرضية قبول البلاغة العربية إلى التجديد .

لعل الإشارات التي تقدّم بها ابن قتيبة شجّعت ابن المعتز في أن يحصل على سبق جمع الفنون البديعية، وكان كتابه أول مؤلف لم تخرج فيه الكتابة عن دائرة البحث البلاغي، وهو القائل: " وما جمع فنون البديع، ولا سبقني إليه أحد" [2]. ولقب السبق الذي تحدث عنه ابن المعتز أثبته الدراسات التي قامت بالتأريخ للبلاغة، أو التي درست جهوده، وإليه يعود الفضل في اكتشاف الكثير من الفنون البديعية، التي لم تكن موجودة عند الجاحظ وابن قتيبة.

---

[1] ابن قتيبة الدينوري: الشعراء والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 42.

[2] عبد الله ابن المعتز: البديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ص 74.

وواضح أنّ ابن المعتز كانت قصديته البحث عن قضايا جديدة في البلاغة، لم يدرسها من سبقه، والحجة في ذلك ضرورة تنافي التقليد في طرح الأفكار والآراء البلاغية.والبحث عن كلّ ما هو جديد في البلاغة العربية تواصل مع العلماء، فكان كلّ عالم يحاول أن يُثبت بصمته في مؤلفه، وأن يأتي بالجديد، الذي لم يكن عند من سبقه.

يعدّ كتاب « الصناعتين» لأبي هلال العسكري(ت 395هـــ) بداية تحول النقد إلى البلاغة، وذكر مناقبها، ورأى أنّ صاحب العربية إذا أخل بطلب علم البلاغة، " ففاتته فضيلته، وعلقت به رذيلة... لأنّه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد، بان جهله، وظهر نقصه"[1] ، و تلك دلالات قوية على ضرورة امتزاج البلاغة بالنقد، لأنّ الناقد بدون هذا العلم لا يستطيع أن يصل إلى مطلوبه، وهو التمييز بين الكلام الجيّد والرديء.ولأهمية هذا الكتاب يراه بدوي طبانة " نقطة التحول في الدراسات البيانية والنقدية، وأنّه جنح بتلك المعالم الذوقية اتجاها قاعديا بما وضع من أسس في البلاغة التي يعد كتابه مصدرا من مصادرها " [2]. ومن ثمّ لا يزال البحث البلاغي في العصر الحديث يعتمد عليه،سواء في الحديث عن الشعر أو النثر، ومعرفة أساسيات الصنعة الأدبية.

يمثل عبد القاهر الجرجاني (ت471هـــ) المرحلة الأولى من المراحل التجديدية، إذ " يحتل الإمام الجرجاني في البحث البلاغي مركزا لم يصل إليه أحد من قبله و لم يزاحمه فيه أحد من بعده، سواء كما يقول المطعني- من حيث عمق الدراسة أو من حيث ما فجر من كنوزها وفتق من أكمامها وجلّى من مسائلها وأضاف من فنونها، فهو واحد فذ في هذا المجال، وحسبه أنّه

---

[1] أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص 10

[2] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 145 .

واضع صرحي علمي (المعاني) و(البيان) " [1]، وحتى أعماله لا تزال إلى اليوم محلّ دراسة ومقارنة أمام ما أنتجه الفكر الغربي الحديث.

وفكرة إظهار الجديد في البلاغة تظهر بقوة عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم، وكان كتاباه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» أحدث وأفضل الكتب في عصره، وإلى يومنا هذا .

غير أنّ التساؤل الذي يطرح نفسه، هل هذه الإضافات الجديدة بين بلاغيّ وآخر، تعدّ تجديدا في الفكر البلاغي عند العرب؟.

الحقّإنّ مثل هذه الحركية التي عرفتها البلاغة العربية لا تعدّ تجديدا؛ لأنّها كانت في مرحلة التكوين والبناء للفكرة البلاغية.ومن ثمة لابدّ من التفريق بين تيسير البلاغة عند القدماء وتيسير البلاغة في العصر الحديث، وذلك لاختلاف الأسباب والظروف، يقول عبد الكريم خليفة: " إنّ الأسباب التي دفعت الدارسين إلى تناول موضوع العربية تيسيرا أو تسهيلاً، تجديدا أو إحياء، مختلفة تماما عن الأسباب التي دفعت أئمة العربية في عصر ازدهارها الحضاري للتصدي لهذا الموضوع بعينه تيسيرًا أو تجديدًا أو إحياءً "[2]

التجديد في نظرنا ينطلق من نقد صورة الدرس البلاغي المنتشرة زمنا، في تدريسه، واستخدام أدواته في تذوق الإبداع. ومن ثمة فإنّ تجديد الدرس البلاغي يبدأ من النقد الذي وجه للبلاغة السكاكية، بكشف عيوبها، وسلطان المنطق والفلسفة عليها؛لأجل البحث عن منهج جديد في التعامل مع الأدوات البلاغية.

---

[1] عبد العظيم المطعني: المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع، (عرض وتحليل ونقد)، مكتبة وهبة، ج1، ص 296 .

[2]عبد الكريم خليفة: تيسير تعليم العربية في التراث، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج58، مايو 1986، ص34.

يذهب أحمد مطلوب إلى القول بأنّ الأزهر الشريف أول من حمل لواء التجديد في البلاغة العربية ، منذ " أن قيض الله له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذي أخذ يحي كتب السلف وعلومهم، ويقوّم ما أعوج من منهاج التأليف وطرائق التدريس، فقد انصرف الشيخ إلى تدريس كتابي « دلائل الإعجاز» و« أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني وبذلك فتح آذان الطلبة، وقوى مداركهم ومواهبهم، لأنّهم وجدوا في تدريس الإمام غير ما ألفوه، وبذلك كان الجامع الأزهر أول معهد من معاهد التعليم الإسلامي والعربي قرئ فيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة- بعد الغفوة الطويلة- درسا لطلاب البلاغة، ولأجله طبع الكتابان وانتشرا. وقد تخرج في الأزهر الشريف في مطلع العصر الحديث جيل فيه عزم على البحث، وفي روحه اندفاع إلى التجديد". [1]

يؤكد هذه الرواية أحمد خليل برغبة محمد عبده بترقية ذوق المجتمع، وتصفية إحساسه، يقول فيما بيانه: " وأحس محمد عبده أنّ لا قيام لهذا المجتمع إلاّ بترقية ذوقه، وتصفيه إحساسه، فنشط يومئذ إلى إحياء الدرس البلاغي بعيدا عن السكاكي وأضربه ممن حولوا هذا الدرس إلى رياضة عقلية واتجه إلى عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز فتصدى إلى درسه في الأزهر بعد أن يفرغ من عمله الرسمي وهو الإفتاء وتدافع الناس إلى الاستماع إليه والاستفادة مما يبديه من ملاحظات على النص "[2]، وهذا الذي فعله محمد عبده يعتبر مظهرا من مظاهر الابتعاد عن البلاغة السكاكية، والعمل على عودة تدريس البلاغة من خلال كتابي عبد القاهر.

لم يكن إحياء التدريس بكتابي عبد القاهر من عمل محمد عبده وحده، بل تواصل ذلك مع تلاميذه، وكان من أقرب الطلبة إليه، محمد رشيد رضا، الذي تولى نشر هذا الكتاب، وأثبت ما كتبه محمد عبده بخطه، وما وعاه في أثناء الاستماع إليه، وكان ذلك في نظر أحمد

---

[1] أحمد مطلوب: القزويني وشروح التلخيص، مكتبة النهضة، بغداد. ط1، 1967، ص 12

[2] أحمد خليل: المدخل لدراسة البلاغة العربية، ص135

خليل أول تجديد في حياة الدرس البلاغي في العصر الحديث، وأخذ مكان محمد رشيد رضا، من الذين تولوا بيان ما عند عبد القاهر من ملاحظات في النظم، وهو علي عبد الرازق[1].

الحقيقة التي نراها أنّ مثل هذه الدعوة سبقها عمل كبير، بعدما أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر، وسلكت في التربية والتعليم طريقا سويا، لا مشكلة بينه وبين ما تقدمه. " وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيّدت، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بغيتهم منها، فحمد لهم الناس جميل صنعهم وأوفوهم حقّهم في الثناء والتقريظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها " [2]. وكان ذلك لزاما من أجل تقريب البلاغة إلى النشء .

هذه الدروس التي يتحدث عنها المراغي في حقيقة أمرها لم تخرج عن فلك كتب التلخيص، ولو كان الاختلاف فيها ملاحظا حسب اطلاعي من حيث الترتيب، وتنويع التبويب، وطريقة عرض المادة العلمية فيها.

لعل ممّا أُلّف في هذا المجال، كتاب « **الخواطر الحسان في المعاني والبيان**»، الذي كتبه جبر ضومط(1858– 1930 م)، ونشره سنة 1896، و يعود سبب تأليفه للحاجة الماسة إلى " تأليف يناسب حال الزمن الذين نحن فيه، فإنّ الكتب الموضوعة قديما في هذين الفنين ولاسيما المعاني على جلالة قدرها ونفاسة ما حوتهُ إنّما وضعها أولئك الفضلاء ليستعين بهم غيرهم من العلماء على فهم ما في القرآن من مواقع الفصاحة و البلاغة التي بلغت حدّ الإعجاز فكانت من ثم مؤلفاتهم خاصة موضوعة للخواصّ" .[3]و الملاحظفي هذا الكتاب أنّه جاء لغاية تعليمية، في

---

[1] المرجع نفسه، ص136 .

[2] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2007، ص11.

[3] جبر ضومط: الخواطر الحسان في المعاني والبيان، مطبعة الهلال، مصر، 1896، ص4.

سبيل تسيير علم البلاغة، ووضعها في صورة جديدة، حتى يتسنى للمتعلمين قبوله، ويناسب حالهم الحاضرة في القرن التاسع عشر.

ويمكننا في قراءتنا لمحاولة جبر ضومط القولبأنّ الرجل كان واعيا إلى حدّ كبير بالعلاقة الحميمية التي تربط البلاغة بالنحو والمنطق، وهي العلاقة التي انتقدها عدد كبير من الدارسين، لما ادّعوا أنّ منطلق التصوّر في تحديد هذا العلم هو تخليص البلاغة من المنطق، الذي شمل الفكر البلاغي في مفتاح العلوم للسكاكي، والكتب التي نُسبت ضمن مدرسته البلاغية.

يبقى أن نقول:إنّ دعوة محمد عبده إلى تدريس البلاغة من خلال « دلائل الإعجاز» و«وأسرار البلاغة» محمودة، من الوجهة الإجرائية، إذ تعبر عن اتخاذموقف في أخذ البلاغة في مرحلة نضجها على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابيه.وفي نظرنا أنّ هذه العودة لها فائدتها في استيفاء المعرفة البلاغية من التراث، وكان بذلك أول من أشار إلى أهمية هذا الموروث. لكن لا نرى مثلما يذهب أحمد مطلوب وآخرون بأنّ الرجل حمل لواء التجديد؛ لأنّ هذا المصطلح يحمل دلالة أكبر من تكون قضية مقررات دراسية. ولهذا يمكن تصنيف عمله ضمن حركية" إحياء التراث" وبعثه. خصوصا وأنّ علاقة القارئ العربي مع تراثه كانت منقطعة، فكانت المعرفة البلاغية حاضرة من حيث الشروح والحواشي، وغاب عن الفكر العربي صورة البلاغة في أفضل مراحلها، التي يمثلها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة » .

بل إنّ مفهوم التجديد أخذ صبغة تيسيرية؛ إذ نجد بعض البلاغيين المحدثين عملوا على التحديث في هذا العلممن خلال تغيير طريقة « التأليف»،وذلكبالجمع بين التأليف عند المتقدمين والمتأخرين. وهذه الصورة يمثلها أحمد مصطفى المراغي في كتابه « علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع»، ومناسبته أنّه أراد أن يضع كتابا يجمع بين طريقة المتقدمين، من سعة

الشرح والبيان والاعتماد على الأمثلة والشواهد، حتى يستبين للقارئ خصائص البلاغة مرموقة محسوسة، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة، ويسهل تطبيق العلم على العمل، والإجمال على التفصيل وطريقة المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب، وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون [1].

مما يحمد في مثل هذه الدراسات أنّها اجتهدت للربط بين مراحل تطور الفكرة البلاغية عند العرب من خلال الاطلاع على مصنفات البلاغيين المتقدّمين، وما استوى صورته في هذا العلم بدء من أبي يعقوب السكاكي .

لأجل فكّ هذا الالتباس ينبغي أن نتوقف عند المفهوم اللغويّ والاصطلاحي لمصطلح التجديد أولا، ثمّ نراعي بعد ذلك موضوع التجديد في الدرس البلاغي في العصر الحديث.

مفهوم التجديد لغة واصطلاحا:

التجديد في اللغة:

قال الزمخشري: " رجل مجدود وجدّ: ذو جدّ، وهو أجدّ من فلان، ويقال أعطي فلان جدّا فلو بال لجدّ ببلوله أي لكان الجدّ في بوله أيضا، وجدّ في عيني، عظم . وسلك الجدد. وقد أجددت فسر، ومشى على الجادّة، وامشوا على الجواد، وجدّ في الأمر، وأجدّ المسير، وأجادّ أنت أم هازل؟... ومن المجاز: جدّ به الأمر، وجدّ جدّه، وهو على جدّ الأمر. وركب جدّة من الأمر أي طريقة ورأى رأيا، وهذه نخل جادّ وسق أي تجدها، كما تقول ناقة حالبة علبتين، وتحلب علبتين"[2]ومما يفهم من رأي الزمخشري في لفظة التجديد هو البحث عن الطريقة

---

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص 11.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ص84 .

الجديدة، وهذا الفهم كنا قد لاحظنا تجلياته في بعض المؤلفات الحديثة، حاول أصحابها البحث عن طريقة جديدة في التأليف البلاغي.

وقد يفهم التجديد على أنّه البحث عن صياغة جديدة لمعطيات قديمة، مثلما نقرأ ذلك في مفهوم ابن منظور، الذي يرد التجديد لغة عنده بمعنى : تصييّر الشيء جديدا، وجدّ الشيء أي صار جديدا وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر، وأجدّه، واستجدّه إذا أحدثه. [1].

ورد التجديد في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم، حين قال: " إنّ الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها"[2].وعلماء الأمة ومفكروها قد تحدثوا عن التجديد منطلقين من هذا الحديث، وسعوا في تحديد مفهومه، من خلال عرضه على الثوابت الإسلامية.

مادام أن بحثنا في اللغة وفي البلاغة على وجه التحديد، فإننا نحاول أن نرصد مفهوم التجديد عند علماء اللغة والفكر. ونجد أن حسن حنفي يعالج قضية المصطلح من منظور (اللغة التقليدية/ اللغة الجديدة) ويذهب إلى القول بأنّ اللغة الجديدة تحاول أن تتلافى عيوب اللغة التقليدية التي تعوق التعبير والإيصال، وتحاول أن تستبدل بخصائصها خصائص أخرى يمكن بواسطتها سهولة التعبير عن المضمون ودقة إيصال المعنى المطلوب. [3].

---

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد الإفريقي: لسان العرب ، دار صادر بيروت،(د.ط)، 1968، ج2،ص202، مادة (جدد)

[2] أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الملام- باب ما يذكر في قرن المائة:109/4 برقم (4291) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، 1990.

[3] حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 202، ص 12.

التجديد في اللغة في نظره هو تجاوز للعيوب التي وقعت فيها اللغة التقليدية. أي أنّه المسألة تتعلق بقضية البحث عن منوال جديد يقتضي الوقوف على مطبات قصور البحث اللغوي، ومحاولة رفعها بوضع تصور جديد يخدم علوم اللغة.

يذهب جميل صليبا إلى رأي مفاده أنّ التجديد في الشيء لا بد أن يعتمد صيغا مفهومة بين الناس، وإلا فلا يمكن أن يكون هناك ما يمكن أن يطلق عليه لفظة التجديد حيث قال: "جدّد الشيء صيّره جديدا، والتجديد إنشاء شيء جديد، أو تبديل شيء قديم "[1]

معنى هذا أن التجديد في اللغة أو الفكر ينطلق من مفاهيم متداولة بين الناس على حدّ رأي جميل صليبا، وأن يتجاوز العيوب والنقائص التي وقع فها الموروث اللغوي كما جاء في رأي حسن حنفي.

ليس التجديد كما يدّعيه بعض النقاد في ترك القديم، وإتيان الجديد، ليحلّ محله، ويأخذ مكانه، إذ إنّ التجديد يقتضي أولا وجود بناءقديم يجرى عليه التجدّد والتطوّر.واختلاف النظر في التأصيل لمفهوم « التجديد» أدى إلى اتجاه التوفيق، الذي ينظر أصحابه إلى التجديد باعتباره عملية توفيقية بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية، وذلك بهدف إيجاد نوع من المصالحة فيما بينهما.

وقد حدد هذا الاتجاه التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي في : وجود فجوة كبيرة بين وعي المسلمين المعاصر وبين الواقع المشاهد والمتمثل في هيمنة الغرب، وبالتالي فإنّ الحل المفترض لأية إشكالية يكمن في اعتماد مبدأ التجديد من أجل كشف الخلل القائم في الذهنية

[1] جميل صليبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)، (د.ت)،ج1 ص 242.

المسلمة وبعث قدراتها من جديد في الإبداع والتحضر والتقدم مع الاستفادة من علوم الغرب وتحديه بالسيطرة على الواقع الذي أفرزه. [1].

مشروع التجديد في حقيقة أمره اختلف التفكير في منطلقاته وأسسه بين باحث وآخر، فهو عند حسن حنفى ينهض على إعادة بناء هذا التراث من داخله، بإعادة بناء العلوم الموروثة، وبالاستعانة بوسائل من قلب الثقافة العربية، يقول فيما بيانه:" تكون غاية التجديد، رد التراث إلى مصدره الأصيل، ووصول بالتجديد إلى الغاية المرتجاة، والتراث والتجديد هي عملية حضارية تكشف التاريخ، فتعين على الوصول إلى تحديد من نحن؟ وهي عملية علمية، غايتها " التنظير المباشر للواقع" ضد خطأين شائعين، الأول هو الذي يتحدث عن العصر، وكأن العصر يحتوي على حلوله في ذاته، والثاني هو الذي يبدأ باستنباط الواقع من نظرية مسبقة "[2]

ثمّ إنّ التجديد في نظرنا يمسّ كل شيء يخضع لناموس التطور وسنة التحول، ومن ذلك العلوم والمعارف والثقافات والفنون، إذ هي تتغير عصرا عن عصر، وتتطوّر من جيل لآخر، وتراثنا البلاغي من هذا الناموس التطوري الذي هو أمر طبيعي وشيء ضروري لاستمرار الحياة.

يؤكد زكي نجيب محمود أهمية التجديد باعتباره عملية حضارية، إذ يقول:" فكيف يجوز التوهم بأنّ حياة العصر يمكن أن تصب بحذافيرها في قوالب السابقين؟ وإذا ما طالبنا أنفسنا بإحياء الماضي إحياء يسري به في جسم الحياة الحاضرة على نحو يجعلها محاكاة في الاتجاه، لا في

[1] عبد الرحمن الحاج صالح: مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، مجلة المنار الجديد، السنة السادسة يناير مارس 2003، ص 429

[2] حسن حنفي: التراث والتجديد، ص 18.

خطوات السير، ومحاكاة في الموقف، لا مادة المشكلات، وأساليب حلها(..) محاكاة في أن يكون الجديد مبدعا لما هو أصيل، كما كان الأسلاف يبدعون، تكون أن الثمرة المستحدثة على يد المجدد التي استحدثها العربي القديم، محاكاة في القيم التي يقاس عليها ما يصح، وما لا يصح " [1].

وانطلاقا من ذلك علينا أن نفهم التجديد في البلاغة برفض أطروحة من يدعو إلى إلغاء للبلاغة القديمة، وإلقاء كتبها في بحر الظلمات كما يقولون، بل لا بد أن يبحث الدارسون عن قراءة جديدة وفق مقولات العصر، تخلق ما يسمى باللغة الثانية للمعطى المعرفي القديم.

من ثمّة تذهب خديجة السايح إلى الإقرار بأنّ التجديد لا يقطع الصلة بالقديم، و إن جدد من قيمه، ومعالمه، تقول في هذا النّص: " و لم يكن للجديد أن يولد بدون القديم، وذلك، لأنّ الصلة واضحة في الصور الفنية واللغة، وهي الأداة الفنية والدعامة الكبرى للأداء، و لم يقم أحد بدعوة تجديد يعتد بها إلا بعد درس القديم والتعمق فيه والتمكن منه، حتى يتسنى لنا الوقوف على ما يستحق الإبقاء عليه من قديم، وتجديد ما بلى من تلك القيم، استجابة إلى الحاجات الملحة الحاضرة "[2]

الدعوة إلى التجديدسببها إلى ما شهده النصف الثاني من القرن العشرين في الكثير من التحولات الفكرية والأدبية، فبين حين وآخر يظهر مذهب أو دعوة إلى منهج جديد. والعربي وهو يعيش في أحداث عصره لم يكن بعيدا عن تلك التيارات والمذاهب والمناهج، فهو سريع التأثر بترعاتها انبهارا بالجديد أو تمثلا له أو نقدا.

---

[1] زكي نجيب محمود: مشكلات التراث، فصول " مجلة النقد الأدبي،ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج1، ع1،1980، ص19

[2] خديجة السايح: مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين، ص138.

البدايات الأولى في تجديد البلاغة

وقد ابتدأ البحث فيتجديد البلاغة العربية مع بدايات القرن العشرين، وظهر ذلك في شكل محاضرات ومقالات تدعو إلى تجديد البلاغة، وتغيير ثوبها الذي لبسته منذ القرن السادس الهجري.

ومن الباحثين الأوائل الذين دعوا إلى تجديد البلاغة العربية وتقديم تصور جديد لها، أحمد ضيف(1880- 1945م)، الذي أصدر كتابه: « **مقدمة لدراسة بلاغة العرب**»، وكان ذلك سنة 1921م. ويتمثل تصوره في تقديم تعريف للبلاغة بطريقة تختلف عن طريقة القدماء، وخرج من خلاله عن روح مدرسة السكاكي البلاغية. ورأى أنّ البلاغة هي: " كل قول الغرض منه قبل كل شيء الاستيلاء على نفس السامع أو القارئ بفصاحة العبارة وحسن التركيب وبراعة الكاتب أو الشاعر" ، أو هي " الكلام الفني الممتع، والكلام الفني يملأ نفس السامع وعواطفه في أيّ موضوع كان، وعلى أي معنى دل " [1].

الملاحظ في ذلك أنّ أحمد ضيف أراد من خلال التعريف أن يستغني عن التعريفات القديمة التقليدية التي انتهت إلى تعريف البلاغة على أنّها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2]

بَحث أحمد ضيف عن توسيع لمفهوم البلاغة لتشتمل فنون أخرى، ويراها على أنّها " فنّ من الفنون الجميلة مثل التصوير والموسيقى، والغرض منها تهذيب النفس، وترقيق العواطف، وتقوية الملاحظة، فهي مسلاة النفوس، وأنيس الجليس، فعلى هذا هي ضرب من الكمال. أما

[1] أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط1، 1921، ص 25.

[2] السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ص 178 .

من جهة أنّها عرض عام للحياة، وجعبة لأفكار الإنسان، ومسرح الآراء والفلسفة، فهي شيء من الضروريات لتربية الأفكار وتهذيبها "[1] .

ويكون أحمد ضيف بهذا الطرح أنّه الأول من نادي بتعميم تواجد البلاغة في جميع الحقول الإبداعية، والبلاغة من هذا المنظور هي الحياة بحكم أنّها تعبر عن أفكار الإنسان.

قسّم ضيف في محاولته التجديدية البلاغة إلى قسمين: وجدانية واجتماعية، وتكون في الأولى عبارة عما يجول في نفس الإنسان من عواطف وإحساسات وخيالات وغيرها. والثانية أن تكون البلاغة صورة غير صورة نفس الكاتب أو الشاعر[1].

هذا التقسيم يعتبر رأيا جديدا في البحث البلاغي؛ إذ لم يَظهر هذا التقسيم قبله، ولو أنّه غير مقنع، بحكم أنّ أحمد ضيف خلط في هذا التقسيم بين الأدب والبلاغة؛ لأنّ من أنواع الأدب، الأدب الوجداني والأدب الاجتماعي.

يمكن القول عن هذا الكتاب إنّ صاحبه ابتعد عن حقيقة البلاغة التي هي قبل كلّ شيء تكوين ملكة المتكلم لإدراك مواطن الإعجاز في القرآن الكريم، وأمّا ربط المؤلف البلاغة بتهذيب النفس وترقيق العواطف فهو أمر ضروري في كلّ إبداع، وأنّ العبرة في البلاغة في تآخي الشكل مع المضمون، وليس كما يدّعي أحمد ضيف بأن لا يُطلب من البليغ أن يملأ كلامه بشيء من المعلومات الصحيحة.

ظهر بعد كتاب أحمد ضيف في مجال التأليف البلاغي في العصر الحديث كتاب موسوم بـ« البلاغة الواضحة» سنة 1930، وقد قام بتأليفه علي الجارم(1881- 1949) ومصطفى أمين(1914- 1997).ورغم أنّ هذا الكتاب لم تظهر عليه تعديلات جوهرية إلاّ أنّ

[1] أحمد ضيف: المرجع السابق، ص 27.

منطلقه التجديدي جاء من خلال طريقة العرض وحسن اختيار الأمثلة وشرحها بأسلوب معاصر قريب إلى فهم القارئ. والملاحظ في كتاب « البلاغة الواضحة » كثرة الشواهد الأدبية، وكأنّ صاحبيه أراد العود بالبلاغة إلى العهد القديم، عهد المدرسة الأدبية، التي هجرها العلماء منذ كتاب السكاكي ومن جاء بعده.

ويتمثل قصد المؤلفين في كتابهما تخليص البلاغة من الأساليب العقلية والجدلية، وابتكار أسلوب جديد يخلص إلى تحقيـــق الفهم عند الطالب، يقـــولان فيما بيانـــه: " وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأن في إحياء الأدب، وتوجيه أذهان المعلمين والطلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة، ولعلنا نكون قد وفقنا إلى ما قصدنا إليه، والله خير مستعان" [2]

تدرج خديجة السايح محاولة علي الجارم ومصطفى أمين ضمن الكتب التي استخدمت المنهج التوفيقي، الذي حاول أصحابه أن يوفقوا بين كل ما هو قديم وجديد، مثمنة طريقة البحث في القضايا البلاغية، قائلة : " وهذا المنهج إن عرف عنه الاختصار في القواعد، والبعد عن الخلافات، إلا أنّ فيه إكثارا من الشواهد وتحليلها، والكشف عن النكتة البلاغية فيها، ... فالمنهج عربي سلفي عصري ولكن منهجه الذي يغلب عليه منهج المحافظة والتجديد (التوفيق) أو ما يسمى بالابتداع والتقليد "[3]

المتأمل في كتاب « البلاغة الواضحة» يجد أنّ المؤلفين لم يدخلا في جدل التنظير لطريقة جديدة في تدريس البلاغة، وإنّما كان مناط عملهما منصبا على التطبيق و التنفيذ دون صخب أو ضجيج، ولو أنّ هذا التصور المقدّم حاول التحرر والبعد عن العقلية المنطقية التي أصابت

---

[1] أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، ص37.

[2] علي الجارم، ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (المعاني، والبيان، والبديـــع)، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص3 .

[3] خديجة السايح: مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، ص 116.

البلاغة و الضيق الذهني الذي أصاب علماءها، فكانا يعرضان الشواهد للصور البلاغية، ثم يعقبان عليها بالتحليل الذي يؤدي إلى استنتاج القاعدة البلاغية.

وهدف الكاتبان إلى تسهيل تعريف الفنون البلاغية بطريقة لا تختلف كثيرا عن القدماء لكنّها تحقّق الفهم والإفهام، مثال ذلك تعريفهما للبلاغة على أنّها " تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون به"[1]، وهو تعريف نراه يتّفق في جزء مشهور مع تعريف الرماني للبلاغة، في قوله: هي " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[2]".

أمّا ما ذكره المؤلفان في هذا التعريف فيما يتعلق بالأحوال والأشخاص فقد تطرق إليه التراث البلاغي.كما أنّ هذاالتعريف في حقيقة أمره قريب من تعريف أحمد ضيف، غير أنّه تميّز بالجمال والشمولية في نظرنا. ومن جهة أخرى لم ينس المؤلفان تكييف كلام البليغ مع مقتضى حال السامع، وهو ما غاب في تعريف أحمد ضيف للبلاغة.

يتحدث الكتاب عن البلاغة بوصفها " فنّا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبيين الفروق الخفية بين الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني وتنشيط المواهب الفاترة، ولابدّ للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب، والتّملؤ من نميره الفياض، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينها، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسنا ويقبح ما يعده قبحا " [3].

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص8 .

[2] الرماني أبو الحسن: النكت في إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص 14. .

[3] علي الجارم ومصطفى أمين: المرجع السابق، ص 8

كأنّ هذا الكلام الذي أتى به المؤلفان مأخوذ ممّا نقله الجاحظ عن الخطابة، في قـــوله: " رأس الخطبة الطبع، وعمودها الدّربة، وجناحاها رواية الكلام. وحُليها الإعراب. وبهاؤها تخير اللفظ. والمحلبة مقرونة بقلة الاستكراه" [1].

الذي يمكن ذكره أنّ الدارسين المحدثين اهتموابكتاب «البلاغة الواضحة»، بوصفه نقلة جديدة في التأليف البلاغي في العصر الحديث. وعدّ أساس التدريس لهذه المادة في الثانويات والجامعات.وكَتب أحمد مطلوب عنه في استعراضه لكتب البلاغة في العصر الحديث، يقول عنه: " ومن أهم الكتب المتداولة " البلاغة الواضحة" للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين، وهذا الكتابحلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد وحفظ القوالب إلى الاهتمام بالتحليل، وقد اتّبع المؤلفان أسلوبا تربويا جديدا، يقوم على ذكر الأمثلة واستنباط القواعد وشرحها.. ولعل أهم ما يمتاز به كتابهما البحث في الأسلوب، وهو بحث جديد في البلاغة التي لم تخرج على ما خطه السكاكي وقرره القزويني " [2]

يرجع حنفي شرف سبب الاهتمام بهذا الكتاب؛ لابتعاده عن العقلية المنطقية، يقول فيما بيانه: " كان يمتاز هذا الكتاب بأنّ فيه شيئا من التحرر والبعد عن العقلية المنطقية التي أصابت البلاغة والضيق الذهني الذي أصاب علماءها، فكانا يعرضان الشواهد للصورة البلاغية ثم يعقبان عليها بالتحليل الذي يؤدي إلى استنتاج القاعدة، وهذه الطريقة وذلك المنهج وإن عرف عنه الاختصار في القواعد والبعد عن الخلافات، إلاّ أنّ فيه إكثارا من الشواهد وتحليلها والكشف عن النكتة البلاغية فيها "[3].

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2004، ج1، ص 37 .

[2] أحمد مطلوب: مناهج بلاغية، الكويت، ط1، ص 355 وما بعدها . .

[3] حفني شرف: الصور البديعية،ط1، ص 355 .

يشيرهذا القول إلى أنّ الاهتمام ورعاية المؤلفات الجديدة في البلاغة منطلقه ابتعاد صاحبه عن صورة الدرس البلاغي كما ورد في مصنفات أصحاب الشروح والحواشي، وهي دعوة صريحة إلى ضرورة الفصل بين البلاغة والمنطق والفلسفة.

أمّا بدوي طبانة فنجده يعرض لهذا الكتاب بإسهاب ضمن حديثه عن البيان البلاغي فيقول: " ومن أنفس كتب هذه المدرسة في القرن العشرين كتاب " البلاغة الواضحة" الذي ألفه الأستاذان مصطفى أمين وعلي الجارم"[1] .

أطلت في العصر الحديث أفكار كثيرة حول البيان والبلاغة، " كانت حربا عليه، ودعوة إلى التخلص من سمات الجمال التي يزدان بها هذا الأدب، ويعد أكثرها جوهرا من جواهر الأدب، وعنصرا من العناصر المميزة له"[2]

شهد الأدب البياني حملة شرسة في العصر الحديث، وكان الرفض واضحا من بعض النقاد على التأنق في الأدب.ومن أبرز هذه الحملات ما كتبه سلامة موسى في كتاب سماه " البلاغة العصرية واللغة العربية"، نسب فيه جمود الأمة وتوقف تفكيرها إلى اللغة، محاولا الاحتكام إلى العقل أو المنطق. ومن حملاته قوله: " أن نأخذ من العامة للكتابة أكثر ما نستطيع، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع، حتى نصل إلى توحيدهما "[3]، وهي دعوة تبدو غريبة، ولها خلفياتها الفكرية.

ينقد بدوي طبانة فكرة هذا الكتاب، ويراه صدر عن حقد متأصل، يقول فيمابيانه:" ومن يمعن النظر في هذا الكتاب يجده أبعد شيء عن كل بلاغة عصرية، وعن كل بلاغة غير

---

[1] بدوي طبانة: البيان العربي(دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى)، دار الثقافة، بيروت،ط5، 1976، ص 281.

[2] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 282.

[3] سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1954، ص 103.

عصرية أيضا. وهو إذا كان يحتكم فيما يقول إلى العقل أو إلى المنطق، فإنّ كلامه لا صلة له بشيء من العقل والمنطق، وإنّما يصدر فيما كتب عن حقد متأصل، وهوى غير مستتر لا يعترف معهما بشيء من الحقائق المسلم بها " [1]

مقترح سلامة موسى في توحيد اللغة مفيد للأمة العربية، أمّا زعمه في الانحطاط إلى العامية والأخذ منها فهو أمر لا يمكن القبول به؛ لأنّ التباين واضح بين البلاغة التي نشأت في أحضان القرآن الكريم، والعامية التي أظهرها ضعف الحضارة العربية.

ومن مقولات سلامة موسى في تجديد هذهالبلاغةدعوته إلى أن يكون " المنطق أساس البلاغة، وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشئ بدلا من مخاطبة العواطف. البلاغة بفنونها المختلفة كما هي الآن في لغتنا العربية تخاطب العواطف دون العقل، وهذا ضرر عظيم"[2]. وهو حكم نراه يجانب الصواب، وكأنّ الرجل لم ينتبه إلى الوظيفة الإقناعية للبلاغة العربية[3].

يكمن سبب الثورة على هذا الكتاب في أنّ صاحبه نسب جمود الأمة وتفكيرها إلى اللّغة، وكل عقبة في سبيل الإصلاح، سواء أ كان الإصلاح سياسيا أم اجتماعيا، أم اقتصاديا، وحجته أنّ التفكير يكون بالكلمات، وأنّ سلوكنا في البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كلّ شيء سلوك لغويّ، لأنّ كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والكلمات[4].

---

[1] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 290 .

[2] سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، ص25.

[3] أشار محمد العمري أنّ في التراث البلاغي العربي الكثير من الملاحظات العبقرية في الحديث عن (المقام)، و (الشاهد)، و(المثل) وفي دراسة أساليب النثر وصناعته، وكانت إلى جانب ذلك اجتهادات الفلاسفة المسلمين، خاصة ابن سينا وابن رشد في شرح أعمال أرسطو في الخطابة والشعر ، بمعنى الحديث عن الوظيفة الإقناعية له وجوده في تراثنا العربي. للتوسع كتابه: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا)، إفريقيا الشرق،المغرب، ط2، 2002، ص 9 .

[4] سلامة موسى: المرجع السابق، ص 10.

توالى التأليف البلاغي في البدايات المبكرة في العصر الحديث للنظر في قضية البلاغة العربية، ليظهر أحمد الشايب كتابه: « الأسلوب »، وهو عنوان لم يألفه القارئ المتخصص في الوطن العربيّ.

أخذ أحمد شايب فكرة البحث في الأسلوب عن علي الجارم ومصطفى أمين، وأصدر كتابه « الأسلوب»، ورأى فيه أنّ الدراسة النظرية للبلاغة العربية انتهت عند المتقدمين إلى علوم المعاني والبيان والبديع، يدرسون في الأول الجملة منفصلة أو متصلة، ويدرسون في الأخيرين الصور بسيطة أو مركبة من تشبيه ومجاز وكناية وحسن تعليل، مع توابع أخرى في علم البديع [1].ونظر الشايب إلى هذه الدراسة على أنّها لا تستوعب أصول البلاغة كما يجب أن تكون لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه.

و حاول في هذا الكتاب تقديم وضع جديد للبلاغة " يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها: العلمية والإنشائية"، ورأى أنّ البلاغة تدخل في بابين: باب الأسلوب، ويدرس الحروف، والكلمات، والجمل، والصور، والفقرات، والعبارات، وأن يكون ذلك بالاعتماد على علوم الصوت، والنفس والموسيقى. أما الباب الثاني: فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعرا أو نثرا. [2]. وهو نهج يكون فيه أحمد الشايب قد تخلص من عبء مشكلة التقسيمات التي تميزت بها البلاغة القديمة.

ولقي كتاب « الأسلوب» ترحابا في أوساط الباحثين وقراء البلاغة؛ إذ يراه بدوي طبانة " أول محاولة ايجابية في سبيل بعث البلاغة العربية، والبحث عن مجالاتها، وما يمكن أن تتسع له، وما لا ينبغي أن تجاوزه. وكان كتاب « الأسلوب » ثمرة خبرة عميقة، وتجربة طويلة في درس

[1] أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة، مصر، ط5، (د.ت)، ص 3

[2] المرجع نفسه، ص 121.

البلاغة وتدريسها لطلاب كلية الآداب ودار العلوم، واطلاع واسع على مراجعها العربية، وما كتب حولها في بعض اللغات الأجنبية"[1]

الملاحظ أنّ طريقة تجديد البلاغة العربية سارت وفق اتجاهات ومظاهر، شكلت اختلاف وجهة النظر في هذا الموضوع، وذلك بتعدد الرؤى فيه، بين[2]:

- الاعتماد على التراث البلاغي وجعله أساسا للتجديد.
- أو إلغاء الكتب القديمة التي تناولت البلاغة بمنهج السكاكي
- أو مزج البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الأوروبية، والجمع بين بلاغة العرب، وبلاغة الغرب.

كثيرةهيالدراسات التي تناولت الأفكار البلاغية الحديثة، وهدفت إلى نبذ القديم، حتى وصلت إلى الهجوم عليه. ويجسد ذلك العناوين التي حملتها أطاريح بعض البلاغيين في العصر الحديث، كما نجد ذلك واضحا في مقال بعنوان: " ثورة على علوم البلاغة" لعبد العزيز البشرى(1886-1943 م) ، وهو من الأزهريين، الذي رأى " أنّه ما دامت للبلاغة علوم مقررة ومعارف واضحة، وقواعد مفصلة مقسومة، وقضايا محدودة مرسومة، فقد أصبح من السهل اليسير على كل من يجيد علمها، ويحذق فهمها أن يجئ بالبليغ من القول إذا نَظَمَ أونَثَرَ، بل لتهيأ له أن يجئ بأبلغ الكلام، بل بما ينتهي منه إلى حدود الإعجاز، ما له لا يصنع، وقواعد البلاغة تشير بأوضح الإشارة إليه، وتدل بأفصح العبارة عليه؟ " [3].

---

[1] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 305.

[2] محمد بركات: الاتجاهات البلاغية في العصر الحاضر، دار الفكر، عمان، ط1، 1997، ص17 .

[3] عبد العزيز البشرى: ثورة على علوم البلاغة، محاضرة ألقيت في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد خص بها البشرى مجلة الهلال في شهر يناير سنة 1937، ص265.

لكنّ هذه النتيجة المنتظرة في نظم الكلام أو نثره لا يتأتى تحصيلها بهذه الطريقة في تلقي علوم البلاغة، ويعرض عبد العزيز البشرى لعدم ارتياحه إلى هذا الفكر القويم والمنطق السليم، حيث يقول فيما بيانه: " إنّ دراستهم لعلوم البلاغة في أفحل كتبها المقسومة، وأعلاها مكانا لاحظ لكثير منهم في فصاحة ولا في بيان،بل إنّ أشياخهم الذين استهلكوا الدهر الأطول في درس هذه الكتب، وتحقيق قضاياها ومسائلها، حتى فروا أبوابها فريا، وبروا فصولها بريا، وهؤلاء – كثير منهم- لا غناء لهم في فصاحة لسان ولا في نصاحة بيان "[1].

ويهدف مقال البشرى إلى عدم إلغاء علوم البلاغة العربية، لكنه يدعو إلى تليينها وتمرينها حتى تصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على الذوق، بحيث تتطور مع الأفهام والأذواق وعلى أن يوصل تدريسها في المدارس والجامعات بدرس الأدب نفسه.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، ظهرت دراسات كثيرة، قدمت تصورها بشأن المأمول من البلاغة العربية، واتخذت اتجاهات مختلفة للوصول إلى المبتغى الذي أراده المجددون نتعرف عليها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[1] عبد العزيز البشرى: ثورة على علوم البلاغة، ص 266

المبحث الثاني:

اتّجاهات تجديد البلاغة العربية

الحديث عن التجديد في الدرس البلاغي الحديث والمعاصر يقودنا إلى توضيحه من خلال تصنيف طرائقه المختلفة، بغية الوقوف على المرجعية العلمية التي انطلق منها المحدثون من أجل وضع صورة جديدة لهذا الدرس وفق اتجاهات مختلفة.

نذكر في مستهل هذا المبحثأنّ المحدثين يكادون يشكلون الإجماع بخصوص الموقف اتّجاه البلاغة السكاكية، واتّصافها بالتعقيد والجفاف، وهو ما يعتبر في نظرنا منطلقا للدعوة إلى التجديد. على خلاف موقف مدونة البحث« محمد عبد المطلب».

قبل ذلك لا بأس أن نشير إلى أنّ التصوّرات التي قدّمها أصحابها في تجديد البلاغة العربية أخذت طابعين[1]:

الطابع الأول: يشمل المؤلفات التي عالجت موضوع التجديد هدفا لها، وأودعها أصحابها خلاصة لآرائهم. ومن هذه المؤلفات: « البلاغة العصريةواللغة العربية» لسلامة موسى، و « دفاع عن البلاغة»لأحمد حسن الزيات، و« فنّ القول» لأمين الخولي، و« الأسلوب» لأحمد الشايب، و « البلاغة العربية تأصيل وتجديد» لمصطفى الصاوي الجويني، و« البلاغة العربية قراءة أخرى » لمحمد عبد المطلب.

الطابع الثاني: مؤلفات كتبها أصحابها حول موضوعات البلاغة وذكروا فيها آراء لهم في تجديد البلاغة العربية وعلى صفحات محددة، وهي معظم الكتب المعاصرة في البلاغة والنقد ومنها: « النقد المنهجي عند العرب» لمحمد مندور، و « البلاغة تطور وتاريخ » لشوقي ضيف، و« النقد الأدبي الحديث» لأحمد كمال زكي، و« الصبغ البديعي في اللغة العربية» لأحمد موسى، و « البيان العربي» لبدوي طبانة.

[1] حيدر حسين عبيد: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما الأسرار والتلخيص (دراسة موزانة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص 211 .

ومن الطابع الثاني، نذكر محاولة بدوي طبانه، الذي خصص صفحات في خاتمة كتابه " البيان العربي" للحديث عن محاولته في تجديد البحث البلاغي. ورأى أنّه يتعين لتحقيق الغاية من الدراسة البيانية تعديل في المنهج المألوف، يفيد من مسار الاتجاهات قديمها وحديثها، ويساير الأدب في نهضته وتجدده.

ومن القضايا التي ناقشها في هذه الصفحات القول بتخصيص البحث عن المطابقة في الكلام من لدن علم المعاني، ورأى أنّ هذا المعنى لا يتوقف عند حدود هذا العلم، فهو في نظره تحديد سقيم. وقال إنّ " دائرة المطابقة لمقتضى الحال أوسع من هذه الدائرة بكثير ولا تقف عند المباحث الثمانية التي ذكروها في علم المعاني"[1]، وهو رأي ليس بجديد، وقد تنبه له أمين الخولي، ويكون طبانة قد تأثر بمقولاته، واستخدمها في تصوره لتجديد البلاغة العربية.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال عند بدوي طبانه تشمل مجالات أخرى نحددها في الشكل التالي[2]:

- مطابقة الأفكار والمعاني للموضوعات المختلفة.
- مطابقة الأفكار والمعاني لعقول السامعين والقارئين.
- المطابقة في الصورة.

ومما يستخلص من هذه المحاولة أنّها حاولت إدراج البلاغة في دراسة مختلف الفنون، إذ يقول: " أحسب أنّها تتسع لدراسة فنون الأدب، ورسم خطوطها، ولا تقتصر على بعض الشعر أو بعض الأجزاء القليلة من الفن الأدبي، وإنّما ينبغي أن تحدد كل فن من فنون

---

[1] بدوي طبانه: البيان العربي، ص .402

[2] المرجع نفسه، ص 408 .

الأدب، وتشرح مظاهر الإجادة وأسباب التـــوفيق فيه، كما رسمت الطـــريق للكلمـــة المفردة وللجملة المركبة "[1].

ومعنى هذا أنّ التجديد في ميدان البلاغة شغل حيّزا كبيرا من اهتمام علماء الأمة. ومن الملاحظات الهامة في استقراء مسيرة تجديد البلاغة أنّ الذين حملوا هذا اللواء مارسوا تدريس البلاغة، وهي آراء جاءت إثر معاناة ونتيجة خبرة مما يجعلها جديرة بالنظر والاعتبار. بغية الوقوف على مرجعيتها وطبيعة الاتجاه الذي تبنته في تقديم أطروحاتها التجديدية.

بحث مصطفى الصاوي الجويني في ماهية الدرس البلاغي الجامعي، وحاول أن يَدرس بلاغة " كوكبة من أعلام الأدب وأساتذة في بيئات الجامعات على تنوع مناهجهم وتعدد طرائقهم وهذه الحركة الأدبية الغائرة الهادرة التي هي آية عبقرية هذه اللغة العربية التي تتنوع مع الزمان أنواعها الأدبية " [2]ولأنّ من بين العلوم الإنسانية علما هو أسرع في التطور، وأمضى في الحركة وأبعد عن الثبات والجمود من البلاغة، وذلك بحكم طبيعتها من ناحية، وبحكم ارتباطها بالأدب من ناحية أخرى، فكثيرا ما تختلف أذواق أمة عن أمة بل كثيرا ما تختلف أذواق الأمة الواحدة من جيل إلى جيل.

الدرس البلاغي يموج بالحركة والتجّدد فلا مسائله مستقرة ولا مناهجه تتوقف عن التجديد؛ إذ إنّ البلاغة " تعرضت لثورة جامحة، بعثت حيوية فكرية فيما دار من نقاش بين سلامة موسى و أحمد حسن الزيات، ثمّ خَطط تجديدها في تشكيل أسلوبي: الشايب وأمين الخولي والأسلوبيون المعاصرون وكان معهم كوكبة من أعلام الأدب وأساتذة في بيئة الجامعات

[1] بدوي طبانة: البيان العربي، ص 411.

[2] مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1999، ص6.

على تنوع مناهجهم وتعدد طرائقهم وهذه الحركة الأدبية الغائرة الهادرة هي آية عبقرية هذه اللغة العربية التي تتنزع من الزمان أنواعها الأدبية "[1]

لذلك أصبح لزاما على دارس البلاغة أن يكون قادرا على متابعة التطور والتغير المستمر، والأهم من ذلك أن يكون على وعي كامل بما يقدّمه هذا التطور في حياة البلاغة بوسائل تعينه على مقاومة قديمه وحديثه والعمل على إثراء التجارب الفنية لبلاغته وتطويرها.

من أجل الوعي بمشروع التجديد، وفهم مشكلة البلاغة العربية في العصر الحديث والمعاصر ظهرت اتجاهات مختلفة حاولت أن تقدم تصورها في معالجة القصور الذي وقعت فيه البلاغة القديمة، مما فتح المجال إلى تعدد الآراء والمنطلقات التي يمكنتقسيمها وفق اتجاهها الرئيس على النحو التالي:

الاتجاه النفسي[2]:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ تجديد البلاغة العربية منطلقه التخفيف من ثقل القواعد والقوانين التي وضعتها المدرسة السكاكية، ووصل البلاغة بالحياة والمجتمع، وذلك من خلال الاستعانة بعلوم النفس والأخلاق والجمال، من أجل مساعدة البلاغة على تأدية رسالتها، وبلوغ هدفها، والوقوف على محاسن الصورة الأدبية بروعتها وجمالها.ومن رواده: أحمد أمين(1886- 1954 م)، و العقاد(1889- 1964م)، و الرافعي(1880-1937م)، وطه حسين(1889-1973م)، وأمين الخولي(1895-1966م) ، ومحمد خلف الله أحمد (1904- 1983 م) .

---

[1] مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، ص 5 وما بعدها .

[2] برز الاتجاه النفسي في الدراسات البلاغية بعد ظهوره في النقد الغربي، ويعتبر من المناهج التقليدية، بدأ منذ مطلع القرن العشرين تقريبا، وجاء من عيادات الأطباء، ومن أبرز رواده: فرويد (1856- 1939م)، ويهدف المنهج النفسي في دراسته للأدب إلى البحث في عملية الخلق والإبداع الفني، وبيان العوامل الشعورية، وغير الشعورية التي تتشكل من خلالها. للإطلاع أكثر : وليد قصّاب: مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، ص 53 .

يذهب الزيات إلى القول بأنّ طالب البلاغة في حاجة إلى ألوان كثيرة من الثقافة، وأقل ما يجب عليه درسه هو اللغة والطبيعة والنفس، وحجة الزيات في ذلك أنّ دراسة النفس هي الينبوع الثر لما يزخر به الشعر والنثر من مختلف الغرائز والعواطف و الأفكار، يقول فيما بيانه: " وإذا كان من خصائص الكاتب أن يخلق أشخاصا للقصص، ويمثل أهواء على المسرح، ويعالج أخلاقا في المجتمع ويحلل عقدا في النّاس، فمن غير المعقول أن يحسن شيئا من أولئك إذا لم يكن عليما بأسرار القلوب، وأهواء النفوس، وما ينشأ من التعارض والتصادم بين الغرائز والأخلاق، وبين العواطف والمنافع " [1].

وتأثر أمين الخولي بالمنهج النفسي، وظهر ذلك في الدراسات التي قدمها بخصوص موقفه من البلاغة القديمة. وأرجع العوامل التي تضافرت في بناء صرح البلاغة العربية إلى عامل المدرستين، المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية[2].ويقوم مفهوم التجديد عند أمين الخولي في ربط درس البلاغة بالثروة الأدبية للغة المدروسة، وإقامته على أساس وجداني ذوقي. [3]، وهو موقف يعبر عن رفضه دخول البلاغة مجال العلميّة.

يبدأ البحث البلاغي عنده عن الكلمة المفردة، وينتهي إلى الأثر الأدبي كله في ظلال أدبية وتناول أدبي وروح ذوق قوية، لا يعوق ذلك شيء من صعوبة تحقيق لفظ، أو تحديد اصطلاح، أو ضبط منطقي فلسفي لمعنى في قوالب نظرية جدلية[4].هذا التصور الذي يطرحه أمين الخولي لا يبتعد كثيرا عن مناهج البلاغة القديمة، قبل أن تطغى تعاليم المدرسة الكلامية التي يمثلها السكاكي في مفتاحه.

---

[1] الزيات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1967، ص

[2] أمين الخولي: فنّ القول، ص 259.

[3] المرجع نفسه: ص 5 وما بعدها .

[4] نفسه، ص 258 .

وعمل الخولي على بيان تصوره في تجديد البلاغة في كتابه: « فن القول»، الذي ارتسمت خطته على تحديد لأصول الدرس البلاغي، والتي تتصل بتعريف فن القول وتحديد غايته، وصلته بغيره من الدراسات وبفن الأدب[1].ثم توجه إلى تحديد مقدماته التي عالج فيها الفن وحقيقته، ومترلته بين المعارف الإنسانية وعلاقته بالفلسفة وبالعلم والجمال[2].

وتناول المؤلف بعد ذلك أبحاث الدرس من خلال دراسة الكلمة وجرسها الصوتي، ثم دراسة الكلمة من حيث هي جزء من الجملة، ومباحث الجملة، ثم الفقرة، وصور التعبير. وفي البحث الخامس تناول الخولي دراسة البلاغة من حيث هي في القطعة الأدبية، وعكف على دراسة الأساليب الفنية ودلالاتها على شخصية الأديب. حاول من خلاله إظهار رأيه في موضوع التجديد، وتقديم تصوراته بشأنه[3].

و لم يرض أمين الخولي بالشكل التي اتخذته الأبحاث في كتابة تاريخ البلاغة العربية، بل اجتهد في وضع منهج جديد لتحقيق هذه الغاية، أقامه على الجوانب التالية[4]:

– تأريخ مسائل المادة وقضاياها تأريخا يعطي سجلا بينا لعمرها وما طرأ عليها من تغيير.

– تاريخ المفكرين وقادة الرأي من أصحاب الآراء المتميزة يكشف عن شخصياتهم، وأثرهم في المادة وما تأثروا فيه بغيرهم.

---

(1) أمين الخولي: فنّ القول، ص 261.

(2) نفسه، ص 270 .

(3) نفسه 106 .

(4) أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط4، 1978، ص191.

- تاريخ التأليف في المادة المؤلفة تأريخا بين عمل المؤلف في كتابه، ومن أين أخذ؟ وماذا أضاف؟، وما أسلوبه في ذلك؟، والمنزلة اللائقة به؟.

والجدير بالاهتمام أنّ أمين الخولي يحاول في ذلك أن يعيد صناعة التفكير البلاغي للقارئ العربي من خلال إبداء رأيه في أهمية تاريخ العلم باعتباره منفذا يساعد في فهم الدرس البلاغي.

يبدو التأثير الغربي واضحا في كتابات أمين الخولي، ويقول صلاح فضل في تقديمه لكتاب « الفنّ القول» : " عندما شرع الأستاذ الخولي في عرض تصوره لموقف المحدثين وصورة البلاغة الأسلوبية عندهم، استقى مادته المباشرة من مؤلفين إيطاليين، أحدهما يسمى (لاباريني) في كتابه (الأسلوب الإيطالي)، والثاني هو (لويجي فالماجي) في كتابه عن (عناصر الأسلوب والعروض) وكان يهو يطه في المزيد وألا يقف الخولي مكتفيا بحكم ظروفه بالشرارة الأساسية لهذه التوجهات.. ثمّ إنّ الخولي يتحفظ على صنيع البلاغة القديمةحين قصرت (علم المعاني) على ما تفيده المعاني الثانوية، و(علم البيان) على مراتب تلك الإفادة، وأنّهما بهذا وإن كانا من المركبات إلا أنّهما يقابلان في الصورة المفردة: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد والاحتراز عن التعقيد المعنوي "[1].

إذا عدنا إلى الحديث عن المنهج النفسي في التراث اللغوي فإنّ المصنفات البلاغية القديمة حافلة بما يؤكد العلاقة بين البلاغة ومراعاة الجانب النفسي. ولعل القاضي الجرجاني (366ه)في تحليله الملكة الشعرية وإرجاعها إلى مجموعة من العوامل كالطبع ، والرويّة، والذكاء، واحد ممن أدركوا أهمية البعد النفسي في الإبداع، يقول: " وقد كان القوم يختلفون.. فيرق شعر أحدهم ويصعب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق

[1] أمين الخولي: فنّ القول، مقدمة صلاح فضل، ص 7 . .

غيره، وإنّما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة " [1]

والتحليل البلاغي للشعر من الوجهة النفسية نجد أثره في كتابات عبد القاهر الجرجاني(451هـ)؛إذ يربط بين مزية النّص ولطفه وما يتسم به من غموض، يقول: " ومن المركوز في الطبع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزيّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطـــــــــف وكانت به أَضَـــــنَّ و أشغف" [2]

ومن هذا المنطلق نجد أصحاب الاتّجاه النفسي يقرون بما قدمه عبد القاهر من نصوص قيّمة الدلالة، يقول محمد خلف الله : " طريقة التذوق والتأمل الباطني والاهتمام بالنفس بمراعاتها في مختلف أحوالها، بلغت القمة لدى عبد القاهر في (أسرار البلاغة)، فالمؤلف- يعني عبد القاهر- لا يفتأ يدعوك بين لحظة وأخرى إلى التجربة النفسية التي يسميها المحدثون (الفحص الباطني) وهو أن تقرأ الشعر وتراقب نفسك أثناء قراءته وعقب القراءة، وتتأمل ما يعروك من الهزة والارتياح والطرب والاستحسان، وتبحث عن مصادر هذا الإحساس وبواعث ذلك التأثير، إذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنت، فانظر إلى حركات الأريحية مما كانت وعن ماذا ظهرت "[3].

والملاحظ في التفاتة المحدثين إلى أهمية الجانب النفسي وعلاقته بالدرس البلاغي لم تتوقف عند هذا الحد، بل ذهب أنصار هذا الاتجاه إلى إغراق الدرس البلاغي بمقولات علم النفس، وهو ما تجلى في أطروحة أمين الخولي ودعوته بضرورة أن " تُقدّم بين يدي الدرس البلاغي

---

[1] القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص13

[2] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، ص 139 .

[3] محمد خلف الله: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مقدمة.

مقدمة نفسية يَعرِف الدارس فيها شيئا عن الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى من ناحية عمله الفني، ويعرف مثل هذا عن الخيال والذاكرة والإحساس وعن الذوق، كما يعرف الكثير عن أمهات الخوالج الإنسانية من حب وبغض، وحزن وفرح، وغيرة وانتقام وما إلى ذلك مما هو مادة المعاني الأدبية الكبرى في الآداب الإنسانية كلها "[1].

مثل هذه الصيحات التي تعالت إلى الاعتماد على علم النفس في بناء قواعد الدرس البلاغي ظهرت مبكرا في الدراسات العربية منذ أحمد مصطفى المراغي، الذي ألفّ كتابه " علوم البلاغة "، ودعا فيه إلى تطبيق العلم على العمل في البلاغة، من خلال الاهتمام بقواعد علم النفس، تعويدًا للناظر الركون إلى الوجدان والحس[2]. غير أنّ آثار علم النفس في دروسه التي تخصّها لعلوم البلاغة الثلاثة(المعاني، والبيان، والبديع) تكاد تكون منعدمة.

يرى فتحي فريد أنّ المغالاة في تقدير الاتجاه النفسي في دراسة البلاغة لا يجعلها تحقق أهدافها الدينية والأدبية والنقدية، ولا تحقق أهداف البلاغة، وهي إن أفادت الطلاب في معرفة أنواع الأساليب ومذاهب النقد وعناصر الشعر وغير ذلك، فليس لها فائدة محققة في كيفية الموازنة بين الأساليب وتمييز الجيد من الرديء وإدراك الأسرار البلاغية لكلام الله، وهي أهم ما كانت من أجله الدراسات البلاغية[3] .

ومحمد مندور يذهب إلى أن تطعيم درس الأدب بعلم النفس ينبغي أن يكون من خلال درس الأدب وما فيه من ظواهر نفسية، وأن يكون كالضوء الداخلي الذي يشع من نفس الناقد

---

[1] أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 146 وما بعدها .

[2] المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة، ص 11 .

[3] فتحي فريد: المدخل إلى دراسة البلاغة، مكتبة النهضة، مصر،(د.ط)، 1978، ص 11 .

فيعينه على استخلاص أصالة الأديب الخاصة، ولكن من غير إقحام هذه لهذه المعرفة على الأدب ونقده، لأنّ الأدب منبع لكل تلك المعارف[1].

الملاحظات التي أبداها النقاد في عدم المغالاة في توجيه الدرس البلاغي إلى علم النفس جديرة بالاهتمام؛ لأنّه لا يعقل أن يتم الخلط بين العلوم في استعمالها، ولكل علم الحقل الذي يعمل فيه، وما يمكن أن نتنبه له أن تبقى هذه العلوم الخارجة عن مجال البلاغة مجرد وسائط تقدم المساعدة للمحلّل البلاغي في الوصول إلى تحقيق هدفه في تذوق الإبداع.

الاتجاه البياني :

نتج الاتجاه البياني في الدراسات البلاغية الحديثة من تأثير الاتجاه النفسي، والملاحظ أنّ هذا الاتجاه البياني الذي تتزعمه دراسيا بنت الشاطئ، تقرّ بنهج طريق أمين الخولي في التعامل مع البلاغة العربية، وهو اتجاه يهتم بإبراز مناحي الإعجاز في القرآن الكريم عن طريق الاستعانة بعلم البلاغة. ويقوم منهج أمين الخولي في تفسير النّص القرآني على التناول الآتي[2]:

- التأمل في الظروف العامة التي أحاطت بالنص القرآني، أي الانفتاح على علوم القرآن.
- تحليل النص بالنظر في مفرداته وتتبع أصولها ومعانيها في العصر الذي نزل فيه القرآن مع القيام بالاستقراء لتلك المعاني بمختلف استعمالاتها في القرآن الكريم.
- القيام بالدراسة الأسلوبية، أي الاستعانة بالصنعة النحوية بقصد بيان المعنى وتحديده والنظر في اتفاق المختلف للآيات.
- النظرة البلاغية، و المقصود بها النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي.

---

[1] مندور، محمد: النقد والنقاد المعاصرون، مكتبة نهضة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 104 .

[2] أمين الخولي، مناهج تجديد، ص 365. .

تنقد عائشة عبد الرحمن (1913-1998م) المعروفةبنت الشاطئ المنهج المستعمل في تفسير القرآن الكريم، وترى صوابه فيما أشارت إليه في مقدمة كتابها، إذ تقول: " وكان المنهج المتبع في درس التفسير- إلى نحو ربع قرن من الزمان- تقليديا أثريا، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، حتى جاء شيخنا الإمام " الأستاذ أمين الخولي" فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصّا لغويًّا على منهج أصله، وتلقاه تلامذته وأنا منهم"[1]. وهذا نصّ واضح الدلالة في محاولة طرح تصوّر جديد في تفسير القرآن الكريم من خلال الحضور اللغوي في المدونة التفسيرية.

يقوم منهج بنت الشاطئ في تحديد البلاغة على التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن الكريم، بحيث يجمع كل ما في كتاب الله من سور وآيات في الموضوع المدروس، ومعرفة أسباب نزول الآيات والوقت الذي نزلت فيه حيث يعين ذلك على تفهم ما حول النص، كما يقوم على البحث في دلالات الألفاظ والوقوف على استعمالاتها الحقيقية والمجازية واستقراء كل المواطن التي استعمل فيها القرآن الكريم، والاحتكام إلى سياق النصوص الأدبية لتوضيح المبهم أو تخصيص العام حيث يفسر القرآن بعضه بعضا[2].

و الملاحظ اجتهاد بنت الشاطئ أنّها دراسة لغوية، ولدى تتبعنا لتفسير سورة الضحى أنّها اشتغلت على بيان معنى " الضحى"، ودلالتها في التفاسير السابقة، عند الطبري والرزاي وتفسير محمد عبده، وكان حظّ البلاغة قليلا[3].

---

[1] عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط7، (د.ت)، ج1 ، ص13.

[2] المرجع نفسه،ص 17.

[3] نفسه، ص 25 وما بعدها .

يجد القارئ في كتاب بنت الشاطئ تفسيرا لغويا لألفاظ القرآن الكريم على غرار بعض التفاسير التي أغرق أصحابها في الاهتمام باللغة، حيث خرجت من دائرة التفاسير إلى دائرة الأبحاث اللغوية .ولهذايرى فتحي فريد أنّ اللغة للكاتب البلاغي والبياني وسيلة لا غاية، فهو يستعين بها على قدر ما ينتهي به إلى الغرض المقصود والمعنى المطلوب[1].

دعوة أمين الخولي إلى الدراسة الأدبية للقرآن من منظور جديد، وفق طريقة الموضوعات تلقاها باحثون آخرون، ومنهم محمد أحمد أبوبكر، الذي دَرس في محاولته التجديدية في البلاغة موضوع الموت في القرآن الكريم تحت دراسة بلاغية أسلوبية، هدفها في نظر صاحبها، أن تسد نقصا في الدراسة البلاغية لموضوع الموت وآياته في القرآن الكريم [2].

لكنّ هذه الدراسة تبقى هي الأخرى سقطت في فخّ الغلو في الاهتمام بالجانب اللغوي و البلاغي على وجه التحديد، مشابهة لدراسة بنت الشاطئ، ولو أنّ الثانية حاولت الاستفادة بشكل أكبر من الدرس الأسلوبي.

وقد حذر يحي بن حمزة العلوي من الغلو في الاهتمام بالجانب اللغوي في الدرس البلاغي لتأثيراته الضارة على الفصاحة والبلاغة، إذ يقول في مقدمة طرازه: " لهذا فإنّه من كان من المفسرين نظره في تفسير كلام الله مقصورا على معرفة المعاني الإعرابية وبيان مدلولات الألفاظ الوضعية لا غير، من غير ما تضمنه من أنواع الفصاحة و البلاغة وتقرير مواقعها الخاصة، فإنّه يُعدُّ مقصرا في تفسيره لكونه قد أخل بمعظم علومه وأهملها، وأعرض عن أجل مقاصده وتركها، وهو معرفة الإعجاز لأنّه موقوف على ما ذكرنا من معرفة الفصاحة والبلاغة

[1] فتحي فريد: المدخل لدراسة البلاغة، ص 142.

[2] محمد أحمد أبو بكر أبو عامود: البلاغة الأسلوبية (تصوير الموت في القرآن الكريم نموذجا) مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص7 وما بعدها .

جميعا، ومن اعتمد في تفسير كلام الله على ملاحظة جانب الفصاحة والبلاغة، ونزّل المعاني القرآنية عليها، سلم عن أكثر التأويلات النادرة وبعُد عن حمله على المعاني الركيكة التي وقع فيها كثير من المفسرين كما هو مذكور في كتبهم " [1].

ونستنتج مما تقدم بأنّ المنهج الذي دعا إليه أمين الخولي في تفسير القرآن الكريم عن طريق الموضوعات هو أنفع إلى بيان الوحدة الموضوعية للآيات، وقد يخدم هذا المنهج الباحث والطالب من حيث ورود الموضوعات المبوبة غير أنّ هذا النهج لم يخدم الدرس البلاغي كما أراد له المجددون في العصر الحديث .

الاتّجاه الأدبي:

نشأ هذا الاتجاه لما شهد الأدب تقدما واضحا، من عقول قدّر لهم أن يطلعوا على الفكر الغربي، و" كان من نتائج تلك الحركة أن ارتكز التفكير الأدبي والنقدي على تصحيح النظر إلى التراث الأدبي والنقدي وإعادة النظر فيه على ضوء المنهج العقلاني، الذي لا يؤمن بالغيبيات والمسلمات القبلية"[2].

وقدكثر النقاش النقدي حول الأسلوب، ودار ذلك في مستوى واحد هو مستوى الممارسة الإبداعية، فكان لا بد أن تستتبع نوعا من الدرس الأدبي والتنظير البلاغي لظاهرة التجديد في الأساليب العربية، إلى جانب استمرار التعليق على كتابات أساليبها مختلفة عند

---

[1] العلوي، يحي بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق محمد عبد السلام شاهسن، النهضة العربية، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص 19 .

[2] محمد الكتاني: الصراع بين القديم و الجديد، دار الثقافة، المغرب، 1982ج1، ص208.

المعاصرين. و " لم يكن بد أن ينعكس هذا الصراع على أبحاث الدارسين للبلاغة العربية، فضلا عن أن يؤثر في النظر إلى البلاغة العربية وما يجب أن يصيبها من التجديد أو التغيير "[1].

هدف الاتجاه الأدبيتوثيق الصلة بين البلاغة والأدب، من خلال العودة إلى حياة البلاغة العربية لما كانت عليه زمن المدرسة الأدبية؛ لأنّ قواعد البلاغة وحدها لا تستطيع تكوين الذوق الأدبي، و إدراك هذه القواعد لا يمكن أن يكون إلا بعد تمرس الطالب بالأدب وخصوصه.

نجد هذا المنهج عند " سلامة موسى" في كتابه « البلاغة العصرية واللغة العربية»، فهو أصداء للنزعة الواقعية، يهاجم البلاغة على أساس النظرة الاجتماعية التقدمية، إلا أنّه لا يقدم لنا أي تخطيط موضوعي متماسك عن البديل الذي يقترحه للبلاغة التقليدية، و إنّما دعا إلى تجديد أساليب الكتابة العربية من حيث التعبير وطرق المجاز والاستعارة، واستعمال الألفاظ الملائمة لروح العصر[2].

ومن أعلام هذا الاتجاه، أحمد حسن الزيات، الذي مزج في كتابه « دفاع عن البلاغة » بين التراث البلاغي ودرس النقد العربي بما يدل على استيعاب التراث البلاغي لكل جديد وعلى ملاءمته لروح العصر، وبما يُظهر مدى قيمته بالنسبة للحياة وامتزاجهبالمجتمع[3].

أساس التجديد عند أحمد حسن الزيات هو الدفاع عن البلاغة القديمة، و ردّ الاعتبار للمذهب القديم، فهو يحتج بآراء القدماء ويلتفت إلى أساليبهم ولا يعتبر التجديد ممكنا إلا من

---

[1] خديجة السايح: مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، ص69.

[2] سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1954، ص 103

[3] الزيات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، ص 14.

جهة التنقيح للمذهب البياني العربي في ألوان الصناعة، أو إحداث رد فعل يكون عائدا بالكتابة إلى الوجازة، وصحة السبك والأصالة والتلاؤم. [1]

بُذلت جهود علمية من المختصين في البيان العربي لإحياء البلاغة العربية وبعثها من جديد في صورة مشرقة. وقد دعا هؤلاء الباحثون إلى تطبيق المنهج الأدبي النقدي لتزدهر البلاغة كما ازدهرت في عصرها الذهبي الأول في القرنين الرابع والخامس الهجري. وقد أُلفت كتب ورسمت خطة حول تطبيق هذا المنهج مثل « صور من تطور البيان العربي » لكامل الخولي، و« فن القول» لأمين الخولي، و« البلاغة التطبيقية »لأحمد موسى.

يمثل أيضا الاتجاه الأدبي في تجديد البلاغة العربية محاولة أحمد الشايب المبكرة، عندما نادى بتنقية البلاغة من أنواع الفلسفة وطابع الجدل وأن يتجه بها إلى دراسة الأساليب وخصائصها وربطها بالأدب وغيره[2].

ونجد ذلك أيضا في كتاب « البلاغة الواضحة »لمصطفى أمين و علي الجارم، فقد جمعا فيه بين النصوص الأدبية الجيّدة والمتنوعة والقاعدة الموجزة الواضحة على منهج المتأخرين في تقسيم البلاغة إلى معان وبيان وبديع، ويتمثل المنحى الأدبي في الكتاب بتخفيف أثقال القاعدة وغمره بالنصوص الأدبية، عندما حاولا تطعيم البلاغة بالأدب من خلال الاعتماد على الذوق في تمييز النصوص الأدبية، ولو أنّها في الكثير من الأحيان لم تخرج عن حدود الجملة إلاّ أنّها في نظرنا استطاعت أن تجعل الأدب أساس البلاغة، أو أنّ المعرفة البلاغية لا بدّ أن تمارس سلطتها في الحقل الأدبي[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 25 .

[2] أحمد الشايب: الأسلوب، ص 12 .

[3] مصطفى أمين وعلي الجارم: البلاغة الواضحة، ص 78 .

يرى حفني شرف وهو من دعاة هذا الاتجاه أنّ للتجديد غرضين يتمثلان في تسهيل دراسة المواد الأدبية ويحققه المنهج الصالح والكتاب المنظم والمعلم الكفء، وفي جعل البلاغة مادة من مواد النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة وتُرضي كرامتها الشخصية، وطريق ذلك في نظرهبتنقية البلاغة من الجدل والاعتراضات والإقلال من القواعد، مع الإكثار من الشواهد والبعد عن طريقة التلخيص وشروحه وخلط مسائل البلاغة بالفلسفة[1].

ومن هذا المنطلق دعا مصطفى الصاوي الجويني إلى الاهتمام بالنصّ الأدبي وكثرة المدارسة والحفظ للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية. وفي محاولته التجديدية نادى باستبعاد الجانب الفلسفي من العلوم الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع)، وإلى إعادة التأمل في الأصول البلاغية، ومحاولة التجديد فيها تنقيبا عن مواطن جديدة للجمال. وقد وضع مبحثا خاصا سمّاه « مباحث التجديد»[2].

ويركز مصطفى الجويني على الذوق في تدريس مادة البلاغة، وغياب الذوق عند المدرّس في نظره " يصبح الدرس جامدا، يتوقف عند استيعاب المصطلح البلاغي، وإدارة الظهر للنص الأدبي" [3].وهو بذلك يحاول العودة إلى المدرسة الأدبية التي كانت المهاد الأول تأسس فيها البلاغة الأدبية، وهو ما يؤكد العلاقة القوية بين البلاغة والأدب في تصوّره، بعدما وجد شكوى من ندرة من يحسّ جمال النص الأدبي والعزوف من الأبناء عن البلاغة، مما دعاه للبحث عن تجديد لمباحثها في علومها الثلاثة.

---

[1] حفني شرف: الصورة البديعية بين النظرية والتطبيق، ص 470 وما بعدها.

[2] مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية (تأصيل وتجديد)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985، ص 5

[3] المرجع نفسه، ، ص61.

في المباحث التجديدية الخاصة بعلم المعاني، عاد الجويني إلى المسائل النحوية في الأصول عند سيبوية وابن الأنباري، ورأى أنّ نظرهم للنحو لم تكن شمولية، إذ دعا إلى توطيد العلاقة بين النحو والبلاغة في دراسة مسائل هذا العلم. [1]

نقد الجويني جهد السكاكي ويراه قاصرا عمّا طبّقه الزمخشري في علم المعاني من خلال الإعجاز القرآني، وتناسى التعرض إلى جماليات استخدام التصغير، والتذكير، والتأنيث، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة[2].

قدّمت سناء البياتي منهجا جديدا في البلاغة والنقد ضمن الاتجاه الأدبي، حاولت من خلاله تطوير المنهج البلاغي القديم، يقوم على أسس معينة، أهمها، إلغاء تقسيم البلاغة إلى علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، ووضع تقسيمات جديدة أكثر دقة وشمولية حسبها من التقسيمات القديمة، واستبدلت ذلك بمصطلحات جديدة، وهي: مستوى الجملة، ومستوى السياق، و مستوى الموسيقى، ومستوى التصوير. وإلى جانب ذلك ألغت التفريعات التي أثقلت كاهل البلاغة، ودراسة موضوعات البلاغة بطريقة تبتعد فيها عن الفلسفة والمنطق[3].

ترى سناء البياتي أنّ بعض التصورات في تحديد البلاغة العربية حاولت أن تصلح ما أفسدته الفلسفة بدخولها في مباحث البلاغة، إلاّ أنّ ذلك الإصلاح لم يكن شاملا، ولم يكن جذريا، فقد ظلت ملاحظات الباحثين تدور داخل التقسيمات القديمة للبلاغة، كما أنّ كثيرًا

---

[1] نفسه، ص 67 .

[2] الجويني، مصطفى الصاوي: البلاغة العربية، ص 69 .

[3] سناء حميد البياتي: نحو منهج جديد في البلاغة والنّقد دراسة وتطبيق، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1998 ص 12و13.

من الدراسات تناول أصحابها بعض موضوعات البلاغة، وتركوا الموضوعات الأخرى دون معالجة سليمة تتناسب مع الذوق العربي وفكره في الوقت الحاضر[1].

تصوّرات التجديد التي رفعها أكثر من باحث، وقفت عند مشكلة التفريع والتقسيم التي تميّزت بها البلاغة العربية، وحاولت هذه التصوّرات أن تقدّم البدائل، إمّا بإلغاء التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة، أو أنّها تجاوزت بعض المباحث البلاغية، و لم تقف عند الجوهر الحقيقي من هذا التجديد.

اتجهت بعض الأطاريح المقدّمة في تجديد البلاغة العربية إلى المزج بين الاتجاهات، في سبيل أن تحظى بصناعة جديد يرضي الباحثين والمتخصصين في البحث البلاغي.

إصلاح البلاغة وفق هذا الاتجاه عند محمد رجب البيومي يكون بدراسة البلاغة على هُدى من علم النفس ومن خلال الأدب وبمنهج البلاغيين المتقدمين الذين حققت جهودهم للبلاغة أهدافها[2].

يؤكد محمد رمضان الجربي على أهمية المنهج الأدبي النقدي في الدرس البلاغي، الذي يعتمد على الإكثار من النصوص، والشواهد الشعرية، والآيات القرآنية، والأمثال العربية ، والمناقشات ، والنماذج و التمارين لتُفهم القاعدة من خلال النصوص الأدبية.

يذهب الجربي إلى القول بأنّ " الجمع بين القواعد والتطبيق والإكثار من الأمثلة ، والنصوص الأدبية هو المنهج الأمثل لدراسة البلاغة العربية، لغرض بعثها، وصبها في قالب جديد، يبعث فيها الحيوية، والحركة، والنشاط، ويعطيها القوة، ويعيد لها أصالتها، ويخلصها من

---

[1] المرجع نفسه ، ص 11.

[2] محمد رجب البيومي: البيان القرآني: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.ت)، ص 81 و82.

لُكنة الأعاجم، وينقذها من ويلات المنطق الجاف الذي أحالها إلى رُكام من المصطلحات المنطقية والفلسفية الجليبة التي لا تتناسب وطبيعة الفنّ العربي الأصيل "[1].

قبل أن ننتقل إلى منهج آخر في تحديد البلاغة، لا بأس أن نوجز مميزات المنهج الأدبي في النقاط التالية [2]:

- يمتاز بالاعتماد على الذوق الفطري المثقف الذي مارس الآداب وسبر أغوارها، إذ بواسطة هذا المنهج وهذا الذوق يستطيع الناقد أن يدرس النصوص الأدبية دراسة تحليلية موضوعية وهادفة، ثم يميز بين جيدها ورديئها.
- يهدف هذا المنهج لتوضيح الفكرة الأدبية في النص الأدبي. ووسيلته في ذلك الإكثار من الشواهد العربية قرآنا أو نثرا، أو شعرا أو حديثا ، ثم دراستها وتحليلها والموازنة بينها وبين غيرها من النصوص الأدبية
- يمتاز هذا المنهج بعدم العناية بذكر الحقائق، والتقسيمات، والمصطلحات العلمية، لأنّها تفسد الذوق الفطري المثقف، ولا تتناسب مع الصورة الأدبية الرائعة التي تؤثر في العاطفة الإنسانية

يمدح منير سلطان المنهج الأدبي في قوله: " وتتحقق ذات الأديب من خلال التحليل الجمالي لمنهجه، ففيه تبرز طاقاته، حيث نرى ما تراه المناهج الأخرى من لغوية وكلامية وصوفية، نرى فيه الخصوبة والرحابة والعمق، فنتعايش معه بفهم وتعاطف وتقدير، بعيدا عن توظيفه لخدمة أصل من الأصول يثير جانبا ويطفئ آخر" [3]

---

[1] محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية دراسة تطبيقية لعلم البيان، مكتبة الآداب، ط1، 2009، ص 8 .

[2] محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية، ص 24 .

[3] منير سلطان: مناهج في تحليل نظم القرآن، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1990. ص 207.

ونجد تثمينا لهذا المنهج عند شوقي ضيف، إذ يقول: " إنّ المنهج الأدبي ودراسته هي دراسة تأثرية ذاتية، تعتمد على التذوق الشخصي، ينبغي أن لا تنتهي بصاحبها إلى أي ضرب من ضروب التحكم في التذوق، كما ينبغي أن تقوم على التعمق في ظواهر الحياة الأدبية، وإتقان المعرفة بآثارها ونماذجها على مر الأزمنة إتقانا يتغذى به ذوقه غذاء من شأنه أن يحيله ذوقا مصفى من كل الشوائب، بحيث لا نقرأ انطباعاته، حتى تتمتع بها قلوبنا وعقولنا متاعا هنيئا، متاعا يصـــور لنا فيه الأديب كيف يفكر، وكيف يلاحظ، وكيف يتأمل في الأثر الأدبي، وكيف يستشف معانيه ودلالاته، وكيف يحلله، وكيف يستخلص منه غذاء بديعا من الخوالج والخواطر " [1].

الاتّجاه التربوي:

تبنى هذا الاتجاه علماء التربية الذين يولون أهمية لمناهج التعليم من حين لآخر،بهدفتعديلها وتطويرها بما يجعلها متناسبة مع قدرات الطلبة. ومن هؤلاء عبد العليم إبراهيم الذي عمل مدرسا للبلاغة، وأودع تجربته في تجديد البلاغة من خلال كتابه«الموجه الفني»، الذي رأى فيه أنّ تدريس البلاغة على الطريقة القديمة المبتناة على التعاريف والتقاسيم و الضوابط وبتر الشواهد لا تحقق الغرض منها، ولا تتفق مع نظريات التربية الحديثة التي تجعل البلاغة وحدة متكاملة ليس بينها فواصل وتقضي على العزلة التي بينها وبين الأدب بجعلها جزء من الدراسات الأدبية المعنية بالتحدث عن الجو النفسي للفكرة أو النص وعن عاطفة الأديب واستجابة القارئ ونحو ذلك[2].

---

[1] شوقي ضيف: البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1976، ص133.

[2] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني، ص 300 و301.

و المهتمون بالمجال التربوي لا شكّ أنّهم يعتمدون على المعرفة النظرية في معالجة المنظومة التعليمية، ولذلك نجد عبد العليم إبراهيم يستفيد من التصورات السابقة التي رأيناها في المنهج النفسي والأدبي، بغية إيجاد حلول تطبيقية في تدريس مادة البلاغة.

يرى عبد العليم إبراهيم أنّ الغرض من دراسة البلاغة هو تذوق الأدب وفهمه دقيقا، ومعرفة الخصائص والمزايا الفنية للنص، وبها – أي البلاغة- يفهم ضروب المهارة الفنية للأديب، وتحقيق المفاضلة بين الأدباء[1]

ثار عبد العليم إبراهيم على قرارات وزارة التربية المصرية، القاضية بدمج دروس البلاغة مع كتاب الأدب، ورأى أنّ في هذا الاتجاه " تطرفا كبيرا في فهم هذه الصلة، فهذه الحرية التي أردناها للبلاغة، بفك عقالها من إسار الأمثلة الجافة الجامدة، قد انقلبت قيودا ثقيلة، وأوامر صارمة، ولنا أن نخشى أن تنطمس أبواب البلاغة، وتختفي معالمها رويدا رويدا، وتخرج الأجيال الجديـــــدة، التي ستربى على هذا المنهج، وهي تجهل أنّ من الدراسات اللغـــــوية شـــيئا اسمه البلاغة "[2]

طرح عبد العليم قبل توضيح منهجه في تدريس البلاغة جملة من التساؤلات مفادها: كيف نُدرّس الصور البيانية المقررة، وهي التشبيه والاستعارة والكناية، في ظلال نصوص اختيرت من العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، لا تتعداها إلى عصور أخرى، و" الدراسة المجدية تقضي بدراسة التشبيه الحسن و التشبيه القبيح، واختلاف التشبيهات باختلاف العصور، والبيئات، والعرف والثقافة، ومثل ذلك في الاستعارة والكناية " [3].

---

[1] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني ص 304 .

[2] المرجع نفسه، ص 206

[3] نفسه، ص 307 .

وتلك ملاحظات مفيدة في ربط الإبداع بالدرس البلاغي، ومن ثمّ فلا مناص من تحديد الشاهد البلاغي في المقررات الدراسية، وعدم حصرها في الأدب القديم. لأنّ ذلك في نظرنا يجعل الطالب يعيش قضية فهم النص الأدبي، وتلك قضية بلا شكّ أنّها تؤثر في الوصول إلى تحقيق الذوق البلاغي.

ومن ثمّ يذهب عبد العليم إبراهيم إلى القول بأنّ النصوص هي الأصل في هذا الدرس، وأنّ المسائل البلاغية تابعة لها، بمعنى أنّ الاختيار يكون للنص أولا، ثم تأتي دراسة ما فيه من الألوان البلاغية المقررة في المنهاج الدراسي[1].ووضع عبد العليم إبراهيم أُسسا لتدريس البلاغة، نجملها في الشكل التالي[2]،وهي:

- البلاغة فطرية في الكلام نلمح صورها وألوانها في الأحاديث العادية.
- البلاغة فنّ أدبي، ينضج الذوق، ويذكي الحس، وليست من العلوم التي تشحذ الفكر.
- الطابع الغالب على درس البلاغة هو الطابع الفني الوجداني، وهي أحكام فنية تقضي بالقبح أو الجمال، وليست أحكاما عقلية.
- تطور الحياة الحديثة يقتضي أن لا يكون الوقوف طويلا عند الجزئيات، وعلى البلاغة أن تساير ذلك، وتتسع للصورة، والفقرة، والمقالة، والخطبة، والقصة.

والملاحظ أنّ عبد العليم إبراهيم يناقش طريقة تدريس البلاغة بالبحث عن صورة جديدة لهذا الدرس من خلال طريقة بيدغوجية تساهم في تنمية الذوق لدى الطلاب، لكنّ الذي لا يستقيم في آراء هذا الباحث بأن يدعو إلى اتخاذ التراكيب العامية ذات اللون البلاغي

[1] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني، ص 308 .
[2] المرجعنفسه، ص 309 -314 .

أساسا نرتكز عليه، ونمهد به لدرس البلاغة في الكلام الفصيح. وحجته في ذلك أنّها طريقة تساهم في سرعة الوصول إلى ما يريده المدرّس، وإثارة الطلاب، وبعث شوقهم وانتباههم بهذه التراكيب المتصلة بحياتهم اتصالا وثيقا. [1]

ومثل هذه الإشارات كنا قد رأيناها في محاولة سلامة موسى، إذ لا يمكن التفكير البتة معالجة مشكلة الفهم بتخطي الأصول التي تأسست عليها البلاغة العربية.

وتبقى محاولة عبد العليم إبراهيم قيّمة في تخصصها التربوي، وذلك أن يتمّ الالتفات في دراسة البلاغة للمعرفة التربوية والأدبية، لكنّ ذلك لا ينبغي أن يغلبها على الدرس البلاغي. وهذه الاتجاهات في تجديد البلاغة لن تؤتي ثمارها إلا إذا كان المزج بينها وبين البلاغة بالقدر الذي يجعل للأخيرة استقلالها ويحفظ لها تميّزها.

الاتّجاه البلاغيّ:

يرمي هذا الاتجاه إلى تجديد البلاغة بالبلاغة، إذ يرى أصحابه أنّ التجديد في ميدان الدراسات البلاغية لا يتأتى بتمييع البلاغة ولا بطمس معالمها بغلبة النزعة النفسية في تناولها أو البيانية أو التربوية أو حتى الأدبية، وإنّما الحفاظ على كيانه المستقل وروحه المتميزة ، ويكون ذلك من خلال الوقوف على المقاييس البلاغية في مكانها من كتب البلاغيين المتقدمين والاجتهاد في محاولة تطبيقها على النصوص الأدبية الحديثة.

ينادي فتحي فريد بهذا الاتجاه، قائلا: " وقد جرب هذا المنهج بعض أساتذة البلاغة المعاصرين، فـــ (أحمد موسى) – عليه رحمة الله– في (البلاغة التطبيقية) يجمع بين القاعدة والنص مع الاهتمام بإبراز الأسرار البلاغية وما يضفيه من حسن على الأساليب، إذ الكتاب

[1] نفسه، ص 310 وما بعدها .

يدور حول فنون البيان وبعض فنون البديع، متأثرا بمنهج عبد القاهر في عقد الموازنات الأدبية بين النماذج المختلفة التي يشملها فن بلاغي واحد، وغير ذلك مما يجعل الكتاب مفيدا في ميدانه وفريدا في مجاله، ومتطابقا مع عنوانه، غير أنّه لم يضم قدرا وافيا من الأساليب المعاصرة " [1].

وتقوم دراسة بسيوني عبد الفتاح فيود لعلم البديع على إتباع وجهتين: الأولى، يتم فيها دراسة أصول البلاغة دراسة تاريخية، والثانية وهي جوهر عمله، دراسة مسائل البديع دراسة فنية، وحرص فيها على" تجلية ألوان البديع وإبراز أسرارها ودقائقها وإيضاح أنّ تلك الألوان ليست لمجرد الزينة والزخرفة الشكلية فحسب، بل إنّ التحسين الذي تضفيه على الكلام ذاتي يقتضيه المقام وتستدعيه الحال " [2]

وقد اعترت هذه الدراسة نقائص أهمها اعتبار علم البديع محسنا، وهو ما يتنافى مع بعض المحاولات الذي اجتهدت في إيجاد الوظيفة الدلالية لهذا العلم، كما هو الحال في دراسة محمد عبد المطلب، التي سنتعرض لها في الفصل الرابع من هذا البحث.

تحليل وخلاصة:

الملاحظ في التصورات المختلفة التي قدّمها الباحثون العرب لتجديد البلاغة العربية أنّها نظرت إلى التراث البلاغي جزئيا، وغابت النظرة الشمولية التي من شأنها أن تعطي ثمارا تفيد البلاغة العربية في الوقت الراهن. بعدما رأينا في الفصل الأول أنّ الاختلاف حدث في منطلق التجديد، أيّ في الطريقة التي تمّ بها تلقيّ البلاغة السكاكية.

---

[1] فتحي فريد: المدخل إلى دراسة البلاغة، ص 27 و28 .

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر، ط2، 2004، ص5 .

اهتمت هذه المحاولات بتتبّع مظاهر قصور الدرس البلاغي، وهو ما لاحظه محمد أبو موسى فيما بيانه: " إنّ بعض محاولات التجديد في البلاغة تنطلق من نقاط الضعف والقصور في البلاغة القديمة، الأمر الذي جعل الأنظار تتجه إلى التركيز على بيان أوجه القصور في البلاغة القديمة، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ذهبنا إلى أنّ هذا التركيز كان أكبر همّ الدراسات البلاغية

العربية الحديثة، مما جعل التجديد المبني على رؤية عربية خالصة يسير ببطء منذ محاولات أمين الخولي " [1]

الرؤية التجديدية التي رأيناها كانت أكثر تشددا وهي تتعامل مع التراث البلاغي من أسلافنا، إذ عليها كما يذهب صلاح فضل " أن تأخذ في حسبانها تنامي العلم والمعرفة على مر الزمان، فالتراث جزء من تاريخ العلم، لكنّه ليس المكوّن الأساسي في بنيته وقوانينه المحدثة " [2]

يرى صلاح فضل أنّ الباحث في التراث البلاغي ينبغي أن يستحضر جيّدا طبيعة اختلاف الفنون الإبداعية ومن ثم قوانينها النقدية ومبادئها البلاغية في الماضي عما نشهده ونمارسه في الحاضر، إذ يقول: " فقد كانت بلاغتنا القديمة تدور في مجملها حول فرع واحد من الشعر هو القصيد الغنائي فحسب، مختلطا ببعض النماذج النثرية المتفاوتة في مستواها، أما بقية فنون الشعر من درامي وقصصي وملحمي شعبي، وفنون القصة والرواية والمسرح، فضلا عن فنون الصورة التليفزيونية والسينمائية، و الفنون الرقمية المحدثة فلا علاقة لها بالبلاغة التقليدية ولا مجال لاستيعابها في مباحثها " [3].

---

[1] محمد محمد أبو موسى: دلالات التركيب، دراسة بلاغية، ط1، 1978، ص 29.

[2] صلاح فضل: تجديد التراث البلاغي، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، نوفمبر 2006، ج1، ص 12 .

[3] المرجع نفسه، ص 12 وما بعدها.

نظرة صلاح فضل تأتي في سياق الردّ على بعض المحاولات التي أشارت إليها من باب أنّها ادّعت فتح البلاغة أمام مجالات الفنون والأدب، مثلما وجدنا ذلك في تصور بدوي طبانه، وقبله محاولة أحمد ضيف في كتابه " مقدمة لدراسة بلاغة العرب" .

المتأمل في اتجاهات التجديد في الدرس البلاغي أنّها تسارعت وجودا، وفشلت في تحقيق المبتغى، بعدما ابتعدت عن روح البلاغة العربية، وكان منهجها تغريبيا؛ إذ " غلب نقاد التراث التوسل بأدوات البحث التي اصطنعها المحدثون من مفاهيم ومناهج ونظريات، معتقدين أنّهم، بهذا التقليد، قد استوفوا شرائط النظر العلمي الصحيح؛ أو لم يدروا أنّه ليس كل ما نقل عن المحدثين بأولى بالثقة مما نقل عن المتقدمين " [1].

رفض بعض النقاد الأساس الذي انطلقت منه هذه المحاولات في سبيل تجديد البلاغة العربية. ويذهب عيد بلبع إلى القول: " إنّ مشكلة البلاغة حديثا أنّ محاولات التجديد- في معظمها- محاولات ربط وتوفيق خالصة، وليست في جوهرها تجديد. وإنّ الذي ندعو إليه ينبغي أن تتخطى الانطلاق من الرغبة في إحياء البلاغة القديمة أو إنصاف البلاغيين القدماء، كما ينبغي أن تتخطى أيضا محاولات الربط والتوفيق بين مقولات بلاغية قديمة ومقولات النقد الحديث ونظرياته" [2].

يستخلص من ذلك، أنّ محاولات تجديد البلاغة كان الاختلاف فيها واضحا، و لم يجمع أصحابها على رؤية دقيقة تصلحلمعالجة قضايا البلاغة العربية؛إذ فهموا التجديد على أساس

[1] عبد الرحمن، طه: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط4، 2012، ص 10 .

[2] . عيد بلبع: خداع المرايا، ص 86 .

أنّهطرح يتم فيه تقديم تصور جديد من شأنه أن يعالج القصور الذي وقعت فيه البلاغة القديمة، والحقيقة أنّ التجديد في مفهومه أوسع من ذلك.

الفصل الثالث:

المنهج التحويلي في تجديد البلاغة العربية عند محمد عبد المطلب

المبحث الأول: دواعي تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب

المبحث الثاني: المنهج التحويلي أســـاس تجديـــد البلاغة

المبحث الأول:

دواعي تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب

يهدف هذا الفصل إلى دراسة تصوّر في تجديد البلاغة العربية، عند أحد الدارسين المعاصرين، وهو محمد عبد المطلب[1].

مدونة هذا البحث، كتابه « **البلاغة العربية، قراءة أخرى** »،الذي هدف فيه إلى تقويم البلاغة العربية، والردّ على طعنات المحدثين، و الانتصار للبلاغة السكاكية ، وفي ذلك نظر إلى موضوع تجديد البلاغة نظرة أخرى.

اقتصرت على هذه المدونة خصيصا؛ لأنّها تمثل في رأيناتجربة محمد عبد المطلب وخلاصة آرائه في التعامل مع الدرس البلاغي بشموليته، كما عهدنا ذلك في مصنفات التراث العربي،. وسبق أن عالج جزئيات الموضوع في مؤلفات متفرقة[2].

دواعي تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب:

قبل الكشف عن طبيعة المنهج الذي سلكه محمد عبد المطلب في تجديد البلاغة، علينا أولا أنّ نعرف أسباب ودواعي التجديد عنده، ثمّ نظهر موقفه من بعض المشاريع التي سبقته في تجديد هذا العلم؛ لأنّ التجديد مصطلح يحمل حمولة فكرية، ولن نعرف سرّ تجديد البلاغة القديمة إلاّ بمعرفة الأسباب التي تدفع الباحثين إلى تبني هذا النهج في الدراسات المعاصرة.

---

[1] يعتبر محمد عبد المطلب من أعلام البلاغة في عصرنا الحالي، وهو من مواليد 1937، وعمل على مدار خمسة وثلاثين عاما في المجال الأكاديمي، وأنجز خلال هذه المسيرة العلمية الحافلة نحو ثلاثين كتابا والعديد من البحوث والمقالات المنشور في المجلات العربية، التي تناول فيها التراث والحداثة في الشعر والنقد والبلاغة، ومن هذه الكتب نذكر: اتجاهات النقد و البلاغة في القرنين السابع والثامن الهجريين 1982، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم1983، العلامة والعلامية 1989. بلاغة السرد 2001 . ويشار أنّ عبد الطلب محمد تحصل على سبع جوائز، كان آخرها جائزة المالك فيصل العالمية 2016

.

[2] من أهمّ مؤلفات محمد عبد المطلب التي رجعنا إليها : « البلاغة والأسلوبية»1984 ، و «قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني»1990، و « بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) »1993.

لعلما يلفت النظرأنّ محمد عبد المطلب لم يوافق على الطريقة التي يتمّ بها تدريس البلاغة العربية، وهو منطلق يخالف التصورات التي سبقته في تحديد هذا العلم، بعدما وجد أنّ الطريقة التي يتمّ بها تكوين قارئ (ناقد) يحسن استعمال البلاغة في التعامل مع النصوص الإبداعية فشلت في تحقيق هذا الهدف؛إذ لاحظ صاحب مدونة هذا البحث أنّ هناك فصلا بين الأداة البلاغية والنقد الذي تعتبر هذه الأداة عدّته، ورأى " أنّ هذه الأدوات تقدّم للناشئة في قوالب جافّة، حتى تحوّلت إلى أداة تفسيرية عقيمة، لأنّ من يتعامل بها لم يدرك وظائفها الجماليّة الصّحيحة"[1].

هذه الخاصية التي انتشرت في تعليمية هذه المادة كانت الدافع وراء محمد عبد المطلب إلى أن يكون واحدا من الذين دعوا إلى تجديد البلاغة العربية، وتمثّل تصوره في محاولة الكشف عن الخلفية اللغويّة التي تعطي الأداة البلاغية شرعية وظيفتها الإبداعية.

تعليمية البلاغة لم تكن بالطريقة الصائبة، و التعريفبالأداة البلاغية لم يوجّه بالمنهجية السليمة، و لم ير الطلاب فيها " إلا في جانبها المشوّه، الذي يعمل على تمزيق النصّ، وبعثرة مكوّناته إلى عناصر مبتورة لا تجمعها وحدة شعوريّة أو موضوعيّة"[2]وهذه الطريقة المتّبعة في تلقين البلاغة بهذه الصورة " كانت من أسباب نفور النّاشئ من مجموعة البنى البلاغية أوّلا، ثمّ من النصّ الأدبيّ ثانيا"[3].

لعلنا نوافق فيما يذهب إليه محمد عبد المطلب بحكم أنّ نفور الناشئة من البلاغة، كان بسبب صعوبتها وعدم مقدرتهم على استعمالها في تذوق النصوص الإبداعية، بمعنى أنّ هناك

---

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص1

(2) المرجع نفسه، ص1

(3) نفسه، ص1

خللا في تعليمية المادة، بسبب قصر المفهوم الذي تقّدم به هذه المعرفة عن تحقيق التواصل مع المتلقيّ.

ومن ثمّ شكلت تلك المنطلقات سببا في دعوة محمد عبد المطلب إلى القولبحاجة البلاغة إلى التجديد: " كان الأمر في حاجة إلى معاودة النظر في مباحث البلاغة، جملة وتفصيلا، للإمساك بتصوّر شموليّ يجمع بين مفرداتها من ناحية، والكشف عن تفسير عميق لتحوّلاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى"[1].

ورغم أنّ الدعوة إلى التجديد ابتدأت مبكرا، إلاّ أنّالتصورات التي تمّ طرحها عرفت اختلافات جوهرية، أهمها التباين الواضح في أسباب التجديد. وأغلب تلك التصورات لم تكن في حقيقة أمرها إلاّ هجوما على البلاغة القديمة، من خلال تخطّي التراث، والبحث عن بلاغة جديدة، وهدف بعض المحدثين إلى هدم البناء البلاغي القديم.

لم يوافق محمد عبد المطلب سابقيه في المنهج المستعمل في قراءة التراث البلاغي، الذي أساء للجهد البلاغي القديم. ومن هذا المنطلق جاء كتابه الصادر عام 1997؛ ليوضّح " كيف أنّ الإساءة إليها جاءت من أقرب النّاس لها. أساءوا إليها مرّتين: مرّة عندما أخذوها في عجلة من القراءة الأولى، ومرّة عندما أعادوا طرحها مشوّهة عن وعي أو بغير وعي"[2]؛لأنّ " الذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفكار الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو إلمام ما بتراثنا القديم الخالد في البلاغة والبيان والنقد "[3]

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص1

[2] المرجع نفسه، ص2

[3] محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف: البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص184

يمكن القول بأنّ تصوّر محمد عبد المطلب في كتابه كان يهدف إلى إثبات قضية ذات أهمية، والمتعلقة بحداثية البلاغة السكاكية، التي كانت محلّ سخط من قبل الدارسين في العصر الحديث، كما رأينا في الفصل الأول من هذا البحث.ودليلنا في ذلك، أنّ محمد عبد الطلب وهو يبحث عن قراءة جديدة للبلاغة العربية لم يخرج عن المادة المعرفية التي احتوتها كتب هذه المدرسة، ليظهر أنّها جهد يضاهي الأبحاث اللسانية التي توصل إليها العلم الحديث، خاصة ما تعلق بالنظرية التوليدية التحويلية التي كانت أساس المفاضلة في هذا الكتاب[1].

و لعلمن الأسباب التي دفعت محمد عبد المطلب إلى تقديم تصوّره فيتجديد البلاغة العربية أنّه لم يكن مقتنعا بالتصوّرات التي سبقته. ومنها محاولة أحمد الشايب في كتابه:« الأسلوب» ، الذي " لقي رواجا كبيرا وقبولا حسنا لدى معلمي اللغة العربية في مدارسنا – على وجه الخصوص- حتى أصبح منهجه في فهم الأسلوب وتحليل النص الأدبي دستورا لهم، يطبقونه نظريا وعمليا في الشرح والدّرس والتأليف " [2].أي أنّ طريقة البحث في أسلوب النص الأدبي التي اقترحها أحمد الشايب، وطبّقها المدرسون لم تقنع محمد عبد المطلب، واعتبرها مجرد تمزيق للنّص، دون أن يقع الطالب على الجماليّات الحقيقية الكامنة في التعبير اللغوي.

يرى محمد عبد المطلب أنّ تلقيّ النص بطريقة الشايب تجعل الدّارس يخرج " بصورة شوهاء للنص الذي يدرسه، تنفّره أكثر مما تقربه، وتزهّده في درس الأدب وبلاغته؛ بحيث لا ينصب اهتمامه إلا على حفظ ما في النّص من صور ومحسّنات، وتعداد ما في النص من

---

[1] ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أنّ النّص البلاغي الحاضر في مدونة التجديد عنده يندرج ضمن المدرسة السكاكية البلاغية؛ وكان منطلقة في بيان حداثية الجهد التراثي ذكر نصوص لطائفة من العلماء المتأخرين على غرار السبكي، و ابن أبي الإصبع المصري، و القزويني، والعلوي..

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، المكتبة المصرية اللبنانية،ط1، 1994، ص 117 .

حسنات وسقطات، دون أن يكون لذلك كله أثر في خلق حاسّة أدبية، أو تنمية ذوق جمالي"[1].

نقد محمد عبد المطلب تفكير أمين الخولي في تجديد البلاغة ، ورأى أنّهيحمل تناقضا في قضية الدعوة إلى تحقيق الموضوعية في الدراسة البلاغية،يقول فيما بيانه: " فكيف تتفق هذه الدعوة إلى موضوعية الدراسة الأدبية مع إلحاحه المتكـــرر على فنيـــة البلاغـــة، ورضى تسميتها علما ؟"[2]. إذ لا يمكن أن تحضر الموضوعية والفنية في دراسة واحدة؛ لأنّ الموضوعية في أبسط تعريفها تعني الحياد والتجرد من الذاتية، في حين أنّ الفنية تعتمد على الذوق الشخصي، ومن ثمّ فالتناقض ملاحظ في الهدفين.

يمكننا القول- حسب القراءة التي توصلنا إليها- إنّ محمد عبد المطلب جاءت محاولته التجديدية لغرض الاستفادة من الأبحاث اللسانية في معالجة قضايا البلاغة العربية، خاصة فيما اصطلح على تسميته بمرحلة الجمود والتعقيد، التي نُعتت بها البلاغة السكاكية، ليّدلل بالدليل و البرهان العلمي أنّ ما وُصفت به هذه البلاغة غير حقيقي، وأنّ القراءة التقليدية كانت السبب وراء ذلك. إذا ما علمنا أنّ الآراء التي ظهرت قبله و دعت إلى تجديد البلاغة انطلقت من نقد البلاغة العربية والنظر إليها نظرة إجحاف، في حين أنّ محاولته سارت في اتجاه مخالف عن ذلك.

تصوّر عبد المطلب في تجديد البلاغة العربية، واضح في كتابه الذي نشره سنة 1997، وجاء بعد عدد من المحاولات التي تبناها أصحابها في سبيل البحث عن صورة جديدة للدرس البلاغي، أو البحث عن ثوبها الجديد على حد تعبير بكري الشيخ[3].

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص 117 .

[2] المرجع نفسه، ص 124 .

[3] يعد بكري الشيخ من المجددين في البلاغة العربية في العصر، وقدمّ تصوره التجديدي في كتابه: « البلاغة العربية في ثوبها الجديد»، الذي نشرته دار العلم للملايين عام 1979 .

تتميّز القراءة اللسانية للتراث البلاغي بجملة من المميزات التي تجعلها جديرة بالاهتمام، بحكم أنّها تبحث عن تفسير للنصوص ودراسة دلالتها العميقة. والحقّ أنّ هذا النوع من القراءة كما رأينا في مدخل هذا البحث انطلق مع حمادي صمود في كتابه: «التفكير البلاغي، أسسه وتطوره إلى القرن السادس» الذي نشره عام 1981 .

بعدستة عشر سنة نشر عبد المطلب كتابه الذي يمثل خلاصة آرائه في الدرس البلاغي. وتبني التجديد عنده له أيضا الميزة التي يختلف فيها عن غيره من الدارسين المعاصرين؛ إذ إنّ كتابه جاء بعد التطور الحاصل في الأبحاث اللسانية، التي تابعها المحدثون باهتمام كبير، وتأثر عبد المطلب بأبحاث تشومسكي على وجه الخصوص، الأمر الذي مهد له الطريق لتقديم هذه المحاولة.

ينطلق التصوّر في تجديد البلاغة العربية عند محمد عبد المطلب من خلال الكشف عن البنية البلاغية وتحوّلاتها، وفق ما تنهجه نظرية تشومسكي التوليدية و التحويلية.

جاء الاهتمام بهذه النظرية من طرف الدارسين المحدثين العرب، بعد الذي أحدثته. وفي سنة 1957ابتدأت ثورة جديدة في الدرس اللغوي حين أصدر تشومسكي كتابه الأول " البنى النحوية"، أو " البنى التركيبية"، ومنذ ذلك الحين تغيّر اتجاه علم اللغة من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد، مثّل ثورة حقيقية على حدّ وصف الباحثين؛ " لأنّه قوّض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناءً آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة"[1].

[1] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 1988، ص109.

هذا المنهج يُعرف الآن بالمنهج التحويلي وصار تشومسكي فيه بسبب دراسة عالمية الفكر الإنساني أبرز شخصية في تاريخ اللغويات أو اللسانيات الحديثة والمعاصرة إلى اليوم[1].

لعل الدافع وراء تبني الأنموذج التحويلي في تحديد البلاغة عند محمد عبد المطلب هو بروز الأبحاث البلاغية التي اهتمّ أصحابها بالبحث عن أصول هذا المنهج في التراث البلاغي العربي، ومنها النتائج التي توصلت إليه دراسته الموسومة بـــ «قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني»، إذ توجه فيها إلى منطلقات الحداثة الوافدة بغية استحضارها تاريخيا، واسترجع من جهة أخرى الموروث اللغوي بطريقة انتقائية، ترصد الظواهر في قمّة نضجها، إذ أدرك محمد عبد المطلب أنّ المنهج العقليّ سيطر على فكر عبد القاهر ثم تشومسكي، فقادهما إلى اعتماد النحو التقعيدي أساسا لإدراك القيمة الحقيقية للصيّاغة،و اعتمادهما لمستويي الأداء في البناء السطحي، والبناء الداخلي، وأنّ القواعد اللغوية ترجع إلى العقل الداخلي والمنطق عند تشومسكي، كما ترجع إلى الكلام النفسي عند الجرجاني[2].

تكون هذه النتائج التي توصل إليها محمد عبد المطلب سببا في تعميم المنهج التحويلي على مستوى البلاغة السكاكية التي كانت الحقل الذي مارس فيه القراءة الاستنتاجية.

نجد من هذه الأبحاث أيضا ، المقال الذي كتبه عبد الحكيم راضي والموسوم بـــ « البحث البلاغي عند العرب من وجهة النظر التحويلية»1984؛ إذ وقف الباحث على نصوص بلاغية تفيد بحرص البلاغيين على البدء من البنية الأصلية للغة، ثمّ التدرج معها في مراقبة تحوّلها إلى بنيتها الظاهرة التي تمثل المستوى البليغ، ولإثبات جوهر هذه النظرية التحويلية في البلاغة العربية، استنطق الرضي نصوص السكاكي والزمخشري، وخلص إلى نتيجة مفادها "قيام

---

[1] مجيد الماشطة: شظايا لسانية، دار اليقظة الفكرية، دار السياب، سورية، ط1، 2008، ص49.

[2] محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،ط1، 1995، ص 86 .

البحث البلاغي على رصد ظواهر التحوّل في العبارة وذلك بالنظر إلى أصلها أو بنيتها الأساسية التي تحولت عنها "[1]، ومثل هذه الإشارات فتحت الباب أمام الباحثين لتطوير التفكير البلاغي القديم ومقارنته بالبحث اللساني الحديث.

النظرية التحويلية في الكتابة العربية الحديثة :

قبل أن نتعرف على طبيعة المنهج التحويلي في الدرسالبلاغي، لا بأس أن نتوقف عند الكيفية التي تمّ بها تلقي هذه النظرية التوليدية التحويلية في الدرس اللغوي عموما.

تلقّى اللغويون العرب آراء تشومسكي في نظريته المعروفة بالتوليدية والتحويلية باهتمام كبير، وكان ذلك واضحا في الدراسات العربية الحديثة قبل نظرية تشومسكي، ونعني بذلك تطبيق المنهج التاريخي المقارن، والمنهج الوصفي.

برز تلقيّ النظرية التوليدية التحويلية في مرحلتها الأولى من خلال الترجمة العربية التي صاحبت إصدارات تشومسكي، والتي حاولت أن تقرب مفاهيم ومقولات هذه النظرية اللسانية للقارئ العربي، على غرار ما قدمته ترجمات يوئيل يوسف لكتابه « البنى النحوية»، وترجمة مرتضى جواد باقر لـــ « جوانب من نظرية النحو». إذ تابعت الترجمة تطور نظرية تشومسكي، وحاولت أن تفيد القارئ العربي بكل جديد عنها، فتواصل ذلك مع باحثين آخرين، مثل

[1] عبد الحكيم راضي: البحث البلاغي عند العرب من وجهة نظر تحويلية، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1404هـــ/ 1984، ص 130 -142 . .

العلكاوي في ترجمته لكتاب « اللغة والعقل»[1]، وميشال زكريا لكتاب « الطبيعة الشكلية للغة».. كل ذلك ساعد على التعرف على هذه النظرية في أحدث مقولاتها اللسانية[2].

اختلفت طبيعة التأثر بهذا المنهج التحويلي في دراسة اللغة عند الباحثين العرب، باختلاف الرؤى ومنطلقات العمل وإلى جانب ذلك طبيعة المرحلة الزمنية بحكم أنّ هذه النظرية اللسانية شهدت تطورات كبرى بفضل النقد الذي وجهه أتباع تشومسكي لها، مما جعله – أي تشومسكي- يساير النقد ويبحث عن مخرج وتعديلات جديدة.وقد تباين التأثر بهذه النظرية الغربية من طرف الباحثين العرب، بين مَن كانت محاولته في وصف العربية شاملة، و من كانت محاولته جزئية تناول فيها ظاهرة معينة[3] .

قراءة التراث اللغويّ شغل اهتمام الدارسين، ممّا أوعز مجموعة من الباحثين المقارنة والربط بين جهود اللغويين القدامى والأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية، محاولين توضيح أوجه الاتّفاق بينهما، واعتماد الأساس العقلي في تفسير الظاهرة اللغوية في التراث اللغوي عند العرب.ومن أبرز الباحثين المتأثرين بهذا المنهج، عبد الرحمن الحاج صالح في مقالاته في «مجلة اللسانيات»، وعبده الراجحي في كتابه « النحو العربي والدرس الحديث»، ونهـــاد موسى في كتـــابه « نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث».

---

[1] كما ترجم عدنان حسن كتاب تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، والذي نشرته دار الحوار السورية في طبعته الأولى عام 2009 .

[2] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية- علم النحو وعلم المعاني)، دار حامد، عمان، ط1، 2004، ص 54 .

[3] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية- علم النحو وعلم المعاني)، دار حامد، عمان، ط1، 2004، ص 54 .

البحث عن دراسة الكيفية التي تلقى بها الراجحي مبادئ هذه النظرية مهمّ، باعتبار أنّ كتابه كان عمدة المصادر عند الدارسين المحدثين، من خلال الاعتماد عليه في المقارنة بين مناهج الدرس اللغوي القديم والتيارات النقدية الحداثية.

فتح هذا الإجراء معاودةقراءة التراث بآليات جديدة. والراجحي في كتابه أراد البحث عن منهج في دراسة اللغة العربية من خلال المزاوجة بين رؤى التراث ومستجدات الحداثة، بعد الاضطراب الذي عرفه النحو العربي، جراء الاختلاف في التمسك به جملة وتفصيلا، ورفض ما يقدمه المحدثون، أو ترك جلّ ما فيه والتوجه إلى الدرس الحديث، ومسايرة تطوره، إذ يقول الراجحي: "حين عاد اللغويون إلى اعتبار " العقل" الإنساني مصدرا ضروريا من مصادر الدرس اللغوي، وظهر منهج جديد لا يزال يتطور كل يوم، وهو ما يعرف الآن بالمنهج التحويلي" [1].

قراءة الكتاب توضح أنّ الراجحي أراد النظر في أصول المنهج النحوي عند العرب بناء على ما تقدّمه المناهج الحديثة. وهذا العمل يندرج فيما يسمى الآن في الدراسات التي تعالج إشكالات التلقيّ بـــ " لسانيات التراث " وهو اتجاه سنعرض لخصوصيته في الفصل الرابع من البحث.

عالج الراجحي قضايا المنهج التحويلي في الباب الثاني من الكتاب، عرض فيه أصول هذه النظرية الحديثة وطريقتها في التحليل النحوي ثم توقف عند الجوانب التحويلية في النحو العربي، وكان التناول في حدود 36 صفحة؛وانتهى الراجحي في دراسته، إلى القول بأنّنا " لا نريد أن ننسب النحو العربي سبقه إلى هذا المنهج، ولكنا نقصد – كما أشار تشومسكي–أن نؤكد أن ما سمي " بالنحو التقليدي" كان أكثر اقترابا من الطبيعة الإنسانية في دراسته للغة، وأنّ

[1] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص5 .

ما نحتاجه الآن قد يكون – في الأغلب- إعادة أصوله على أسس أكثر علمية"[1] مما فتح المجال لتطوير مثل هذه الأفكار، وتأصيل المنهج التحويلي في التراث اللغوي العربي.

تعدّ محاولة الراجحي من أولى المحاولات التي هدفت إلى ملامسة التراث العربي وفق مقولات النظرية التحويلية، كان مقتصرا على بعض الجوانب النحوية التي رفضها المنهج الوصفي، واصفا إيّاها بالضعف، في حين يراها التحويليون أصيلة. والجوانب التي توقف عندها الراجحي هي: قضية الأصلية والفرعية، وقضية العامل، وقواعد الحذف، إلى جانب قواعد الزيادة أو الإقحام،وقواعد إعادة الترتيب[2] .واكتفى الراجحي في دراسة هذه الجوانب بين المنهج الوصفي والمنهج التحويلي بالعودة إلى نصوص سيبويه، محاولا الكشف عن مقولات منهج تشومسكي فيها.

لعل من أهم النتائج التي مكنته بالقول في مسألة أنّ اللغة توفيق أم توقيف؟ هو وصوله بأنّ قول علماء العربية بأنّ اللغة توقيف مرده إلى تأملهم حال اللغة وانبهارهم بدقة نظامها وتعقيد تراكيبها، وغلب على ظنهم أنّ دقّة النظام لا تكون من صنع الإنسان، وليس إلى اعتبارات دينية كما كان شائعا في الدراسات اللغوية الحديثة التي توقفت عند هذه المسألة الجوهرية[3].

عملت مجموعة أخرى من الباحثين بتطبيق النظرية التحويلية التوليدية على بعض أبواب اللغة العربية، ومن أبرزها محاولة محمد الخولي الذي طبق فيها نظرية فيلمور، والتي عُرفت بـــ " قواعد الحالة الإعرابية"، التي يُقصد بها مجموعة المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار بعض

---

[1] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث ،ص 143.

[2] المرجع نفسه،146 - 157 .

[3] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث،ص 158

الأحكام المختلفة، عما يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما ومن يقع عليه حدث ما وما الذي حدث، ومتى وقع هذا الحدث، وغيرها من التساؤلات العلمية[1].

أراد محمد الخولي تطبيق هذه القواعد على الجملة العربية، التي أجرى فيها فيلمور تغييرات على نظرية تشومسكي.

حاول مازن الوعر الإفادة من جهود اللغويين العرب القدماء ومن أتباع النظرية التوليدية التحويلية، وتأثر بشكل خاص بفرضية العالم الأمريكي " ولتركوك"، من أجل تفسير الظاهرة اللغوية تفسيرا دلاليا وبخاصة أقر بتجاوز النحاة العرب لبعض وجوه الدلالة، ومثل هذه المحاولة في كتابه « نحو نظرية لسانية عربية حديثة»،مهد لدراسته ببيان أنّ التراكيب في العربية قسمان: التركيب الاسمي، والتركيب الفعلي، ورأى أنّ المسند، والمسند إليه، والفضلة، تمثل حجر الأساس في النظرية العربية للتراكيب[2].

عالج مازن الوعر في دراسته الافتراضات النحوية والدلالية للبنية العميقة أو المقدرة للتركيب العربي مفيدا بنظرية تشومسكي وكوك ونظرية النحو العربي، معالجا قضايا النحو وفق أطر هذه النظرية، منها قضية التقديم والتأخير، والتراكيب الاستفاهيمة[3] .

هذه الدراسة في حقيقة أمرها لم تبرز إلا قليلا من خصائص اللغة العربية، وتطرقت إلى عنصر واحد من عناصر التحويل، وهو التقديم والتأخير، وغابت العناصر الأخرى على أهميتها منها الحذف والزيادة.

---

[1] محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981، ص 16.

[2] مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ص32.

[3] مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص 37 .

عرّف ميشال زكريا بهذه النظرية اللسانية، وأقرّبأنّها تسعى إلى تعميق دراسة اللغة، وأصدر كتابه الموسوم بـــ « الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية»، متابعا جديد هذه النظرية والتعديلات التي عرفتها، وتوقف على ما يسمى في أطروحة تشومسكي بـــ " النظرية الموسعة".ومن المسائل التي عالجها ميشال زكريا قضية الرتبة في الجملة العربية، ورأى أنّ النمط: ف (فعل)+ فا (فاعل)+ مف (مفعول) هو الترتيب الأساسي في البنية العميقة، حيث حاول وصف هذهالبنية العميقة في الجملة العربية[1]. و تكمن أهمية هذه الدراسة أنّها عرّفت القارئ العربي بها، رغم النقائص التي اعترتها، منها اعتقاده النعت وصفا، واصطناع الأمثلة بحسب الأفكار التي يحملها عن هذه النظرية[2] .

كان الدافع عند الفاسي الفهري من تبني النظرية التوليدية التحويلية النظر في وضع اللغة العربية، فألف كتابا هامّا سماه « اللسانيات واللغة العربية»، رأى فيه أنّ الأدوات الأساسية لتعلّم اللغة العربية، وتيسير استعمالها والتفقه فيها لم تحظ بالتجديد الذي حظيت به نظيرتها من اللغات الأخرى. اهتم في هذا المؤلف بنظرية تشومسكي، بالإقرار عن منطلقاتها وتصورتها للباحث العربي، ولم يقتصر على مرحلة من مراحل هذه النظرية، بل واكب تطورها متابعا مؤلفات تشومسكي باهتمام كبير[3].

---

[1] ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1986، ص 33 .

[2] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص83 وما بعدها .

[3] عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، منشورات عويدات، بيروت، دار توبقال، المغرب، ط1، 1986، ص 68 .

لم يقتصر عمل الفهري في نقل وتبليغ أطروحة هذه النظرية، بل أخذ طابع التأثير بها، في تطبيقها على النموذج العربي، فدرس موضوع " الرتبة في اللغة العربية"، وموضوعات أخرى تخص هذه النظرية اللسانية الحديثة[1].

حاول الفاسي الفهري تطبيق نظرية العالمة الأمريكية برزان، إذ اتّسمت محاولته بعدم الإسناد إلى معطيات النحو القديم، ورأى أنّ اللغة التي وصفها سيبوية ليست هي الموجودة حاليا، بالنظر إلى كثير من خصائصها التركيبية والصرفية والصوتية، وعلى هذا فلا بد من إعادة درس العربية من جديد[2] . محاولة الفاسي الفهري تعرضت إلى النقد، خصوصا عن قوله بأنّ معطيات القدماء لا تنفع في بناء نظرية عربية حديثة، إلى جانب قوله وجود بنية واحدة للجملة العربية، وهي الجملة الفعلية، ونفيه لوجود الجملة الاسمية، بغية التأكيد على أنّ العربية لغة طبيعية، وكلامه في نظر النقاد يفتقد إلى الحقيقة.

من الباحثين الذين كان تأثرهم واضحا بنظرية تشومسكي خليل عمايرة، وذلك في كتابه « في نحو اللغة وتركيبها»، وأخذ تأثره ميزة خاصة، تتمثل في استخدام مصطلح النظرية التحويلية، وآثار استعمال المنهج الوصفي، مع الإفادة من معطيات النحو القديم، وهدفه في ذلك الوصول إلى بناء تصور أفضل يجمع بين إدراك بعدي المبنى والمعنى معا[3].غير أنّه أحدث تغيرات على بعض المصطلحات التحويلية، وسمى نظريته بالنظرية التوليدية التحويلية المعدّلة، التي كانت له فيها آراء استخدمها في كتابه: « في التحليل اللغوي».

لا نغفل في هذا السيّاق التصوّر الذي قدّمه محمد حماسة عبد اللطيف، الذي حاول أن يعرج فيه على بعض الأنماط التحويلية في النحو العربي، وذلك من خلال " إلقاء الضوء على

---

(1) المرجع نفسه، ص 105 .

(2) نفسه، ص 142 .

(3) خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، بيروت، ط1، 1984، ص 20 .

بعض التراكيب في العربية التي تحولت من أصل افترضه النحويون العرب من خلال نظريتهم التي تقوم على افتراض "أصل" مقدر، وتركيب ظاهر منطوق أو مكتوب"[1] .

هذا النوع من الدراسات في نظره يفرض على الدارسين أن يقارنوا بينه وبين نظرية تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي التي فرضت نفسها بقوة على ساحة الدرس اللغوي الحديث؛ خاصة وأنّ النظريتين تتفقان في جوانب كثيرة.

الأخذ بالمعالجة النحوية التحويلية إجراء يطلبه حماسة عبد اللطيف بحكم أنّه " فكر حديث متميز يفيد في فتح زاوية جديدة من زوايا النظر إلى ذلك الهرم القديم الشامخ الذي يكاد ألفنا له واعتيادنا عليه يفقدنا دقة النظر فيه والتنبه لما يحتوي عليه ولما ينخر فيه على السواء"[2]

تكمن خصوصية محاولة حماسة عبد اللطيف في أنّها تعالج الأنماط التحويلية كما عالجها النحاة القدماء لا كما يعالجها التحويليون المحدثون، وهو لا يهدف إلى تطبيق النظرية التحويلية على اللغة العربية، بل الإشارة إلى طريقة النحويين العرب التي تتشابه في أصولها مع الطريقة التحويلية الحديثة.

لم يتوقف تلقيّ النظرية التحويلية في النقد العربي عند هؤلاء الباحثين، بل شاع استعمالها في الدرس اللغوي العربي في المشرق والمغرب العربي. وظهر بعد ذلك دراسات أخرى تندرج فيما يسمى الآن بنقد النقد، وهي الأبحاث التي حاول أصحابها نقد وتوجيه الدراسات المبكرة الأولى التي تأثرت بنظرية تشومسكي.

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف: الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، 1990، ص5 .

[2] محمد حماسة عبد اللطيف: الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص 6 .

قدّم عبد الحميد السيد كتابا عنوانه: « دراسات في اللسانيات العربية»، حاول في هذه الدراسة أن يقف عند جهد المحدثين العرب في وصف بنية الجملة العربية وتشكّلها في ضوء المنهجين: الوصفي، والمنهج التحويلي التوليدي.والمنهج التداولي أيضا.و اتّبع في هذه الدراسة منحى الوصف التقريريّ، واقفا على طابع المحاولات التي تأثرت بالمنهج التحويلي، ومقدّما رؤيته بشأن النقائص التي اعترتها [1] .

لم يختلف منهج حليمة أحمد عمايرة عن منهج عبد الحميد السيد، في الدراسة التي قدّمتها بعنوان« الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة»، وحاولت خلال المبحث الثالث من الفصل الأول في هذا الكتاب التوقف عند العرب المحدثين الذين تأثروا بالمنهج التحويلي، و رصدت أهم المؤلفات التي كان فيها التأثر واضحا بآراء تشومسكي، وتكلمت عن ميشال زكريا، ومحاولة الفاسي الفهري، واستثناءات مازن الوعر، وغيرهم من علماء العربية، الذين استفادوا من الوافد الجديد في دراسة قضايا اللغة العربية، لكنّها لم تقوّم هذه الدراسات، واتّخذت سبيل التعريف بها منحى لها في هذا الكتاب[2].

من المحاولات الجادة التي سعت إلى التعريف بنظرية تشومسكي، محاولة عبد الرزاق دوراري، الموسوم بـــ « مدخل إلى النحو التفريعي»، وهي في حقيقة عملها رسالة ماجستير تقدم بها صاحبها، وتمت مناقشتها بمعهد اللسانيات والصوتيات التابع لجامعة الجزائر سنة 1985م، حاول فيها ترجمة كتاب"البنى النحوية"، متأثر فيها بالمصطلحات التي استعملها عبد الرحمن حاج صالح.مؤكدا بأنّ " البحث باللغة العربية يسهم كثيرا في إثراء المعارف العلمية

[1] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص 6 وما بعدها .

[2] حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2006، ص 20.

العالمية ويساعد المترجم على أداء مهمته على أحسن وجه بأن يوفر له المصطلح العلمي الدقيق" [1].

رغم أنّ محاولة عبد الرزاق دوراري جادة فتعتبر قديمة بالنظر إلى الأبحاث المتجددة التي شهدتها نظرية تشومسكي . غير أنّ هذا التقيّد بالمهاد الأول لنظرية تشومسكي لم يمنع من ظهور بعض الأبحاث العربية تابعت مستجدات النظرية.

من بين هذه الأبحاث ما قدمه حسام البهنساوي في تطبيقه نظرية النحو الكلي على تراكيب اللغة العربية، تحدث في تقديمه على أهمية التطورات والتعديلات التي واكبت مسار النظرية التوليدية التحويلية، وأنّ النحو الكليّ هو تحديد للمبادئ الفطرية المحددة بيولوجيا، وأنّ تطبيق هذا النحو الكليّ على اللغات الإنسانية هدفه اختبار مدى مصداقية التأويل العقلي وجدواه[2].وبخصوص تطبيق نظرية النحو الكلي على اللغة العربية، يرى البهنساوي: " أنّ التراكيب اللغوية العربية جديرة- حقا- بالتحليل والتطبيق، وفقا لآليات نظرية النحو الكلي وقواعدها"[3] .

تابعت باهتمام سميّة المكي تطور هذه النظرية، وأنجزت بحثا حول الكفاية التفسيريّة للنحو العربي والنحو التوليدي، وهو البحث الذي نظرت فيه إلى التفاعل بين النظرية والوقائع، واختارت لدراسة ذلك النظرية النحوية العربية والنظرية التوليدية، وتعلل الباحثة اختيار هذه النظرية الأخيرة بحكم " أنّها ترسم بوضوح بالغ حركة التفاعل المستمر بين النظرية و الواقع،

---

[1] عبد الرزاق دوراري: مدخل إلى النحو التفريعي، موفم للنشر، الجزائر،2007، ص 8.

[2] حسام البهنساوي: نظرية النّحو الكليّ والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص 5.

[3] المرجع نفسه، ص 8 .

فتنوّعت لذلك المناويل التي سعى من خلالها تشومسكي إلى توسيع الحيّز الاختباري لافتراضاته حتى يتمكن من السيطرة على الواقع أكثر فأكثر وبلوغ قدرة تفسيرية أقوى"[1] .

ومن ثم تكمن جدة محاولة سميّة المكي في الزاوية الابستمولوجية أي زاوية التفاعل بين النظرية والواقع لرصد عناء النظرية والمناويل المشتقّة منها في استيعاب هذه الأبنية المشكلة دون المساس بأصولها وبتناسقها .

[1] سميّة المكّي: الكفاية التفسيريّة للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013، ص 16.

المبحث الثاني:

المنهج التحويلي أساس تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب

تظهر ملامح المنهج التحويلي في المقولات البلاغية عند محمد عبد المطلب من خلال رؤيتهبأنّ البلاغيين في دراستهم للمباحث البلاغية، انطلقوا من فرضية مفادها بأنّ لكلّ تركيب بلاغي أصل، يكون الوصول إلى معناه معتمدا على ما تقدّمه اللّغة من إجراءات كلامية ، التي تقاس باعتماد مجموعة من القواعد التحويلية[1].

تأتي هذه القراءة التي يعتمد فيها عبد المطلب على آراء تشومسكي بغية الوصول إلى الخلفية الفكرية التي وجهت البلاغيين إلى رصد مباحثهم الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع. أي البحث عن تفسير لهذا التقسيم.

يعتبر محمد عبد المطلب بأنّ البنية العميقة هي المفسر الأول لمجموعة البنى البلاغية، التي يكون فيها الخروج عن المواضعة في مباحث البيان، أو ما اتّصل منها بانتهاك النمط التركيبي في مباحث المعاني، أو ما اتّصل منها بالتكرار في النمط التحسيني[2] .

اهتمام عبد المطلب بالبنية العميقة له دوافعه وأسبابه، بحكم أنّها تملك الشرعية في إنتاج المكون التحويلي والمكون الدلالي، أي أنّها تسمح بالوصول إلى دلالة التراكيب اللغوية، وهو جوهر عمل البلاغة؛ لأنّ " البنيات العميقة التي يولدها الأساس تكون دخلا للمكون التحويلي والمكون الدلالي"[3].

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 89 .

[2] المرجع نفسه، ص 91.

[3] مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 111 .

مصطلح « الأساس » الذي استعمله محمد عبد المطلب من المصطلحات اللسانية التي أتى بها تشومسكي، وعندهتتألف من مكونين: المكون المقولي، والمعجم. ويشتمل المكون المقولي على نوعين من القواعد[1]:

- قواعد إعادة الكتابة وهي قواعد حرة لا تخضع للسياق، ودورها إعادة كتابة الرموز المقولية إلى رمز واحد أو رموز عدة، بعضها له دلالة نحوية، والآخر له دلالة معجمية واحدة. أي أنّ دورها ضبط العلاقات النحوية المتحكمة في البنيات العميقة.
- أمّا القواعد المقولية الفرعية فهي قواعد إعادة كتابة من نوع خاص تطبق على رموز مركبة، وهي عناصر معجمية تتكون من خصائص وسمات صوتية وتركيبية ومعجمية. '

رأي عبد المطلب من مقولة تشومسكي، التي يقول فيها: " فمن أجل أن نفهم جملة ما من الضروري أن نعرف الجمل النواة التي اشتقت منها هذه الجملة وبعبارة أدق أن نعرف السلاسل النهائية التي تعتمد عليها الجمل النواة هذه، والقواعد المركبية لكل من هذه المكونات الأولية، وكذلك التاريخ التحويلي للجملة التي نحن بصددها وتطورها من جمل النواة هذه وهكذا تصبح المسألة العامة لتحليل الفهم في أحد معانيها مسألة شرح كيفية الجملة النواة التي تعتبر العناصر الأساسية للمحتوى الذي تشتق منه جمل أكثر تعقيدا مألوفة " [2].

من الملاحظات التي تثير فضول القارئ العربي هي تلك الاستنتاجات التي يجدها في كتب المحدثين، الذين كتبوا عن التراث البلاغي، بقولهم إنّ البلاغة تميّزت بكثرة التفريعات

[1] مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، ص 112.
[2] المرجع نفسه، ص 36 .

والأقسام الجزئية والكلية في علومها الثلاثة، وهو الأمر الذي جعل المحدثين يوجهون اللوم والنقد إلى هذه الميزة، التي كانت الدافع عند بعضهم في البحث عن تصوّر جديد لهذه البلاغة.

اللافت أنّ محمد عبد المطلب لم يتأثر بهذه الرؤية، بل يكاد يشكل – حسب اطّلاعنا – الاستثناء بخصوص هذه الميزة عندما رأى بأنّ الكثرة في التفريعات ناتجة من تصوّر بأنّ هناك تحوّلات لبنية أوّلية. ويفسر هذه الخصوصية بأنّها تنويعات على أصل مثالي قابل للدخول إلى منطقة التطبيق بكلّ احتمالاتها الدلالية، على أنّه " لا يمكن النظر إلى الكمّ الهائل من الأقسام والتّفريعات الجزئيّة والكليّة على أنّها مجرد شهوة تكثيرية " [1].

نستنتج من ذلك أنّ محمد عبد المطلب وظّف المنهج التحويلي في الردّ على الذين طعنوا البلاغة العربية، من خلال تحقيقهم شبه إجماع في القولإنّ من مساوئ هذه البلاغة أنّها تميّزت بكثرة التفريعات والتقسيمات، في حين أنّنا نجد بعض الباحثين يبرون كثرة المصطلح البلاغي (1087 مصطلحا)بوجود أسباب مختلفة، حصرها محمد بن علي الصامل في النقاط التالية[2]:

- جعل الأغراض البلاغية للنوع الواحد.
- جعل العلاقات مصطلحات مستقلة (علاقات المجاز المرسل).
- ذكر المصطلح الواحد بأكثر من صيغة.
- تعدّد المصطلحات للنوع الواحد.
- التنافس في اختراع أنواع بلاغية جديدة.
- الخلط بين العنوانات والمصطلحات.

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 91 .

[2] محمد بن علي الصامل: قضايا المصطلح البلاغي(كثرته وتعدده واشتراكه وصياغته)، مجلة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع30، 1425هـ، ص 440- 482 .

تبنّي المنهج التحويلي في التفكير البلاغي هو التصوّر الذي اشتغل عليه محمد عبد المطلب في التأسيس لقراءة جديدة للبلاغة القديمة، بوصفه الأنموذج الذي يميّز البنيات التركيبية، و يُقام فيه بتحويل الجملة النواة إلى جمل مفرعة عنها بسيطة ومركبة،لم يهملها البلاغيون، وإنّما اجتهدوا لاختيار المصطلح البلاغي الذي يناسبها، وسواء كان ذلك في علم المعاني أو علم البيان، أو علم البديع .ومن ثمّ فإنّ التفريعات البلاغية في نظره عبارة عن تنويعات على أصل مثالي قابل للدخول إلى منطقة التّطبيق بكلّ احتمالاتها الدّلاليّة. [1] .

إدراك نوع التطابق بين الأصل والنموذج التنفيذي هو الأساس الذي ينبغي أن تقف عنده عملية التحليل البلاغي، بغية النظر في مختلف التحويلات ذات المستويات، التي تنطلق فيها الحركة الذهنية وتتطابق مع مردودها الصيّاغي، والبحث عن هذا التطابق يحتكم إلى ما يسمى بالقواعد التحويلية[2].

تعدّ المطابقة التي يتحدث عنها عبد المطلب من أهمّ القضايا اللسانية التي اشتغلت عليها التوليدية خاصة في برنامجها الأدنويّ؛ إذ اصطدمت النظرية بالثراء التصريفي في الألسن الطبيعيّة كما اصطدمت باختلاف سلوك الفعل داخل البنية الإعرابية في علاقته بالنفي والظرف. [3].والتركيب الباطني يعطي المعنى الأساسي للجملة أو الوحدات الاسنادية[4]. وإنّ اللجوء إلى

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 91 .

[2] المرجع نفسه ، ص 92.

[3] سميّة المكّي: الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 279 .

[4] محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 79.

البنية العميقة في النحو العربي إنّما كان لتفسير الأبنية والتراكيب التي تعتريها بعض التحولات في سعة الكلام ونظمه من مثل الحذف، والتقديم، والتأخير وغيرها[1].

يفهم من ذلك أنّ الارتداد إلى التركيب الباطني للقول البلاغي هو محاولة للبحث عن تحليل يتجاوز مرحلة الوصف ويحقّق ما يسمى بالتفسير، ولا يكون ذلك إلاّ بالوقوف على التحويلات التي تسهم في نقل المعنى من المستوى الذهني العميق إلى المستوى السطحي.

التحويل في المفهوم اللساني هو وصف العلاقة بين التركيب الباطني أو البنية العميقة والتركيب الظاهري أو " البنية السطحية. والعلاقة بين التركيبين تشبه عمليّة كيماوية، يتم التعبير عنها بمعادلة أحد طرفيها المواد قبل تفاعلها ، والطرف الآخر هو الناتج بعد التفاعل. إنّ التركيب الباطني يعطي المعنى الأساسي للجملة، وهذا التركيب تركيب مجرّد وافتراضي، ويتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تُصبح تركيبا ظاهريا، وبذلك يكون التركيب الظاهري حقيقة فيزيائية ملموسة إذا تكلّمنا أو كتبنا "[2].

وعليه، فإنّ الوظيفة التي يشتغل عليها التحويل هي تغيير البنية العميقة ذات الطابع التجريدي إلى بنية سطحية ملموسة تمثّل الجانب التجسيدي من البنية اللغويّة،و يتجلى ذلك من خلال مجموعة من القواعد التي قد تكون بالزيادة في البنية اللغوية الأصلية، وقد تتمّ بالحذف أو إعادة الترتيب أو الاتّساع أو غير ذلك[3].

مفهوم القواعد التحويلية لا يتأسّس على القوانين النحويّة التي تسهم في تركيب أركان الجملة فحسب، بل هو شامل وجامع لمختلف المعطيات الصوتية والصرفيّة والدلاليّة التي تسهم

---

(1) عبد الرحمن حاج صالح مدخل إلى علم اللسان مجلة اللسانيات، ص58 .

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص12و13

(3) عبد الحليم بن عيسى: القواعد التحويلية في الجملة العربية،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص 17 .

في تكوين الجملة. وعن طريق هذه القواعد ذات الأبعاد الشاملة لكلّ ما يمليه تنظيم اللغة بمستوياته المختلفة نستطيع أن نولّد عددا غير محدود من الجمل، وأن نفهم جمل هذه اللغة أيضا وهذا ما يمثّل ما اصطلح عليه تشومسكي بالكفاية اللغوية[1] .

انطلاقا من هذه المقولات اللسانية التي أتى بها تشومسكي يذهب محمد عبد المطلب إلى القولبأنّ السكاكي كان له وعي بالقواعد التي تنظّم البحث البلاغي، وتفاصيل هذا الأساس،وعرف جيّدا المفارقة بين البنية العميقة والبنية السطحية[2]،من خلال فرضية السكاكي، التي تقرّ بأنّ الأدبية نادرا ما تتمايز في مستواها العميق، وإنّما يتحقق التّمايز في المستوى السطحي.

ولعل أروع النصوص التي تكشف حرص السكاكي على البدء من البنية الأصلية في التعامل البلاغي، كما ورد ذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿شَيْباً ٱلرَّأْسُ وَٱشْتَعَلَ مِنِّي ٱلْعَظْمُ وَهَنَ إِنِّي رَبِّ فَالَ﴾[3]، يقول السكاكي: " الكلام في تلك اللطائف مفتقر إلى أخذ أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى، ثمّ النظر في التفاوت بين ذلك وبين ما عليه نظم القرآن، وفي كم درجة يتصل أحدُ الطرفين بالآخر"[4]، وهذه إشارات من نصّ طويل يركز فيها على التحويل الذي ينتاب التراكيب.

و إذا كانت البلاغة تبحث عن التمايز في المستوى السطحي للتراكيب التي يحدثها المتكلمون فإنّ ذلك مقرون بإدراك الأداء الفعلي للغة، الذي هو تنفيذ عملي لقواعد القدرة

---

(1) نعوم تشومسكي: البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ومراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص 37.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 96.

(3) سورة مريم: 03

(4) السكاكي: مفتاح العلوم،ص137 وما بعدها.

وآلياتها، " إنّه التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته. غير أنّ الإنجاز ليس دائما صورة مطابقة للقدرة الضمنية التي تتسم بطابع التجريد" [1].ونظرا لهذا الاختلاف الموجود بين القدرة والإنجاز فإنّ الدراسة البلاغية ينبغي لها أن تأخذ بعين الاعتبار هذا المعطى بحثا عن قراءة تفسيرية لجمالية التراكيب الإبداعية.

في نفس هذا الاتّجاه يذهب يحي عبابنة إلى القولبأنّ وصف البنية السطحية للتركيب لا يقدّم شيئا، بل لا يُعد علمًا، ولكن الأهمّ هو أن نصل إلى البنية التحتية أو العميقة لأنها هي التي توقفنا على قوانين الطبيعة البشرية[2]. هذه الحقيقة العلمية لم يتنبه لها كثير من الدّارسين في نظر محمد عبد المطلب، حيث توجه الاهتمام بسطحية التركيب، دون تصوّر لعملية التحويل التي كانت الخلفية الحقيقية وراء الأقسام والتفريعات. مما يدعو في نظره إلى القول بأنّ الدرس البلاغي قد انطلق من مفهوم تحويلي دقيق، لم يذكره البلاغيون بمصطلحه الحديث[3].

كان تشومسكي قد رفض فكرة الاهتمام بالمستوى السطحي في المنهج الوصفي، ورأى أنّ البحث اللغوي بهذه الطريقة يكاد يعامل الإنسان بوصفه آلة تتحرك بحسب قوانين تحددها مواقف معينة، و لم يكن على الباحث اللغوي إلاّ أن يطبق إجراءات معينة لكشف السلوك الإنساني، وهو التوجه الذي رفضه تشومسكي جملة وتفصيلا[4].

التوليدية " ليست مقاييس يقاس عليها الخطأ والصواب، ولا هي وصف لبنى لغوية ثابتة غير مستقرة فالتحويلية التوليدية تنظر إلى مستعمل اللغة على أنّه مبدع يولّد من التراكيب والجمل ما لا نهاية له، أمّا أنّها لم تكن معايير فيعني أنّ المعيارية هي قواعد لغة يلتزمها المتكلم

---

(1) مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، ص 43 .

(2) يحي عبابنة وآمنة الزعبي: علم اللغة المعاصر،دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 2005، ص 48 .

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 93 .

(4) عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص 111 .

ليتجنب وقوعه في الخطأ، ونظرة المعيارية إلى اللّغة نظرة احترام للقواعد والمعايير، وينطلق منها ليقرّر صحة الكلام أو خطأه، فهو ينطلق إلى الجزئيات، والوصفي ينطلق من الجزئيات إلى الكليات العامة التي هي قواعد وأحكام ومعايير تلتزم بعد إقرارها وصفا "[1] .

ومما تقدم نرى أنّ تبني المنهج التحويلي في التحليل البلاغي للتراكيب الإبداعية ينفي عنها صفة الشغف بالتقسيمات و التفريعات التي اتُهم بها البلاغيون القدامى من جهة، ومن جهة أخرى يجعل البلاغة علما لا يهتم بالتقعيد اللغوي بقدر ما يدرس رسالة المتكلم المثالي/ البلاغي ويحدد أهدافها الجمالية وتمايز البنى التركيبية فيها. ومفهوم التحويل الذي اكتسب شهرة واسعة بعد ظهور مدرسة النحو التحويلي التوليدي على يد تشومسكي يقترب منه مفهومه في الدرس العربي القديم. وإن النظرية النحوية التي أوجدته تعاملت بمفهومه هذا في تفسير كثير من الوحدات الإسنادية والجمل دون التصريح به. [2].

وإذا كان تشومسكي يستعمل « التحويل » ليحدّد به أصناف القواعد التحويلية التي تقوم بالعمل بعد التوصّل إلى المكوّن الخاص بـــ « بنية العبارة»، وهو المكون الذي ينتج بنية الأساس فإنّ مفهومه عند عبد المطلب عبارة عن الإجراء الذي ينطلق من أصل افتراضي يمكن تطبيقه على كل تركيب منطوق بهدف إبداعي[3].

القواعد التحويلية التي تساعد هذا الإجراء في تحقيق بلاغة التركيب، هي التي تنتاب أطراف التركيب من تحوّلات داخلية، أو ما ينتاب التركيب كلّه من هذه التحولات التي أخذت خطوطا متعددة، فهناك الخطّ الأفقي الذي يضمّ مجموعة من الإجراءات كالتقديم

---

[1] ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية، ص 83 .

(2) رابح بومعزة: التحويل في النحو العربي (مفهومه- أنواعه – صوره)البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، عالم الكتب الحديث، إربد، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2008، ص 45.

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 93

والتأخير، وهناك الخط الرأسي الذي يضمّ مجموعة أخرى كالفصل والوصل، وهناك الخطّ الوضعيّ بكل إجراءاته التصورية كالتعريف والتنكير[1].

تكمن رؤية محمد عبد المطلبللعمل الإبداعي فيأطروحة مفادها أنّه لا يمكن أن يكون هناك إبداع إلاّ حيثما يوجد تفكير عميق في الطبيعة التركيبية للغة، و يوجد خلق جديد لهذه التركيبات.وتمثل الحركة الأفقية محورا من محاور الخَلق اللّغوي، يعمل بشكل أساسي على تحطيم الإطار الثابت للأسلوب، ولقوانين اللغة، وقواعد الكلام[2].

الخلق اللّغوي عند المبدع لا تصنعه الحركة الأفقية وحدها،وقد تتعرض لما يوقفها بشكل مؤقت، وتعدّل مسارها إلى شكل رأسي، يتمثل في جذب لمفردات التركيب لتتمحور في عمق رأسي، يساعد على إفراز دلالة فريدة لا تقل في أهميتها عن الدلالة الناتجة من الحركة الأفقية[3].

.يتجلى مفهوم الحركة الموضعية من خلال النظام اللغوي، الذي هو في الأصل يقتضي وجود أطراف يجمعها إسناد ظاهر أو مقدّر، ولكنّ التطبيق اللّغوي قد يسقط أحدها اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية، وقد يحـــــرص هذا التطبيق على إبرازها لتدلّ في موضعـــــها دلالـــــة لا تتحقّق بغيابها[4]. وتشكل هذه الخطوط الإمكانات التي يفضّل فيها المبدع إمكانية على أخرى عن طريق مبدأ الاختيار الذي يناسب الحركة الذهنية والنفسية لهذا المبدع.

---

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 94 .

(2) محمد عبد المطلب: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان، ط1، 1995، ص161 .

(3) المرجع نفسه، ص 171 .

(4) المرجع نفسه، ص 182 .

مصطلح « الاختيار» من المفاهيم الأسلوبية، إذ يذهب علماء الأسلوب إلى القول بأن عملية الخلق الأسلوبي إنما تستوي في الاختيار أولا وفي التركيب ثانيا، فشأن منشئ الكلام أن يختار من الرصيد اللغوي الواسع مظاهر من اللغة محدودة ثم هو يوزعها بصورة مخصوصة، فيكوّن بها خطابا[1].

يدلّ مصطلح «الاختيار» عند سعد مصلوح على إيثار منشئ الكلام وتفضيله لسمات على أخرى بديلة، ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين[2] .

إذا كان محمد عبد المطلب ربط الاختيار بما يناسب الحركة الذهنية والنفسية للمبدع فإنّ ذلك مخصوص بالخطاب الأدبي، الذي هو عمل يتم عن وعي، وأنّ كلّ ما يوجد في الخطاب من ألفاظ وتراكيب يؤدي وظيفة قعدها المنشئ، جانب فيها صفة العفوية والإلهام التي تقول بها بعض التيارات الأدبية والنقدية[3] .

ومن ثمة فإنّ هذه النظرية التحويلية تهدف إلى تحديد قواعد اللغة كلها، وإلى بناء نموذج لآلياتها انطلاقا من الفرضية التي تقر بمقدرة المتكلم المستمع على أن ينتج عددا غير متناه من جمل لغته ويفهمها. [1].

لأجل ذلك فإنّ القواعد التحويلية قد تكون بالحذف، أو الاستبدال، أو الإضافة، أو إعادة الترتيب وغير ذلك. وقد تكون هذه القوانين اختيارية، وقد تكون إجبارية. وفي كل حالة ينبغي أن يجري تطبيق القوانين التحويلية على تركيب من الممكن تحليله إلى عناصر سبق

---

[1] نور الدين السدّ: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة الجزائر، ط1، 2010، ج1، ص 173 .

[2] سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1985، ص23

[3] نور الدين السدّ:المرجع السابق ج1، ص 175 .

ظهورها في التركيب الباطني. أي لا بد من وجود وصف تركيبي قابل للتحليل استنادا إلى عناصر التركيب الباطني. وهذا الشرط ضروري للسيطرة على القوانين التحويلية وحصر استعمالاتها[2].

إدراك المستوى السطحي للتركيب البلاغي عند عبد المطلب يتطلب الإلمام بمجموعة من القيم المعيارية التي تساعد في تحقيق التفسير البلاغي للغة التي يستعملها المبدع، ويتمثل ذلك في الإلمام بالدرس النّحويّ والصّرفيّ والأدبيّ، بل يتجاوز ذلك إلى الإلمام بمباحث الاستدلال[3].

لم تكن فكرة التفسير" بعيدة عن عبد القاهر ووعيه، فقد نحا بقواعد اللغة منحى عقليا، شأنه في ذلك شأن النظرية التوليدية التحويلية مع رائدها تشومسكي، الذي يؤكد أن الشغل الشاغل هو تحديد صياغة القواعد اللغوية، يمثل ذلك النظام الذهني- إذن- هي موضوع الدارسين والعلماء في النظرية "[4] .

يرى محمد عبد المطلب أنّ الوصول إلى تحقيق التفسير البلاغي هو الذي جعل السكاكي يقسم مفتاحَه إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، والقسم الثّاني في علم النحو، والقسم الثالث في علمي المعاني والبيان، ثمّ أتمّ القسم الثالث بعلمي الحدّ والاستدلال [5] .

الغاية من هذه الأقسام التي جاء بها مصنف السكاكي هو الكيفية التي يتمّ بها الوصول إلى الأدبية، التي تعتمد على الاحتراز من الخطأ أوّلا، وتحصيل ذلك يتأتى بدون معرفة جهات التحصيل واستعمالها [1] .

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص19 .

[2] محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1981، ص39 وما بعدها .

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 95.

[4] حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظرية البحث اللغوي الحديث، ص31 .

[5] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 93 .

ومن ثمة فإنّ أهمية هذه العلوم تكمن في تحديد بنية التركيب البلاغي، وتقدّم طاقة ذهنية تساعد في الوقوف على القواعد الإجرائية التي تسمح بتحديد الأصل الذي اشتقت منه البنية التنفيذية، وهذا جوهر المنهج الذي يحاول محمد عبد المطلب أن يؤسس له في تصوره التجديدي.

التركيب البلاغي وعلاقته بالمستوى السطحي والمستوى العميق:

يرى محمد عبد المطلب في مدونة هذا البحث أنّ العلاقة بين المستوى السطحي والمستوى العميق لكل تركيب بلاغي تتجلى في ثلاثة محاور رئيسية وهي:

المحور الأوّل: يتعلق العمل فيه بإمكانية أداء المعنى الواحد بمجموعة من التّعابير التي تتمايز في ناتجها الدّلالي بين الوضوح والخفاء[2].معلوم أنّ هذا المحور كان يُسمى في البلاغة العربية بعلم البيان، الذي اشتهر تعريفه على أنّه علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[3].

وبناء على ذلك يكون الاشتغال البلاغي في علم البيان من منظور محمد عبد المطلب على إدراكمجموعة من التحوّلات التي تصيب البنية البلاغية، التي يعود فيها الوضوح والخفاء عن دلالة المتكلم إلى الوضع اللغويّ، وما يعود إلى العقل وقدرته الاستنتاجية[4].

---

(1) المرجع نفسه ، ص 94

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 96 .

(3) الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009، ص 61 .

(4) محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 96.

مما يفتح المجال في نظره إلى دراسة التركيب الإبداعي ما يتيحه هذا العقل، الذي يقف وراء سلسلة التحوّلات التي تحدث للبنية البلاغية واختلافها بين التشبيه والاستعارة والكناية بحكم أنّ " مجال الدلالة مرتبط بالعقل، لأنّه هو الذي يهيئ لها إمكانيّة الانتقال بين مستويات متباينة، ورصد هذا الانتقال هو مجال الحركة البلاغيّة من خلال مبدإ إجرائي هو اللزوم"[1].

ومعنى هذا الكلام، أنّ محمد عبد المطلب يدعو إلى ضرورة تركيز التحليل البلاغي على التحوّلات التي يقف وراءها العقل وقدرته الاستنتاجية، وعلى أن تكون هذه الحركة البلاغية حركة ذهنية، يتم فيها معرفة طبيعة العلاقة بين المستوى السطحي والمستوى العميق للبنية البلاغية.

يوضح كلام محمد عبد المطلب أنّ تميّز الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية إنّما يكون بقراءة تفسيرية تتوقف على التحولات التي تصيب البنية البلاغية، بوصفها الخلفية المثالية لأيّ صورة بلاغية؛ لأنّ التشبيه مثلا في صورته النهائية هو مجرد حاصل لسلسلة من التحويلات التي يجريها المتكلم أثناء التعبير عن الواقع.

المحور الثاني:

إذا كان العمل في المحور الأول يشتغل على معرفة الناتج الدلالي للتركيب من حيث ما تتيحه الدلالة العقلية، فإنّ الاهتمام في هذا المحور عند محمد عبد المطلب يرتكزّ على تتبّع خواص تراكيب الكلام من حيث الإفادة، وهو العمل الذي يسمح بتلقيّ إجابات يتم فيها الوصول "

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 97 .

إلى نوع من المطابقة بين النّاتج الدلالي ومقتضيات الأحوال والمقامات ، وهو ما استتبع رصد البعدين المكانيّ والزمانيّ للصياغة"[1].

واللافت في ذلك أنّ محمد عبد المطلب نقل تعريف السكاكي لعلم المعاني واعتبره حدّا نهائيا، وهو التعريف الذي يعرّف فيه السكاكي علم المعاني بأنّه " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطإ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2].

والحقّ أنّ مقولة «التتبع» التي ركز عليها محمد عبد المطلب كثيرا في التأصيل للمنهج الاستقرائيّ للدرس البلاغي كانت محل نقاش عند البلاغين المتأخرين؛ إذ رفض الخطيب القزويني بأن يكون التتبع من صفة العلم[3].

والذي ينبغي قوله إنّ محمد عبد المطلب يبحث أن تكون الدراسة البلاغية في علم المعاني ترتكز في الكشف عن الاحتمالات التحولية المصاحبة للتراكيب، والتعريف بالحركات الرأسية والأفقية والموضعية التي يعتمد عليها منشئ الكلام.

الملاحظ أنّ فكرة " التحويل" سيطرت على فكر عبد المطلب، بوصفها الطريقة المثلى في التحليل البلاغي للتراكيب الإبداعية. وبما أنّ علم المعاني يشتغل على تتبع تراكيب البلغاء فإنّ نجاح هذه العملية الاستقرائية مرهون أيضا بالوقوف على جملة التحويلات التي تصيب البنية، وتحولاتها من الوضع إلى الإبداع.

والتحويل في النظرية اللسانية يكون بالأنواع الآتية:

---

[1] المرجع نفسه، ص 97 .

[2] السكاكي: مفتاح العلوم،ص70 .

[3] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،ج1، ص74 .

1- **التحويل بالاستبدال:** ويكون العمل فيه بمتابعة " التوزيع" الذي هو من أصول البنوية، ومنهج في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة "بلومفيلد "، يقوم بتوزيع وحدات لغوية بطريقة استبدال وحدة لغوية بأخرى لها السمات التوزيعية نفسها، وهو المعطى الذي يعتمد عليه التحويليون في تتبع صلاحية قيام الشيء مقام الشيء[1].

2 – **التحويل بالزيادة:** ومعناه الوقوف على كلّ زيادة تدخل على الجملة التوليدية تحول معناها إلى معنى جديد غير الذي كان، إذ الزيادة تعتبر عنصرا من عناصر التحويل[2].

ومناسبة التحويل بالزيادة أنّه يصيب البنية لوجود العوارض التركيبية، فهو يعد وسيلة تؤدي إلى توافق أحكام النحو مع وجود الاستعمالات اللغوية الصحيحة[3] .

3 – **التحويل بالحذف:** ولما كان من خصوصية اللغة العربية الإيجاز فإنّ تحقيقها منوط بأسلوب الحذف، الذي يعد عنصرا تحويليا، يُسجل في الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية لغرض في المعنى. والوقوف على هذا النوع من التحويل من مهام علم المعاني للوقوف على أسبابه في الكلام[4].

4 – **التحويل بالترتيب:**ومعناه أنّ الجملة ينبغي أن تبنى بكيفية معينة في انتظام معين بتقديم أو تأخير، وحذف في ضوء قواعد وقوانين التحويل التي تهدف إلى تحقيق المعنى المراد. وتأتي أهمية الوقوف على التحويلات التي تصاحب البنية البلاغية من خلال الترتيب، لأنّ " النظام اللغوي يحافظ على تراكيب خاصة بالنسبة إلى إجراء الكلام

---

(1) نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والطبع، الأردن، ط1، 1979، ص37 .

(2) رابح بومعزة: التحويل في النحو العربي، ص 66 و67.

(3) خميس حسن سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدامى والمحدثين، دار الشروق، عمان، ص 120 .

(4) المرجع نفسه ، ص 94

وفق الصور الإسنادية للجملة أو الوحدة الإسنادية" [1]. ولا يكون ذلك إلا حسب السياق الكلامي.

فاعلية العمل في المحور الثالث تظهر قيمتها التحسينية الإضافية بعد الانتهاء من عمل المحور الأول والثاني، أي بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة . ومحمد عبد المطلب في هذا المحور يستثنى من الدارسين؛ لأنّه بحث عن الوظيفة الدلالية لعلم البديع، وهو ما سنركز عليه في الفصل الرابع لبيان هذه الأهمية.وخصوصية البحث البلاغي عند عبد المطلب تكمن في تجاوزه للقدرة اللغوية إلى ما يسمى بالطاقة الإبداعية، وهي الخصوصية التي أكسبته نوعا من التعالي.

معنى هذا أن التحليل للتركيب البلاغي يتوقف عمله على إبراز" القدرة التي مكنت من خلخلة الدّلالة الوضعية، والخروج إلى تشكيلات لا يسمح بها المعجم، لأنّها تسمح بتكوين صياغيّ، متنافر الدّلالة، لا يمكن قبوله إلاّ من منطلق إبداعيّ" [2].

وتعتمد الدراسة البلاغية عند محمد عبد المطلب على تحديد درجة الانحراف الذي يصيب البنية البلاغية أثناء تحولها من المستوى العميق إلى المستوى السطحي؛ إذ يعمل على التأصيل لذلك من خلال التراث البلاغي، محاولا الاستفادة من الأبحاث اللسانية، ومن آراء تشومسكي على وجه التحديد.

يرى محمد عبد المطلب أنّالكيفية التي يتم بها نقل التّعابير من منطقة الحقيقة إلى المجاز تكون إمّا في إطار العقل، أوبالاعتماد أحيانا على الوهم، وأحيانا أخرى على التّخييل، وذلك

---

[1] صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 173.

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 98 .

بسبب قدرتهما على تشكيل أطر إبداعية مجاوزة[1]. مؤكدا على ضرورة تجاوزمسألة القبول أو عدمه، باعتبار أنّ كل التراكيب البلاغية من إنجاز القدرة الإبداعية التي يمتلكها المبدع[2].

مسألة القبول التي أظهرتها من جديد النظرية التحويلية عند تشومسكي لم يتقبلها محمد عبد المطلب كليّا، بل يذهب إلى النفيّ بقبول كل الأبنية البلاغية؛لأنّ بعض المجازات غير مألوفة في نظر السامع، ومن ثمة فإنّ ذلك يدعوه إلى التأكيد على أنّ " الإنجاز الإبداعي يجب أن يندرج تحت سيطرة الإنجاز اللغويّ من ناحية، والعرف من ناحية أخرى"[3].

كلام محمد عبد المطلب يشير إلى أنّ القدرة الإبداعية التي تسمح بخلق مجموعة متناهية من الجمل ليست مطلقة، وذلك لأنّها لا تكون في كلّ الأحوال متاحة مع الحركة الذهنية للمبدع.

يفيد ذلك أنّ هناك عاملا آخر هو الذي يتحكم في المستوى العميق للتركيب وهو الحركة الخارجية للمستوى السطحي، على عكس ما نادى أصحاب النحو التحويليّ، وما نادى به عبد القاهر الجرجاني.وهذا استنتاج خطير، يكشف وعي عبد المطلب في تنظيراته لتحوّلات الأبنية البلاغية..

وتقبل المجازات في نظره يتجاوز قواعد المعجم إلى قواعد النحو التجريدية، التي " تسمح بقبول كلّ الجمل المنحرفة دلاليا مهما كانت درجة الانحراف"[4].

---

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى ص 99.

(2) المرجع نفسه، ص 100.

(3) نفسه، ص 94

(4) نفسه، ص 100 .

والبحث عن الكيفيات التي يتم بها الانحراف في البنية البلاغية هو العمل الهام الذي ينبغي أن يقوم به كلّ دارس، يقول عبد المطلب " فقد اهتمّ البلاغيون داخل أبواب محدّدة في مباحث البيان والمعاني والبديع، وذلك بقياسها إلى الأصل، مع تحديد درجة الانحراف التي تصل إلى المبالغة والإيغال"[1].

تركيز عبد المطلب على دراسة الانحراف في التراكيب البلاغية، يجعل السياق عرضة لمجموعة من الانحرافات البعيدة أو القريبة. وهي انحرافات يكون تقبلها بالنّظر في جملة التحوّلات التي تنتاب أطراف الصورة البلاغية. و التحويل الذي يكون إمّا عن طريق الوهم أو التخييل في تحويل البنية البلاغية من المنطقة الدلالية إلى منطقة أخرى يجعل التركيب المنحرف شاذّا وخارج النظرية الدلالية[2].ومن ثمة فإنّ العودة إلى الأصل المثالي للتركيب البلاغي هو منهج محمد عبد المطلب في الدراسة البلاغية، بحكم أنّ هذا الإجراء يسمح بقياس العدول في هذه التراكيب، أي الانحرافات الكيفية والكمية التي تحدث في البينة البلاغية.

لعل ذلك كان الدافع وراء أسامة البحيري في إنجاز دراسة حول« البنية المتحوّلة في البلاغة العربية»؛ إذ يقول : " وقد ركزت جهدي في هذا الكتاب في الكشف عن نماذج من تحولات البنية في فنون البلاغة العربية المختلفة، ورصد مراحل التطور من البنية المثالية العميقة إلى واقع الصياغة الأدبية، مستعينا بأدوات التحليل الأسلوبي والنصي "[3].

و الحقّ إنّالبلاغيين العرب عرفوا هذا الإجراء في قياس درجة العدول، وإلاّ كيف نفهم منهم الحصول على الكمّ الهائل من المصطلحات البلاغية التي صاحبت قدرة المبدعين، ومن ثمّ

---

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 100 .

(2) المرجعنفسه، ص 102.

(3) البحيري أسامة: البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر،ط1، 2010، ص15.

نوافققول محمد عبد المطلب بأنّهم " امتلكوا حسّا توليديّا صحيحا يتحركون فيه من المثال إلى الواقع التّنفيذيّ حركة منتظمة، عن طريق الإجراءات الإبداعيّة التي تعمل على تعليق الصّفات لغير ما هي له"[1].

هذا الفهم الذي نقرأه في تفكير محمد عبد المطلب يجعلنا نعيد النظر في العديد من القضايا النقدية في تراثنا العربي؛ إذ احتكم الآمدي على « العرف» في بناء الأحكام النقدية اتّجاه شعر أبي تمّام في اعتراضه على وصف الحلم بالرّقة، و إنّما يوصف بالعظم والرّجحان، والثقل والرزانة[2] .

هذه الحّجة في الاعتراض التي امتثل لها الآمدي بعيدة عن (الإبداعيّة)، أيّ أنّ تركيب الدوال مع بعضها لا يقتضي الرّجوع إلى العُرف أو الطبيعة اللّذين يربطان بين مرجع ماديّ وآخر، وإنّما يرجع إلى الجدّة التي يمتلكها المبدع اعتمادا على قدرته التّوليديّة[3] .

يرى عبد المطلب أنّ البلاغة لا ينبغي أن تنظر إلى تركيب الدّوال مع بعضها بإرجاع هذا الدال إلى العرف المستعمل فيه، وإنّما ينبغي أن ننظر إلى مثل هذه الإسنادات على أنّها " الجدّة التي يمتلكها المبدع اعتمادا على قدرته التوليدية"[4].

تتيح الفنون البلاغية قدرة التوليد عند المبدع، وهي إشارات واضحة الدلالة في التراث البلاغي، حيث أكد عبد القاهر الجرجاني على ذلك من خلال حديثة عن الاستعارة في قوله: "

---

[1] محمد عبد المطلب:البلاغة العربية، قراءة أخرى،ص 101 .

[2] الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة العلمية، بيروت، ص 142 .

[3] محمد عبد المطلب:المرجع السابق،ص 101 .

[4] المرجع نفسه، ص 101

إنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصّدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثّمر" [1].

بناء على ذلك يذهب محمد عبد المطلب إلى إظهار رؤيته التجديدية البلاغية بالقول بأنّ التوجه الصحيح في الدراسة البلاغية يهتمبالنظام التحويلي للتركيب الإبداعي، وهو الإجراء الذي يسمح بتقديم عدّة تفسيرات للتركيب الواحد، ويكون ذلك انطلاقا من البنية المثاليّة التي تخضع لما يسميه هذا المجدّد في البلاغة مجموعة تنويعات تنفيذية. وعن طريق هذا الإجراء نستطيع بحسب عبد المطلب الوصول إلى الكيفية التي تمّ بها إنشاء التركيب البلاغي، بوصفه واحدا من مستويات الإنتاج اللغويّ[2].

فهم الجملة البلاغية بردّها إلى التشكيل المثالي يسمح عند محمد عبد المطلب برصد المفارقة بين الجملة النواة والجملة المحوّلة[3]. غير أنّ ذلك تعتريه صعوبات، بحكم طبيعة اللغة في البنية الذهنية الصورية من جهة وطبيعة الوصول إلى المدلول المباشر للجملة البلاغية في تركيبها السطحي " نتيجة لتنافر المفردات فيما بينها، وتنافرها مع مرجعها الخارجي، والوصول إلى المدلول يقتضي – إذن- إزاحة التنافر بإيجاد علاقة أو علاقات يمكن اعتمادها لإعادة التوازن بين الدال والمدلول من ناحية، وبين الدّوال و ناتجها النصيّ من ناحية أخرى" [4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 43 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 102 .

[3] المرجع نفسه، ص 102

[4] نفسه، ص 94

من هذا المنطلق يرى عبد المطلب أنّ البلاغيين بذلوا جهدا كبيرا لربط المستوى السطحي بالناتج الدلالي، ورعت منظومتهم الكيفية التي يتم بها انتهاك الدلالة المعجمية، وتأسيس منهج يسمح بمعالجة عمليّات العدول، والتنبؤ بالتوليدات الممكنة للبنية المثالية [1] .

الوقوف عند المستوى الإبداعي هو ما يريده عبد المطلب في محاولته، على أن تتوقف المعالجة فيه على إبراز جملة التحوّلات الداخلية والخارجية التي تكتنف التراكيب البلاغية. ولهذا تراه في دراسته يبحث عن وعي البلاغيين القدامى بهذا المستوى، وهو المعنى في الدرس البلاغي، بعدما أوضح فيما سبق أنّ اللغة هي مناط الدراسة البلاغية.

اتصال البلاغة باللغة في مستواها الإبداعي واضح في نصوص البلاغيين، ويستشهد عبد المطلب بنصّ السكاكي، الذي يقول فيه إنّ المعنى " بتراكيب الكلام، التراكيب الصادرة عن من له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عمن سواهم لتزولها في صناعة البلاغة متزلة أصوات الحيوانات، تصدر عن محالها بحسب ما يتّفق، وأعنى بخاصية التراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم، لكونه صادرا عن البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما لما هو هو" [2]. والمستوى الإبداعي في البلاغة من منظور عبد المطلب يتحرك بين التجريد والتجسيد، وتحرّكه مرتبط بالسياق الداخلي والخارجي. وهذا المستوى يأخذ شكلين ، إمّا أن يكون فيه التعامل بالدّلالات الوضعية وتعليق دوالها كيفما اتفق دون قصد، وهو ما يسميه أصل المعنى، ودرجة الايصالية فيه شبيهة بأصوات الحيوانات في عقد التفاهم. أو أن يتم في هذا المستوى الإبداعي الخروج عن المواضعة، وهو المعنى بالمستوى البلاغي، وهو ما يسميه بالأدبية [3].

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 103 .

[2] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 70 .

[3] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 104 وما بعدها .

الأدبية التي يتحدث عنها عبد المطلب شكّل مفهومها انتشارا واسعا في رصيد الحركة النقديّة العربية الحديثة، والأدبية لفظ وليد النقد الحديث يطلق على ما يحوّل الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية[1].

يرى النقد الحديث أنّ الأدبية هي مجموع الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي؛لأنّ الذي يميزه كثافة الإيحاء وتقلص التصريح، وهذه الظاهرة تناقض ما يطّرد في الكلام العادي عند استعمال اللغة استعمالا نفعيا، ولّما كان من المتعذر أن تستقل الطاقة الإيحائية بالخطابة، إذ قد يكون تصريح بلا تضمين، ولكن لا يكون إيحاء بلا تصريح، فإنّ السمة الإنشائية أو الشعرية في الخطاب الأدبي تتحدّد بنسيج الروابط بين الطاقتين التعبير بين طاقة الإخبار وطاقة الإيحاء[2] .

لذلك يذهب عبد المطلب محمد إلى القول بأنّ البحث عن الأدبية يحتاج للمستوى الأول، أي أصل المعنى، والسبب في ذلك " أنّ إدراك جماليتها يستلزم حضور الأصل مقيسا عليه لضبط درجة العدول كمّا وكيفا" [3] .وهي القضية التي عالجهاميشال أريفي مسألة النص الأدبي وعلاقته باللسانيات، وهو يسعى إلى تحديد خصوصيات النص لإظهار أدبيته، ومنها الإنتاجية التي ركّز عليها، ورأى فيها أنّ النحو التوليدي يميز بين ظاهرتين إبداعيتين، الظاهرة الإبداعية الأولى تحكمها القواعد، والظاهرة الإبداعية الثانية تغير القواعد. إنّ الأولى تتصل بالقدرة، أما الثانية فبالإنجاز، وفي الإنجاز يتم تغيير القواعد عبر الانزياحات الفردية على القواعد، ومعنى هذا أنّ النص الأدبي يشتغل على صعيد بعض وحداته كيفما كان مستواها كتعاقب، أي في صيرورة تطورية، وتأتي الظاهرة الإبداعية

---

[1] نور الدين السدّ: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص 95 .

[2] عبد السلام المسدي: مدخل إلى النقد الحديث الحياة الثقافية ، فيفري 1979، تونس، وضمن " اللسانيات واللغة العربية " مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والإجتماعية 1981،تونس، ص211 .

[3] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 105 .

الثـــــانية لتأخـــــذ شكـــــل " الإنتاجية" محققة بذلك شرطا تزامنيا في إطار ذلك التعاقب[1] .

والهدف من دراسة درجة العدول راجع إلى أنّ الانزياح في حقيقة أمره هو " اختراق ميثالية اللغة والتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي بحيث يفضي هذا الاختراق إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف والمثاليّ، أو إلى العدول في مستوى اللغة الصوتي والدّلالي عمّا عليه هذا النسق"[2].

واللغة تعرف تحوّلا عما وضعت له عند المبدع، و يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي أن يتصف به من تفردّ وإبداع وقوّة وجذب وأسر[3].

وهذه الفكرة هي التي حاول أن يستثمر فيها عبد المطلب للتأسيس للبناء التحوّلي في التراكيب البلاغية، التي يعبر بها المبدع عن غرضه، ومطابقا فيها الحالات التي يكون فيها سامعه.

لملاحظة الكيفية التي يتم فيها التحوّل من المستوى الأول إلى الأدبية اعتمد عبد المطلب على بعض الآيات القرآنية في شرح ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿مَرْيَمَ يَكْفُلُ أَيُّهُمْ أَقْلَامَهُمْ يُلْقُونَ إِذْ﴾[4]، ورأى أنّ تذوق جمالية هذه الآية يستلم حضور أصل الأداء وهو (ينظرون ليعلموا أيّهم يكفل مريم) ولاحظ أنّ التحوّل من الأصل يعتمد على

---

(1) إليرود إبس.د. وفوكيما: مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، ترجمة محمد العمري، دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد2، فاس 88/87 المغرب، ص24

(2) رشيد الددة، عبّاس: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2009، ص15.

(3) حمد ويس، أحمد: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مجد، بيروت، ط1، 2005 ، ص29

(4) آل عمران: 44 .

إسقاط بعض الدّوالّ التي تحلّق في فضاء النّصّ القرآنيّ والتي لا يمكن الوقوع عليها إلا بإعمال النحو. إذ أنّ أيّهم تشير إلى الغائب من الصياغة وتذكر به [1] .

النحو التوليدي يرمي إلى تحليل إبداعية اللغة التي تتيح لفرد معين فهم وإنتاج جمل ما سمع بها أبدا. ومن ثمّ كان على النحو التوليدي وضع الفرق بين الكفاءة (معرفة لغوية ضمنية) والأداء (النشاط اللساني الواقعي للمتكلم) وترمي النظرية التوليدية بإبراز الكليات اللسانية (النحو العام) للميزات الخاصة للغة معيّنة، وشكل واشتغال قواعد النحو.

لما كانت التوليدية تبني منهجها على التجديد والتحديث في الكلام في إطار الأنساق النحوية المحدودة، وبالرغم من محدودية الأنساق النحوية والقواعد اللغوية وألفاظ اللغة فإنّ منهج محمد عبد المطلب يحاول أن يقف في ممارسته على الأنساق والقواعد والألفاظ التي تساعد على ابتكار ما لا حدود له من العبارات والجمل[2].

معنى ذلك أنّ التحرك البلاغي ينبغي أن ينصرف إلى العملية الإبداعية، ويتابع تراكيبها في مستوياتها المختلفة. إذ يذهب محمد عبد المطلب إلى القولبضرورة معاودة القراءة للكشف عن المعنى الذي يتضمنه التركيب لتقديمه إلى المتلقي، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال " استيعاب العلاقات الأصلية والطارئة، وإدراك ما يكتنف الصياغة من تحوّلات واضحة أو خفية، سواء أكانت تحوّلات توافقية، أم تفاعلية أم تبادلية، وساء أ كانت تحولات حضورية أم غيابية"[1] .

الوقوف عند تحوّلات الصيّاغة ناتج من خلال تدخّل المبدع بالاختيار والتوزيع الذي ينقلها من الموضوعية إلى الذاتية وتتيح إمكاناته الخاصة بإنتاج أبنية لا تقدّمها له اللغة، ومن ثمة

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى ،ص 105 .

[2] محمد سوبرتي: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم تقريب توليدي وأسلوبي تداولي، افريقيا الشرق، 2007، ص 32 .

يحقق أدبية خاصة بهذا المبدع .والعملية الإبداعية تبدأ مندرجة من الإفراد إلى التركيب وهذا التدرج يسمح بحدوث عدّة تحوّلات، وأصحاب المواهب الخاصة لهم جهود مميزة في توليد بني خاصة بهم.

وعليه، فاللغة في نظر محمد عبد المطلب ليست مجموعة من القوانين بل هي في نظره " مجموعة من الاختيارات الحرّة، يتحرك من خلالها وبها المبدع، بحيث يكون اختياره موافقا لتجربته، ومساعدا في الكشف عنها بالنظر في بعديها: البعد الأول يتمثل في توجّه الذهن إلى الواقع، والآخر يتمثل في ردّ الواقع إلى الذهن، وفهم الخطاب يتوقف على الإدراك الجيّد لهذه الحركة التحوّلية المزدوجة" [2]

ومن ثمّ فإنّ إدراك الحركة التحولية للتركيب ينبغي تدخل الدراسة النحوية والبلاغية معا، بحكم أنّ المباحث النحوية " تمدّ المحلّل بمجموعة من الإمكانات الموضوعية التي تساعد في ضغوط الدّلالة التركيبية، وتعمل على أن يتخطى الناقد ذاتيته، وإقامة أساس كشفيّ يساعد في فهم البنية من خلال مدخلها الأصيل، أي اللغة .. فنرصد الخواص التركيبية التي تتصل بالتعبير، وتكشف عنها، وتقيم علاقة وثيقة بين حركة الذهن وشبكة العلاقات الكائنة في صور الكلام"[3].

لكنّ تدخل النحو في الدراسة البلاغية يلقى رفضا من بعض الباحثين، واعتبروا أنّ هذه السلطة لها أثرها السلبي، ويقسّم عيد بلبع هذا الأثر إلى قسمين، قصد في الأول الأثر الكليّ، الذي يحكم التصورات النظرية الكليّة، ويتعلق بمنطلقات الرؤية البلاغية في تصنيف الظواهر

---

[1] محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 109 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 111 .

[3] المرجع نفسه، ص 112 .

وتقعيد القواعد، أمّا الأثر السلبيّ فهو الذي ينحصر في بعض الجزئيات في الظواهر البلاغية، ويتعلق بسيطرة آليات علم النحو[1].

تكمن علاقة المباحث البلاغية في إدراك التحوّلات داخل التركيب من خلال توفير " مجموعة من التقاليد والمواصفات الجمالية التي تتعلق بالمفردات والمركبات، وتحوّلها من منطقة المواضعة إلى منطقة الإبداع" [2].

بناء على ذلك حاول عبد المطلب أن يؤسس منهجا يقوم على الاهتمام بالمستوى العميق للبنية البلاغية، بعدما وجد أنّ البلاغيين اشتغلوا على المستوى السطحي، وأنّهم أهملوا دراسة المستوى الذهني في التركيب البلاغي، بحيث انصرف جهدهم إلى المستوى السطحي في تفسيره وتأويله. وبما أنّ النظرية التوليدية التحويلية تقف في دراستها للغة عند الجانب الذهني، دفع تلقيّ أصول النظرية عبد المطلب إلى معاودة قراءة التراث البلاغي، للنظر والتدقيق في هذه الجزئية.

ودعا عبد المطلب إلى ضرورة الاعتناء بهذا المستوى الذي يمثل البنية العميقة لكل تركيب، حيث إنّ كلّ تغيير في البنية العميقة لا بدّ أن يتحول في بنية السطح[3] .

التحوّلات التي تخضع لها البنية البلاغية في نظر عبد المطلب محمد ليست مجرد عملية ضمّ، بل التحوّل فيها يتجاوز ذلك إلى ما يسمى بعملية التعليق، التي يكسب التحوّل خواصه الإبداعية[4]. إذ يذهب محمد أحمد نحلة إلى القول بأنّ التعليق يمثل الجانب الدلالي من الكلمات

---

[1] عيد بلبع: القطيعة المعرفية وسلطة الجذور، ص 110 .

[2] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 113 .

[3] المرجع نفسه ، ص 117 .

[4] نفسه، ص 124 .

في السياق[1].وفكرة التعليق في حقيقة أمرها ظهرت مع عبد القاهر الجرجاني، الذي كان حريصا على دراسة دور المتكلم في بناء الجملة، لا دور المتلقي في فهمها، فهو يتناول النظم من حيث هو صادر عن المتكلم، ولهذا فقد جعل نقطة الانطلاق في دراسة بناء الجملة، المعنى لا المبنى، يقول فيما بيانه: " وشبيه بهذا التوهم فهم أنّك قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلا بترتيب الألفاظ في سمعه، ظن عند ذلك أنّ المعاني تبع للألفاظ، وأن الترتيب فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتيبها في نطق المتكلم، وهذا ظن فاسد ممن يظنه، فإنّ الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع " [2].

ويرى تمام حسان أنّ التعليق يُحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية [3] .

ومن ثمّ فإنّ التعليق نظرية شاملة تمثل المنهج الذي يراه عبد القاهر صالحا لأن ينتهجه الدرس النحوي، حتى يصل إلى ما يسعى إليه من أهداف، ولا شك أنّ نظرية التعليق قد لقيت عند السلف قدرا من العناية والتقدير، إلا أنّ الاتجاه الذي سار فيه فهمهم لها، حال دون انتفاعهم بها الانتفاع الصحيح، وجعلوها منطلقا لعلم من علوم البلاغة، وهو علم المعاني وحالوا بينها وبين علم النحو[4]

---

[1] محمود أحمد نحلة: المدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص 75.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص 74 .

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت، ط5، 2006، ص 189 .

[4] مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة،ط1، 1997، ص59.

المعنى الذي تبحث عنه الدراسة البلاغية في التراكيب لا ينحصر في النماذج أو الصور التي ترصّ فيها الكلمات رصّا إثر بعضها في النطق نحو قول بعضهم: " مفتاح باب حجرة نائب مدير مصنع نسيج عزل حرير دودة القز ضائع"[1] . وإنّما المعنى المقصود يكون في الكلام، الذي يكون صحيحا في النحو وفصيحا في المعنى مطابقا لمقتضى الحال أو متسقا مع مناسبة القول[2] .

ومن ثمة فإنّ التحليل البلاغي يهتم بالكيفية التي تتعلق المعاني في الكلمات بعضها ببعض وتكون بعضها بسبب من بعض وبأن يكون التعليق بين معاني هذه الكلمات وليس بين الكلمات في ذواتها.

كما أشار عبد القاهر الجرجاني إلى التعليق في حديثه عن الفصاحة: " الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات وإنّما تكون فيما إذا ضم بعضها إلى بعض(...) وأنّ التعليق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين أنفسها"[3] .ومن هنا تكمن أهمية التعليق الذي يؤدي غيابه إلى افتقاد الناتج الدلالي، وتتحوّل الدوال إلى أشتات معجمية، ليس فيها أيّ قيمة إنتاجية.

والتعليق هو جزء من النظم عند عبد القاهر، إذ يقول: " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض والكلام ثلاث: اسم وفعل وحرف"[4].

من ذلك كوّن محمد عبد المطلب رأيه القائل بأنّ الفارق في بناء الأسلوب فارق في عملية التحوّل المصاحبة لعملية التعليق وارتباطها بتقاليد معيّنة[1] .

---

[1] محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندارية، 1998 ص 12 .

[2] مهدي المخزومي: في النحو العربي- نقد وتوجيه- دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص 226.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 74 .

[4] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 76 .

لعل من الملاحظات الهامة التي يمكن من خلالها النظر في التصور الذي يقدّمه عبد المطلب لتجديد البلاغة العربية، وهو أنّه حاول البحث عن قصور الدرس البلاغي في الاهتمام بالقواعد التحويلية التي تكون خلف تحوّل التراكيب البلاغية إلى أصل وضعها، وهو منهاج في حقيقة أمره كان انطلاق فكرة البلاغيين المحدثين الذين حملوا لواء تجديد هذا العلم..

خلاصة الفصل:

اللافت فيما تقدّم أنّ محمدا عبد المطلب أسّس منهجه البلاغيّ بناء على ما تقدّمه البنية العميقة للتراكيب الإبداعية، غير أنّ الاهتمام الذي يوليه الرجل لهذه البنية في حقيقة أمره جاء بعد الأثر الذي ألقته نظرية تشومسكي على الباحثين العرب. والسؤال الذي يطرح نفسه هل مقولات تشومسكي بخصوص أهمية البنية العميقة في التحديد الدلالي بقيت ثابتة؟ أم أنّها تعرضت إلى التغيّير والتجديد.؟ وسؤالنا ليس أنّ نثبت بأنّ آراء تشومسكي هي قدوة محمد عبد المطلب في عمله، بقدر إرادتنا أنّ متابعة الوافد الجديد ضرورية لبناء نظرية لسانية عربية.

الحقيقة العلمية أنّ المتابع لهذه النظرية اللسانية يجد أنّها تعرضت إلى تعديلات كثيرة، وتشومسكي أحدث تغييرا هاما على هيكل النظرية المعيار بافتراض جديد مؤداه أنّ البنية السطحية هي الأخرى تؤدي دورا في التأويل الدلالي[2]. وإذا كان محمد عبد المطلب رأى أنّ التحليل البلاغي يكمن في لغة المبدع، بوصف هذه اللغة قدرة ضمنية مستودعة في دماغ المتكلم، وذلك من خلال الاهتمام بالبنية العميقة، والحكم عليها بأنّها الفارق في بناء الأسلوب، فإنّ تعديل تشومسكي لهذه المقولة اللسانية يبّين لنا أنّ البلاغة تكمن أيضا في الكلام، أي في الأداء الفعلي لهذه اللغة. ولعل إغفال محمد عبد المطلب للتطوّر الذي عرفته النظرية التوليدية

---

[1] المرجع نفسه، ص 127 .

[2] مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، ص 158 وما بعدها .

التحويلية سبب هذه الملاحظات، حتى إنّ كتابه " **البلاغة العربية، قراءة أخرى**" الذي يمثل بحقّ منهج الرجل وتصوره في تجديد البلاغة العربية لم يحدث فيه تعديلات جديدة وصل إليها البحث اللساني عبر طبعات أخرى له، رغم الصدى الطيّب الذي وجدته عند الباحثين المتخصصين في البلاغة .ومن الأسئلة التي وجهت إلى نظرية تشومسكي في النموذج المعيار وقبله في " البنيات التركيبية" إلى أي حدّ يمكن القول بأنّ إجراء التحويلات يحافظ على معنى الجمل أم لا؟ .فقد بيّنت دراسة التوليديين لهذا السؤال أنّ الاختلاف بين المعلوم والمجهول اختلاف واضح في المعنى والتركيب، وأنّ لكلّ منهما بنيته العميقة الخاصة به، وبالتالي لم يعد ثمة مبرر للربط بينهما تحويليا [1].

هذا القصور الملاحظ من جانب محمد عبد المطلب في متابعة تعديلات نظرية تشومسكي يعبر عنه حافظ إسماعيلي العلوي بمصطلح " المماثلة الجزئية"، التي يقول في سياقها: " رغم سعي لسانيات التراث الحثيث إلى إقامة مماثلة شاملة بين اللغويات واللسانيات، فإنّ هذه المماثلة تبقى جزئية لصعوبة الإلمام بكلّ مجالات البحث اللغوي من جهة، وبمجالات البحث اللساني من جهة ثانية " [2].

في مناقشة الطرح العام لتصوّر محمد عبد المطلب في تجديد البلاغة باعتماده على المنهج التحويلي في قراءة المادة البلاغية، وإدراجه لنظرية النظم ضمن النماذج اللسانية الحديثة وبالتدقيق " داخل إطار توليدي"، يذهب حمّادي صمّود إلى القول : " ويقيننا أنّ في ما خلّف الجرجانيّ خطرات لسانيّة لا يحترز من تبنّيها اللسانيون المعاصرون إلاّ نحذر من تأويلها بالاعتماد

---

[1] مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، ص 151 .

[2] حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 145.

على نموذج معيّن ولاسيما إذا كان ذلك النموذج لم يتخطّ عند أصحابه مرحلة البحث والتجريب شأن علم الدلالة التوليدي "[1].

إذا كان العدول مقياس لدرجة الانحرافات التي تكون عن الأصل البلاغي عند عبد المطلب فإنّ هذا الاعتبار تشوبه جملة من النقائص التي واجهتها أسلوبية الانحراف من لدن اللسانيين أنفسهم، الذين طرحوا سؤالامفاده : ما هو المعيار الذي ينحرف عنه الأسلوب؟ أهو النظام اللغوي أم المتوسط الإحصائي للوسائل اللغوية في النّص أم القدرة اللغوية في النحو التوليدي.

وردّا لهذا الإشكال يذهب عبد الجليل هنوش إلى القول بأنّ تحديد المعيار في الانحرافات يكون بطريقة سلبية بأن يقال عنه إنّه كل ما يخرج عن المعيار. مثيرا سؤالا ذا أهمية بخصوص طريقة التعامل مع الأساليب التي لا تنحرف عن المعيار، وذلك بوجود نصوص لا أسلوب لها، والتركيز على الانحراف في نظره أيضا يهمل عنصري المؤلف والقارئ إهمالا كاملا[2].

الذي نريد قوله إنّ المنهج التحويلي الذي تبناه محمد عبد المطلب في قراءة المادة البلاغية ألقى بظلاله على بعض الباحثين الذين اختاروا هذا النهج في التعامل مع التراكيب البلاغية، أو دراسة الخطاب البلاغي من هذه الوجهة.

نجد ذلك عند فايز القرعان الذي قدّم كتابه الموسوم بـــ« تقنيات الخطاب البلاغي (دراسة نصيّة)»، وهو كتاب يجمع ثلاثة بحوث، حاول المؤلف في البحث الأول دراسة " تقنيات الخطاب البلاغي والرؤيا الشعرية (قراءة لنص شعري لعلقمة الفحل)"، ووجد أنّ الأشكال

---

[1] حمّادي صمّود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس، ص 455 .

[2] هنوش عبد الجليل: التأسيس اللغوي للبلاغة العربية (قراءة في جذور)، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص 32 .

البلاغية تحتوي على دلالات تحقق وظيفة دلالية عميقة في تكوين الرؤيا الشعرية، وأنّ هذه الوظيفة تتحقق على المستويين: السطحي والعميق . ووقف في الدراسة الثانية عند تحوّلات المعنى، وعالج ذلك في نصّ زهير بن أبي سُلمى، الذي وجد فيه جانبا أسلوبيا خاصا هو أسلوبية التحوّل. في حين أنّ الدراسة الثالثة درس فيها الباحث التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر[1].

الدراسة الثالثة تذكرنا بالطرح الذي اتخذه محمد عبد المطلب في سبيل دراسة الفنون البديعية، عندما أشار إلى أنّ البعد التكراري هو المدخل الصحيح في دراسة علم البديع.

و البحث عن التحوّلات استهوى المؤلف مرة أخرى، وخصصه بالاستعارة، تناول فيه التحولات الإدراكية لموضوعة الليل في مستويين من الإدراك: المستوى الحسي، والمستوى الذهني، بغية معرفة سبب تكرار المستوى الأول أكثر من الثاني في شعر السياب[2].

كما أخذ أسامة البحيري بمقولات المنهج التحويلي في قراءة المدونة البلاغية، وأنجز دراسة وسمها بـــ «البنية المتحولة في البلاغة العربية»، ركز فيها على نماذج من تحولات البنية في فنون البلاغة العربية المختلفة، ورصد مراحل التحول من البنية المثالية العميقة إلى واقع الصياغة الأدبية، مستعينا بأدوات التحليل الأسلوبي والنصيّ[1].

---

[1] فايز القرعان: تقنيات الخطاب البلاغي (دراسة نصية)، عالم الكتب الحديث،إربد (الأردن)،ط1، 2004، الصفحة ط و ي.

[2] فايز القرعان: الموضوعة الاستعارية في شعر السياب (الليل نموذجا)، عالم الكتب الحديث، الإربد، 1999، ص7 .

الفصل الرابع:

ملامح تجديد البلاغة في تصوّر محمد عبد المطلب

المبحث الأول: الخطاب العلمي وطبيعته

المبحث الثاني: ملامح التجديد في التحليل البلاغي

[1] أسامة البحيري: البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ (مصر)، ط1، 2009، ص 15 .

المبحث الأول:

الخطاب العلمي وطبيعته في كتاب

« البلاغة العربية، قراءة أخرى» لمحمد عبد المطلب

حاول البلاغيون العرب المحدثون إعادة طرح التفكير اللغوي التراثي على صعيد الدرس اللساني الحديث. وقد ذهب بعضهم إلى إعادة قراءة النّص التراثي وفق ما تقتضيه الآليات اللسانية الحديثة، مقيمين بذلك تواصلا ابستمولوجيا بين الرؤى العربية التراثية وما أظهره الدرس اللساني.

الإجراء في هذا العمل يقوم على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية[1].

ينضم محمد عبد المطلب في قراءته للمدونة البلاغية إلى ما يعرف بـــ « لسانيات التراث»أو « الكتابة اللسانية القرائية» وهذه التسمية أطلقها مصطفى غلفان على الدراسات التي تقرأ التصورات اللغوية القديمة وتأولها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث[2]. ومن ثمّ فإنّ هذا الاتجاه يتعامل مع التراث باعتباره مُحاورا أو جزءا من الجهد الإنساني في معالجة معضلات الخطاب، ولذلك يترع أصحابه نحو لغة مقولية تتعامل مع « القضايا» أو يقدمون التراث تقديما نقديا حتى وان انطوى على إعجاب ومحاباة أحيانا[3].

ويتمحور الخطاب البلاغي عند محمد عبد المطلب حول الرصيد البلاغي العربي القديم باختلاف مشاربه وتوجهاته، منتهجا في دراسته ما يصطلح عليه بالقراءة أو إعادة القراءة.

---

[1] – حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)،دار الكتاب الجديد،ط1، 2009، ص131 .

[2] – مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدّار البيضاء، سلسلة أطروحات جامعية، ص 92. نقلا عن حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 133

[3] – العمري، محمد: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 175 .

تكمن مسوّغات القراءة عند لسانيات التراث في الأخذ بمجموعات من المعطيات التي شجعت في ظهور هذا الاتّجاه، ونجملها فيما يلي: [1]

- السّبق التاريخيّ والحضاريّ للعرب في مجال الدراسات اللغوية.
- العامل الديني: كان له بالغ الأثر في توجيه اللغويين العرب، فقد اهتدوا إلى أدق تفاصيل اللسانيات، وهم يرسون قواعد اللغة العربية، ويضعون قوانينها من خلال العمل اللغوي الجاد.
- الأصول التراثية للسانيات: معنى ذلك أنّ تأسيس اللسانيات كان المنطلق فيه التراث الغربيّ، على نحو ارتداد تشومسكي إلى اللسانيات الديكارتية.

حاول محمد عبد المطلب من خلال الخطاب الذي قدّمه في كتابه« **البلاغة العربية، قراءة أخرى**» البرهنة على أصالة الفكر البلاغي عند العرب، وبناء المنوال البلاغي على مبدأ « التحويل» الذي اشتهرت به النظرية التوليدية والتحويلية.

تحليل الخطاب البلاغي عند محمد عبد المطلب*

1 – من حيث الموضوع :يُبنى الخطاب البلاغي التراثي عند محمد عبد المطلب على شكلينمن التفكير: اللغوي البلاغي، والتفكير اللساني الحديث، وسعيا إلى ذلك، ومحاولة للبحث عن التوفيق بينهما،يعتمد عبد المطلب في كتابه على بعض القراءات المتنوعة، و أهمها « القراءة القطاعية»والتي يراها مصطفى غلفان بأنّها " تتمحور حول قطاع معيّن من التراث اللغوي العربي كأنّ يتناول المستوى النّحوي أو الصّرفي أو الدّلالي باعتبارها مستويات تحليل تشكل في

[1] – حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 132 وما بعدها.

* اعتمدنا في تحليل الخطاب العلمي عند محمد عبد المطلب على المنهجية التي أرسى معالمها مصطفى غلفان في كتابه اللسانيات العربية.

حد ذاتها نظرية محددة المعالم تقوم على مبادئ منهجية خاصّة بها"[1].وعليه فقد أراد محمد عبد المطلب في كتابه تقديم تصوّر جديد لقراءة المدونة البلاغية، عنى بالكشف عن البنية البلاغية وتحوّلاتها، فهو يتناول في هذه القراءة مستوى واحدا، وهو المستوى البلاغي، ومن ثمّة يمكن تصنيف عمله ضمن القراءة القطاعية.كما يمكن إدراج كتابه ضمن القراءة الشمولية، التي تمحورت حول التراث اللغوي العربيّ؛ إذ حاول في هذا الكتاب البحث عن تلك العلاقة التي تجمع بين الصرف والنحو والبلاغة والمنطق وأصول الفقه، فكانت نظرته شمولية، التي مهدت له بإبراز موقفه من البلاغة العربية.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه القراءة القطاعية التي تعمل على تقديم تفسير لتحوّل الأبنية البلاغية جاءت من خلال قراءة أخرى يسميها مصطفى غلفان بـــ " قراءة النموذج الواحد"[2]، حيث سبق قبل تقديم العمل إلى دراسة موضوع النحو في فكر عبد القاهر وتشومسكي.

2- من حيث المنهج:

تعدّ دراسة التراث البلاغي وربطه بالتفكير اللساني الحديث عملية صعبة، خاصة مع ضخامة هذا التراث، وتشعب آرائه، واختلاف توجهات البلاغيين، وبنائه على أسس فكريةمختلفة.

دراسة التراث البلاغي بهذا الحجم تتطلب في حقيقة أمرها تضافر الجهود، وهو المعطى الذي أشار إليه الباحثون، وهم يصدمون بما يسببه التراث، وما يتطلبه من جهد كبير. ودعا

[1] - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 136

[2] - تهدف قراءة النموذج الواحد إلى دراسة شخصية لغوية عربية قديمة يدرس فكرها اللغوي، وطريقة تصورها، وكيفية تناولها لقضايا اللغة العربية في مجال من مجالات البحث اللغوي، وهو ما يتجسد في قراءة محمد عبد المطلب، الذي عاد إلى شخصية عبد القاهر، وحاول أن يثبت حداثة النحو في فكره مقارنة ماء جاء عند تشومسكي. للتفصيل يراجع كتاب مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة.

ميشال زكريا بتضافر جهود اللسانيين العرب لتغطية عدد كبير من المساحة التي خلقها هذا التراث، من أجل دراسة أهمّ القضايا المتطوّرة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثمّة ربطها بالتراث اللغوي العالمي[1].

الحقيقة أنّ هذا الإجراء غائب في الفكر العربي المعاصر، وحتى الإجماع على بعض جزئيات البحث تبقى مختلفة، رغم أنّه يعد منطلقا في الدراسة اللغوية، إذ إنّ الخلاف يبقى قائما في موضوع الرتبة في الجملة العربية، وقوامها على أساس الفعل أم الفاعل فما بال القضايا البلاغية التي تعرف جدلا واسعا، بل إنّ الاتفاق لم يتخذ حول مفهوم البلاغة.

يختلف منهج قراءة التراث البلاغي عند الدارسين، وفق منطلقات كلّ باحث، و يرى مصطفى غلفان " أنّ الكتابات المندرجة في إطار لسانيات التراث لا تقدّم أيّ تصوّر للمنهج المتّبع في القراءة، بل إنّ لكل باحث طريقته وأدواته التي يسير عليها في قراءاته للتراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات الحديثة"[2].

تتمّ العملية القرائية عند محمد عبد المطلب على تقديم قراءة جديدة بمعطيات لسانية للنظرية البلاغية القديمة، حيث يتجه في كتابه إلى المحافظة على أصالة المصطلح البلاغي، الذي نشأ في المجتمع العربي، فيقدّم تحليلا لسانيا لمفهومه، وفق ما استقرّ في النظرية التوليدية والتحويلية في مرحلتها الأولى، أي مع ظهور كتاب «البنى النحوية» لتشومسكي. وهذا الكتاب يعدّ الدستور الأول للنظرية التي جاء بها تشومسكي، وأحدثت هذه النظرية ثورة في الدراسة اللغوية

[1] - ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1986، ص 09 .

[2] - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، ص 140 .

في أمريكا، وأوربا[1]،فهو- أي محمد عبد المطلب-يعالج الاستعارة على أنّها بنية.والبنية في الفكر الفلسفي تستعمل من أجل تعيين كل مكون من ظواهر متضامنة، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلاّ في نطاق هذا الكل[2].

وعليه، فهو يهدف إلى البحث عن التقارب بين التفكير البلاغي عند العرب، ونظرية تشومسكي اللسانية، في محاولة لتجديد البلاغة العربية، انطلاقا من الحاجة إلى " معاودة النظر في مباحث البلاغة، جملة وتفصيلا، للإمساك بتصوّر شموليّ يجمع بين مفرداتها من ناحية، والكشف عن تفسير عميق لتحوّلاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى"[3]. وهو بذلك لا يقصد المؤلف من العملية القرائية للدرس البلاغي أن يشارك في الهجوم على البلاغة العربية، وإنّما هدفه أن يوضح " كيف أنّ الإساءة إليها جاءت من أقرب النّاس لها، أساءوا إليها مرتين، مرة عندما أخذوها في عجلة من القراءة الأولى، ومرة عندما أعادوا طرحها مشوّهة عن وعي أو بغي وعي"[4].

يكون التفكير اللساني الحديث قد فرض سلطته على الباحثين العرب، وهو ما كان سببا في إعادة قراءة التراث البلاغي مرة أخرى عند محمد عبد المطلب، يقول فيما بيانه: " واللافت أنّ ازدياد العناية بالبلاغة كان بمنبهات طارئة، نتيجة لاتّصالنا بالتيارات النقدية الوافدة، وكأنّنا نحتاج إلى من ينبهنا — دائما- إلى الإفادة من تراثنا"[5]، والهدف من ذلك البحث عن شرعية الدرس البلاغي عند العرب.

---

[1] - نعوم تشومسكي: البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز ومراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيوان، الدار البيضاء، ط2، 1987، (مقدمة المترجم)

[2] - عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 21 .

[3] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 1 .

[4] - المرجع نفسه، ص 2

[5] - نفسه، ص 7 .

منهج المؤلف واضح الأبعاد والمنطلقات، إذ تراه يقول: " وما علينا إلا أن نعيد اكتشاف الدروب القديمة التي هجرها الباحثون بدعوى التحجر والجمود"[1]، مدافعا في ذلك عن البلاغة العربية، وكاشفا عن بعض المفارقات التي تستهدف البلاغة القديمة بهدم إجراءاتها في تحليل الإبداع وتذوقه.فهو بذلك يؤكد على شرعية الخطاب البلاغي القديم، الذي لا تزال أدواته صالحة في تطبيق المناهج النقدية الحديثة في النّص الأدبي.

تظهر دقّة المنهج الذي تبناه عبد المطلب في كتابه، من خلال معالجة موضوعات علم البلاغة وفق ما تصورته المدرسة البلاغية القديمة ليستخلص الآراء اللسانية التي تحتويها، ويبيّن معالم التفكير اللساني التراثي فيها. إذ تراه في الكتاب ينطلق من التعريف الذي استوت صورته في مدرسة السكاكي البلاغية، ثمّ يعقّب بالشرح والتحليل وفق ما توفّره النظرية التوليدية التحويلية من أدوات التحليل والتفسير.

ونشير إلى أنّ محمد عبد المطلب لم يقارن تفصيليا بين تفكير القدامى ورؤية المحدثين، ولم يكن هذا هدفه في الكتاب، حيث سعى لإعادة تفسير الدروب التي رأى بعض البلاغيين المحدثين أنّها تشكل جمود البلاغة العربية، محاولا الوصول إلى القول بأنّ هذا الجمود الذي نعتت به البلاغة يوافق ما وصلت إليه الأبحاث اللسانية الحديثة، في شيئه القليل أو الكثير، وأنّ هدفه الأسمى في ذلك إعادة «شرعية الدرس البلاغي» عند العرب، يقول فيما بيانه: " يمكن أن نتقدم لقراءة بلاغتنا القديمة قراءة جديدة تستوعبها أّولا لتعيد إنتاجها في صياغة حداثية، قد لا تتوافق مع المقولات التراثية شكلا، لكنّها تعبر عن مضمونها تعبيرا صحيحا" [2].

3- من حيث الهدف:

[1] - نفسه، ص 7 .

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 18 .

يقسّم مصطفى غلفان القراءة التراثية باعتبار هدفها المنشود إلى ثلاث قراءات أساسية، وهي[1]:

- قراءة تحاول تأسيس مكانة للفكر اللغوي العربي في إطار الفكر اللغوي العام، وسمّها قراءة تفاعلية.
- قراءة تنوّه بالتراث اللغوي العربي وتضعه فوق اللسانيات الحديثة، وسمّها قراءة تمجيدية.
- قراءة هدفها تخليص النحو العربي من كل ما تعلّق به من شوائب كالتجريد والتعليل والحذف والعامل والنقد،... وسمّها قراءة إصلاحية.

القارئ للإنتاج الذي قدّمه محمد عبد المطلب في كتابه«البلاغة العربية، قراءة أخرى» يجد أنّ عمله يمكن تصنيفه ضمن القراءة التفاعلية، التي تسعى إلى إبراز الجهد البلاغي العربي وارتقائه بالتفكير العلمي الحديث، وهو القائل: " أنّ معظم الجهد البلاغي القديم جهد معاصر بكلّ المقاييس، وأنّ اتهام السكاكي ومدرسته بتعقيد البلاغة اتهام ظالم".[2]. والحقّ إنّ محمدا عبد المطلب أراد رفع اللبس عن البلاغة القديمة، و رأى أنّها لم تفقد صلاحيتها في التعامل مع الواقع الإبداعي، وما أداره البلاغيون حول مصطلحي «الفصاحة والبلاغة»، ما زالت موادّ هذين المصطلحين ممثّلة لأدوات تحليليّة قابلة للتعامل مع الخطاب الأدبي الحديث بكل مستوياته[3].

ومحمد عبد المطلب في موقفه من التراث البلاغي لم يكن متعصبا بالدرجة التي تضع هذا التراث في تمام الكمال والحال، بل إنّ قراءته كانت علمية، ولعل ما يدل على ذلك أنّه رفض

[1] - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، ص 137-139 .

[2] - محمد عبد المطلب : البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 14 .

[3] - المرجع نفسه، ص 15 .

الصورة التي تمّ بها تقديم علم البديع. الذي لم يكن الهدف فيه تسليط الضوء على وظيفته داخل النّص الأدبي، حيث يرى أنّ التعامل مع هذا العلم كان فطريّا دون وعيّ بأبعاده الوظيفيّة[1].ومن ثمّ فإنّ قراءة المدونة البلاغية القديمة عنده لم تهدف إلى تمجيد هذا التراث، ووضعه فوق المعرفة الإنسانية، تعصّبا له، وإنّما التزم الموضوعية العلمية التي تقرّ بالحقائق، وتنير الدروب التي تحتاج إلى جهود البلاغيين المحدثين.

1- وضعية القارئ في خطاب محمد عبد المطلب:

حاول محمد عبد المطلب قبل تقديم كتابه، أنّ يكوّن قارئا ملمّا بالثقافة اللسانية، حيث نشر كتابه: « **قضايا الحداثة بين عبد القاهر وتشومسكي** »، وآخر سمّاه « **البلاغة والأسلوبية**» إلى جانب كتب أخرى تحاول أن تقرأ المدونة العربية في جزئياتها. وهو بذلك ينمّ عن تفكير سديد النظرة، الهدف منه تكوين قارئ عربي يلمّ بالنظريات والمناهج الحداثية، التي فرضت نفسها في الساحة العلمية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

يبيّن نهج محمد عبد المطلب بأنّ الرجل اتّبع في عمله اللساني عموما منهجا يقوم على تقديم الحديث ثم العودة إلى القديم في صورته العامة، وهدفه في ذلك حتى تصبح " عملية القراءة التراثية بعدها أحادية التركيز بالنسبة له، أي أنّه لن يكون مطالبا بدراسة وتحليل التراث واللسانيات الحديثة معا، ولكن سينصب تركيزه على قراءة التراث، باعتباره قارئا ممتلكا لمفاتيح القراءة اللسانية الحديثة"[2].

---

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 345 .

[2] - هبة خياري : خصائص الخطاب اللساني (أعمال ميشال زكريا نموذجا)، منشورات زين، بيروت، ط1، 2011، ص 224 .

يغري المؤلف القارئ العربيّ للعودة إلى التراث البلاغي، والأخذ به، وينبهه على ذلك لأهميته ومعالجته لقضايا التفكير الحديث، فتراه يثمّن عمل عبد القاهر الجرجاني في كتابيه«دلائل الإعجاز»، و « أسرار البلاغة»؛ إذ يقول: " ومن الممكن أن ندعيّ بأن الرجل قدّم نظرية مكتملة بكل أسسها الفكرية وإجراءاتها التطبيقية، دون أن نشعر لحظة بانفصاله عن النّص أو تعاليه عليه"[1].

والحق إنّ مثل هذه القراءة للتراث البلاغي انطلقت مع المشروع الذي قدّمه حمادي صمود في الثمانينات، وقد ذكرناه في مدخل هذه الأطروحة، إذ إنّ الاعتماد على اللسانيات في التعامل مع البلاغة العربية كان سمة الدراسة التي جاءت بعد هذا المشروع، ومنها قراءة عبد المطلب التي نشرت في سنة 2007.

يوجه محمدعبد المطلب القارئ العربيّ، ويحذّره من الانقطاع عن القديم، ويدعوه إلى عدم التعصّب لهذا التراث، وضرورة الانفتاح على اللسانيات الحديثة، إذ يحرص على الإفادة من الوافد الجديد، ويثمن الجهود التي حاولت أن تفيد من جهد تشومسكي في البحث اللغوي، للكشف عن تحولات البنية البلاغية[2].ومثل هذا التوجيه ينمّ عن وعي عبد المطلب بمشكلة « الحداثة »، التي كانت من أكثر التيارات تأثيرا في المثقف العربي. ويرى أحمد مطلوب أنّ أكثر من ربع قرن والصراع قائم بين ثلاثة فرقاء [3]:

الأول: يترع إلى الحداثة كل الترع ولا يرى لها بديلا.

الثاني: يتمسك بالقديم ولا يجد في غيره للحياة سبيلا.

[1] – محمد عبد المطلب : البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 97 .

[2] – المرجع نفسه، ص 90 .

[3] – أحمد مطلوب: منهج السكاكي في البلاغة، ص 129 .

الثالث: يوفق بين الفريقين المتصارعين ويصلح ذات بينهما بعد أن اشتد الصراع بينهما وكفّر بعضهم بعضا.

2- بنية الخطاب التراثي عند محمد عبد المطلب

نهدف من خلال هذا الموضوع الوقوف عند البنية التي تشكل فيها الخطاب اللغوي التراثي عند محمدعبد المطلب في قراءته الجديدة، التي تدرس طبيعة العنوان، والمقدمة، وخصوصية الكتابة التي طرحها الرجل للقارئ العربي المتخصص.

أ – العنوان:

عنوان مدونة البحث جاء على غلاف الكتاب بالشكل التالي: « **البلاغة العربية، قراءة أخرى**» .وهو عنوان يختزل محتوى هذا الكتاب الذي قدّمه صاحبه في سبيل تقديم تصوره لتجديد البلاغة العربية.و العناوين في حقيقة أمرها لا ترد خالية من خلفية ثقافية ترتبط بوظائف معينة[1].

لعل ما يغري القارئ للاطلاع على كتاب محمد عبد المطلب، العنوان الفرعي « **قراءة أخرى**»، حيث إنّ القارئ العربي أَلف عناوين " البلاغة العربية"،أو أنّه واكب ظهور مصطلحات بديلة عن المصطلح العربي، مثل « الأسلوب»، و « فن القول»، لكنّ إضافة العنوان الفرعي تدفع القارئ للإطلاع على الكتاب ومعرفة جديده. وهو اختيار ذكيّ يقدّم تصوره من الوهلة الأولى بأنّه كتاب تختلف مقولاته عن الكتب البلاغية التي سادت زمنا سواء في مرحلة الشروح والحواشي، أو مرحلة تيسير البلاغة في العصر الحديث، أو تلك التي ادّعى أصحابها أنّها قدّمت صورة جديدة للبلاغة القديمة.

[1] – حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 135.

عنوان كتاب عبد المطلب لا يختلف كثيرا عن العناوين التي اتخذت «القراءة» مشروعا لها في التعامل مع التراث البلاغي، ونخص بالذكر، كتاب حمّادي صمّود:« **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)** »[1]، و كتاب محمد العمري :« **البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها** »[2]. بل وصل الأمر إلى الاستفهام عن الكيفية المثلى التي يتم بها قراءة التراث البلاغي، مثلما نجد ذلك في كتاب محمد بركات أبو علي: « **كيف نقرأ تراثنا البلاغي**»، الذي حاول فيه بيان أوجه القراءة، واختلاف منطلقاتها، وأسباب معاودة قراءة التراث البلاغي[3].

العنوان الرئيسفي كتاب محمد عبد المطلب يحمل غاية تعليمية، فالرجل تعامل مع التراث البلاغي في الصورة التي استوى عليها في المدرسة السكاكية. وإضافة **العنوان الفرعي** إلى هذا الكتاب يوضح بأنّ الرجل يعتمد على قراءة غير مألوفة في مصنفات المدرسة السكاكية. والمتأمل في هذا الكتاب يرى أنّ عبد المطلب اعتمد على قراءة ثانية تعتمد على مقولات النظرية التوليدية والتحويلية، التي تكلمنا عنها في المنهج الذي تبناه الرجل في تجديد البلاغة العربية.

تعتقد هبة خياري أنّه كلما كان الموضوع عامًّا، يتمّ استخدام العنوان الرئيس، وكلّما مضى الموضوع في التخصّص زادت الحاجة إلى استخدام العنوان الفرعي [4] . والملاحظ في هذا العنوان الفرعي المضاف إلى العنوان الرئيس أنّ القراءة بوصفها آلية في التعامل مع التراث لم يتم

[1] – نشره في طبعته الأولى سنة 1981، وهو في الأصل أطروحة الدكتوراه ، ثمّ أضاف عليها تعديلات سواء في الطبعة الثانية سنة 1994، أو في الطبعة الثالثة سنة 2010 ، ويكون أول باحث فتح المجال لقراءة التراث البلاغي، أو فتح مشروع القراءة وفق وجهة لسانية.

[2] – بيّن العمري في تمهيد الكتاب أنّه يندرج في مشروع قراءة التراث البلاغي، ص8 .

[3] – بركات، محمد أبو علي: كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 1999، ص8-16 .

[4] – هبة خياري: خصائص الخطاب اللساني، ص 130 .

الاتّفاق في منطلقها، والكيفية التي تكون بها، واعتقد أنّ هذا المشكل مازال مطروحا إلى اليوم، إذ تزيد الاستفسارات حول الكيفية المثلى التي يتمّ بها قراءة هذا الموروث البلاغي.

ب – المقدمة :

تعد المقدمة في أيّ تأليف بوابة الكتاب، وبها يقتنع القارئ، ويأخذ انطباعا حوله، إما بالولوج في استكمال القراءة، أو تركها، والمؤلف في ذلك يمارس نوعا من الإغراء، والاهتمام بها في حقيقة أمره ضروري لكسب ودّ القارئ، واقتناعه بفحوى العنوان الذي يحمله الكتاب.

في اعتقادي أنّ المقدّمة في المؤلفات حقل لممارسة الحوار النقدي مع القارئ من أجل أن يثير فيه جملة من الاستفهامات التي لا يجد حلاّ لها إلاّ بمتابعة القراءة في فصول المؤلف، ومن ثمّ فإنّ الخطاب المقدّماتي يفصح عن الغاية.

اهتمام محمد عبد المطلب بالمقدمة دفعه لأنّ تكون فصلا في مستهل الكتاب،وحاول من خلالها إغراء القارئ العربي بتبني موقفه من الدرس البلاغي، الذي تعرض في عصره، وقبله، لانتقادات كثيرة، ومعالجة جملة من القضايا الأساسية التي طبعت الدراسات البلاغية في العصر الحديث والمعاصر[1].

المتأمل في طبيعة المقدمة التي جعلها عبد المطلب فاتحة كتابه، يدرك أنّ الرجل حاول من خلال ذلك أن يُذهب عن القارئ العربي مقولة بعض الدارسين من أنّ البلاغة علم جاف، و لم تعد قادرة على متابعة التطوّر الذي شهدته المعرفة اللغوية، بظهور تيارات نقدية حداثية، يقول فيما بيانه:" معظم الجهد البلاغي القديم جهد معاصر بكلّ المقاييس، وأنّ اتّهام السّكاكي

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 03 – 33 .

ومدرسته بتعقيد البلاغة، اتّهام ظالم "[1] . ومن ثمّ فالمقدمة في الكتاب عالجت جملة من الأفكار المتقاربة التي حاولت تثمين الجهد البلاغي القديم، خاصة في مرحلته السكاكية.

جـــ – الطرح العام:

نحاول في هذا العنوان دراسة الطّرح العام للخطاب اللساني التراثي عند محمد عبد المطلب على شكل النصوص المقدّمة، من خلال تسليط الضوء على طريقة تقسيم المواضيع الأساسية إلى أفكار جزئية، والحديث عن الوسائل التبسيطية التي اعتمدها في تقديم مادته، وتحقيق أهدافه، للوصول إلى إقناع القارئ العربي بجدوى التصوّر الذي يقدّمه في سبيل تقديم صياغة جديدة للبلاغة العربية وفق النظرية التوليدية التحويلية.

1– الموضوع الرئيس:

كتاب محمد عبد المطلب « البلاغة العربية، قراءة أخرى» كما رأينا هو كتاب يندرج ضمن سياق المحاولات التي قدّمها الدارسون المحدثون في سبيل قراءة التراث البلاغي مرة أخرى بالاعتماد على اللسانيات الحديثة، ومنها على وجه الخصوص نظرية تشومسكي.

الدافع إلى تحقيق هذه الغاية، دعا محمد عبد المطلب إلى تقسيم مادة كتابه إلى ثمانية فصول، وفق أفكار متسلسلة، مترابطة ترابطا منطقيا، انطلق فيها ببيان موقفه من البلاغة، ثم حاول أن يبحث جسور التواصل بينها وبين اللسانيات، ليحاول في الفصل الرابع والخامس أن يؤكد الاتجاه التحويلي وأسلوبيته في تجديد البلاغة، فيما عالج في الثلاثة الأخيرة قضايا علم المعاني والبيان والبديع، والكيفية التي يقترحها في تحليل التراكيب البلاغية.

2–الموضوع الجزئي:

[1]– محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 14 .

المطلع على كتاب محمد عبد المطلب يجد أنّ فصوله تتكون من مجموعة مقالات، يكمّل اللاحق السابق، ويعتبر السابق مقدمة للاحق. ويتضح ذلك في فصول هذا الكتاب، ففي الفصل الثاني الذي عنونه الرجل " مدخل إلى البلاغة"، وفي الفصل الثالث جاء تحت اسم " المدخل بين التراث والحداثة "، والواضح أنّ بين الفصلين علاقة حميمية، يمهد فيها الفصل الأوللثاني. وبعد أن يعرف القارئ العربي الشروط التي وضعها البلاغيون قديما لتحقيق الفصاحة والبلاغة، ناقش هذه الشروط في الفصل الثالث من خلال تجلياتها في الخطاب الإبداعي الحداثي [1] .ولو أنّنا في ذلك نحاول إبراز طريقة وضع النصوص في موضوعات جزئية، إلا أنّنا قدمنا بذلك لتأكيد أهمية هذه الخطة في إبراز الأفكار البلاغية التي أراد عبد المطلب أن يبلغها إلى المتلقي.

نأخذ على سبيل المثال لتوضيح حضور الموضوع الجزئي في الخطاب اللساني التراثي عند محمد عبد المطلب مادة الفصل الثالث، التي جاء تحت عنوان:« المدخل بين التراث والحداثة». وناقش الرجل موضوعه بشكل جزئي، وتقسيمه إلى خمس مقالات، جاءت أفكارها الجزئية على النحو التالي[2]:

- شطر البحث البلاغي إلى الدوائر الثلاثة والوعي بشموليتها في التعامل مع النص الأدبي.
- شروط فصاحة الكلمة.
- مواصفات الدال الفصيح (عدم مخالفة القياس)
- شروط فصاحة التركيب.

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص

[2] – المرجع نفسه، ص 73 – 88 .

- المواصفات الصوتية لفصاحة التركيب.

د – الوسائل التبسيطية المساعدة:

الخطاب العلمي في مدونة هذا البحث يتراح إلى الجانب التعليمي، وكأنّ محمد عبد المطلب يحاول أن يوجه القارئ العربي، ويخلق فيه التأثير، وذلك من خلال الاعتماد على بعض الوسائل التبسيطية التي يرتكز عليها في توصيل أفكاره ، سواء من حيث موقفه من البلاغة العربية، أو جدوى الوقوف على البنية العميقة في تحليل التراكيب البلاغية.

نقف في ذلك عند طبيعة الوسائل التبسيطية التي استعملها الكاتب في مؤلفه، من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود:

1–تحليل العنوان الرئيس إلى عناوين فرعية:

يبتعد محمد عبد المطلب عن الاسترسال في الحديث عن العنوان الرئيسي، إذ تراه في هذا المؤلف يعتمد على العناوين الفرعية من أجل توضيح فكرته جيّدا للقارئ، بغية تحقيق الفهم والإفهام.

محمد عبد المطلب عندما يتحدث عن موضوع " بنية التشبيه"، فهو لا يتعامل مع هذه البنية في شموليتها، بل يلجأ إلى العناوين الفرعية لتوضيح فكرته بشأن أهمية التحولات التي تنتاب هذه البنية في صورها المختلفة، ويستقرئ حضور وغيابطرف من أطراف تكوين البناء التشبيهي، وتعامل مع الموضوع الرئيسي بالشكل التالي[1]:

- تشبيه مكتمل الأطراف.

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 153 -156 .

- حذف الوجه والأداة.
- حذف وجه الشبه فقط.
- حذف المشبّه فقط.
- حذف المشبه به فقط.
- حذف جميع الأطراف ماعدا الأداة.

الحقيقة أنّ هذه الطريقة ألفناها في المؤلفات الأولى التي انتهجت طريقة التسيير لتقريب المفاهيم البلاغية للقارئ العربي، ولو أنّ تميّز عبد المطلب راجع إلى التبسيط حتى في العنوان الفرعي الواحد، وغايته إفهام المتلقي برؤية الرجل في موضوعات الدرس البلاغي.

2-الانتقال من العام إلى الخاص :

التأمل في طبيعة المنهج الذي يعتمد عليه محمد عبد المطلب في فرض أفكاره على القارئ ينطلق من خصوصية يتميز بها، فهو لا يلج الموضوع بشكل جزئي مباشرة، إذ يعتمد على طريقة الانتقال من العام إلى الخاص[1].

محمد عبد المطلب عندما تحدث عن الطبيعة التحويلية في تحليل التراكيب البلاغية، تحدث عن الموضوع بشكل عام، ولم يخصص فنّا على آخر، لينتقل في الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب إلى تطبيق المنهج التحويلي على هذه الفنون، وفق تصنيفاتها المعهودة منذ السكاكي، من خلال تقسيم البلاغة إلى العلوم الثلاثة، المعاني، والبيان، والبديع .، وهو بذلك في هذه الطريقة يحاول أن يؤكد على أهمية الإدراك الكلي لموضوع المدونة، قبل التفصيل في الإدراك الجزئي.

[1] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 158 .

3 – التمهيد بتقديم الملخصات:

التمهيد بتقديم الملخصات خاصية تميّز بها الخطاب العلمي عند عبد المطلب، من خلال تسبيق الموضوع المعالج بتلخيص له، إذ تراه في الفصل الذي سمّاه " بنية التحوّل "، وهو قبل أن يتحدث عن أنّ الدرس البلاغي قد انطلق من مفهوم " تحويلي" دقيق، تجده يتحدث عن تشومسكي وجهوده في دراسة اللغة، وعلاقة منهجه بالتراث اللغوي عند العرب، ويقول مثلا:" وصاحب النظريّة قد صرّح بأنّه قبل أن يبدأ دراسة اللسانيات العامّة كان مشغولا ببعض الأبحاث التي تدور حول اللسانيات السامية"[1] .

4 – استخدام الحروف:

الملاحظ في طبيعة الكتابة التي يوجهها عبد المطلب إلى القارئ، تحويل المفاهيم العلمية إلى أشكال تتضمن حروفا، بغية تبسيط وتوضيح رؤيته حول قضايا البلاغة العربية.و مثلا فهو يحوّل رؤيته حول تفكير البلاغيين للبناء التشبيهي إلى الشكل التالي[2]:

أ مثل ب في جـــ بهدف د

مثل هذه الكتابة بلغة الرياضيات تساعد القارئ في فهم وظيفة أداة التشبيه في البلاغة العربية. واعتمد على هذا الشكل في شرح تعريف العلوي للتشبيه بغية تبسيط مفاهيم الكتابة التراثية. ولعل استعمال الرموز واحد من وسائل عدة تحقق «الاقتصاد» في الخطاب العلمي، إذ "

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص 89 .

[2] – المرجع نفسه، ص 137 .

كلما كانت هذه الرموز مضبوطة معبرة عن تحليلنا للواقع من دون إطناب أو غموض كانت أكثر استحسانا "[1].

5 – التلخيصات:

القارئ لكتاب محمد عبد المطلب يدرك خصوصية خطابه البلاغي ويجد أنّ الرجل يعتمد في بعض الأحيان على التلخيصات التي يراها وسيلة هامة لإيصال أفكاره في قراءة المدونة البلاغية القديمة ، ومنها تلخيصه لمفهوم حسية طرفي التشبيه، على النحو التالي[2]:

- منطقة المبصرات: خدّ فاطمة كهذا الورد
- منطقة المسموعات: سمعت كلاما مثل طلقات المدفع
- منطقة المشمومات: رائحة ليلى كرائحة هذا المسك
- منطقة المذوقات: شربت ماء كالعسل
- منطقة الملموسات: جلد الفتاة كالحرير

هذا التلخيص في رأينا يساعد المتعلّم في إدراك الموضوع بشكل عام، يسهل تقبّله، وعدم نسيانه، إذ جاء بعد الاستفاضة في الحديث عن الحسيّة التي تخلقها الصورة التشبيهية، بناء على طبيعة طرفيها، المشبه والمشبه به.

يبدو أنّ الرجل كان واعيا بأهمية هذه التقنية في توصيل الفهم للقارئ، إذ اعتمد عليها في كثير من مواضع الكتاب، بل والأبعد من ذلك وبعد حديثه عن التحوّلات التي

[1] – الشريف بوشحدان: واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي، الخطاب اللساني نموذجا، مجلة اللغة العربية، العدد 06، الجزائر، 2002، ص 270 .

[2] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 137.

تطرأ على بنية التشبيه، تراه يلخص لها بالكتابة، إذ يقول مثلا: " وتتخلص تحوّلات عناصر التشبيه رأسيا وأفقيا على النّحو التالي "[1]. ونأخذ مثالا للتوضيح تتجسد فيه تقنية التلخيص في حديثه عن تحوّلات الطرف الأول، وهو المشبه، الذي جاء على الشكل التالي: [2].

رأسيا	أفقيا
1- أ- محسوس	1 – أ – مفرد
2- أ – عقلي	2 – أ – متعدّد
3- أ – خيالي	3 –أ- مركّب
4- أ – وجدانيّ	5 – أ- حاضر
5- أ – معنى	6 – أ- غائب
6- أ – صورة	
7- أ – يؤدي وظيفة (ب)	

6- إجراء المقارنات:

الواضح في خطاب محمد عبد المطلب أنّه يلجأ لتوضيحه أفكاره بخصوص منطقة عمل علوم البلاغة، إلى استخدام تقنية إجراء المقارنات. وهو في توضيحه لعمل البلاغي يعمل على إجراء مقارنة بين اللغة الإبداعية واللغة الحيوانية، وهذه ميزة رأينا في عدة خطابات تهتم بالتأسيس للسانيات العربية. ويتضح وجه هذا الأسلوب أكثير في الحديث عن قضايا علم المعاني،

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى ، ص157

[2]- المرجع نفسه، ص 175 .

إذ لجأ المؤلف من أجل توضيح منطقة عمل هذ العلم في الأسلوب الإبداعي، إلى الحديث عن الكلام المألوف.

من النصوص التي تدعّم وجود هذه التقنية في خطابه:قوله عن الكلام المألوف، بأنّه " يتميّز بشفافية عالية تسمح للمتلقّي باختراقها إلى مردودها الخارجي مباشرة، لأنّه جاهزٌ بصفة دائمة، وحاضر في المخزون الذّهني " . وعن الكلام الأدبي، يقول: " أما لُغَةُ الخطاب الأدبي فإنّها تتميّز بكثافة شديدة، لا تسمح للمتلقّي بهذا الاختراق السريع، وإنّما تتطلّب منه أن يتوقف إزاءها " [1]

مثل هذه التقنية في رأينا تسمح بتحقيق المعرفة من خلال الاعتماد على طريقة المقارنة، التي توضّح جزئيات الموضوع المعالج، ومن ثمّ تساعد في تحقيق الفهم عند القارئ، وتجعله يعرف جيّدا ماهية علم المعاني.

7-استخدام المخطّطات:يدعم محمد عبد المطلب الشروحات التي يقدّمها إزاء معالجته لقضايا البلاغة في علومها الثلاثة بالاعتماد على وضع مخططات تلخّص موقفه منها، مثلما فعل في حديثه عن التحوّلات التي تصيب المسند إليه، وبعد أن قال:" ومن الواضح أنّ البلاغيين قد تعاملوا مع ظاهرتي (الغياب والحضور) المتّصلة بالمسند إليه بوصفه الدّالّ الرّئيس الذي تتحرّك منه الدّلالة لتنتشر بين السياق"لخّص مفهومه بوضع مخطط يشرح طريقة تعامل البلاغيين مع ظاهرتي الغياب والحضور.[2].

8-ضرب الأمثلة التوضيحية:

[1] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 204 .

[2] - المرجع نفسه، ص 227

التوضيح غاية المجدّدين في العصر الحديث، إذ يلجأ أصحاب الدراسات البلاغية إلى تحقيق هذه الغاية، من أجل إقناع القارئ العربي بأهمية الأخذ بالتصوّر الذي يطرحه في سبيل تجديد البلاغة العربية، لأنّ تلك التصورات فرزت بكمّ هائل، والاختيار للأخذ بها من عمل القارئ العربي. ولأجل تبسيط المفاهيم الذي تطرحه المحاولات لجأ عبد المطلب محمد إلى ضرب الأمثلة التوضيحية، بحكم أنّ القارئ وجد نفسه أمام معرفة بلاغية جديدة بلغة لسانية، لم يألفها في تراثه العربي.

ويتضح ذلك في قوله: " فعندما أقول: (قائم) في جواب (كيف زيد؟)أجد داخل عدة دوائر على صعيد واحد. الدائرة الأولى: صوتية مستقلة (..) الدائرة الثانية: دائرة النبر العفويّ الذي يعلن الدخول في منطقة الحوارية. (..) الدائرة الثالثة: وهي تعتمد على الوعي الإرادي في بثّ انطباع محدّد بأهمية المسؤول عنه عند المتكلم "[1].نخلص من هذه القراءة التحليلية والتي تركز عملها حول الكشف عن طبيعة الخطاب العلمي عند محمد عبد المطلب، أنّه كتب المقولات البلاغية القديمة بلغة لسانية، فكان خطابه بلاغيا لسانيا، حمل ثلاثة أبعاد، وهي[2]:

1-البعد الحجاجي، الذي قدّم فيه الحجّة على تأكيد أقواله، خاصة ما تعلّق منها بأنّ التفكير البلاغي انطلق منه مفهوم تحويلي لم يذكره البلاغيون بمصطلحه الحديث لكنّه كان وراء القراءة الثانية لأقوالهم. ويذهب محمد العمري أنّ البعد الحجاجي مهمّ في الخطاب، بحكم أهميته في جعل الحوار الذي ينشئه المؤلف مع القارئ بنّاء.

2-البعد البيدغوجي: ورأيناه في تلك الخططات التي اعتمدها محمد عبد المطلب في توصيل قراءته الحداثية إلى القارئ العربي، وهو وصف يستعمل عادة عندما تكون قدرة المؤلف

[1] - محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 223 .

[2] - محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 258 .

كبيرة في حديثه عن قضايا العلم، حيث يتم استخدام تلك الخطاطات والدوائر من أجل التسهيل وطي الصفحة.

1 – البعد التأويلي: الذي كانت ميّزة واضحة من أجل مدارسة المنطقة التي وجدها سابقوه مستعصية في البحث عن تأسيس لغويّ للبلاغة العربية، تأسيس يجعل من القواعد البلاغية ذات صبغة صورية ذهنية، وفق ما تقوله النظرية التوليدية التحويلية.

والخطاب العلمي في حقيقة أمره يقتضي الوضوح، ويعني الابتعاد عن الغموض والإبهام بتوظيف لغة دقيقة واضحة لا تقبل الالتباس والإيحاء، ومن هنا يكون التركيز أولا على اللغة العلمية التي تميل إلى الدّقة " وتتميز بمعجم خال من الإيحاء والتراكم، محدّد الدلالة غير قابل للاشتراك والترادف، وتراكيبه غير مكررة ولا تعيد نفسها "[1] ولا شك أنّ هذه اللغة العلمية ما لحظنا خصائصها في كتاب محمد عبد المطلوب الذي كان كتابا بلاغيا ولسانيا.

[1] – يوسف منصر: الخطاب العلمي(مرتكزاته وخصائصه)، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد 06، الجزائر، 2000، ص 52 .

المبحث الثاني:

ملامح التجديد في التحليل البلاغي

عند محمد عبد المطلب

ثمرة علم البلاغة كامنة في تحليل البيان للوقوف على أسرار النصوص، ومعرفة الفروق بين أجناسه، والتمييز بين طبقاته، ما علا منها وما نزل، ومن ثمّ تحضر البلاغة في عدة الناقد في تمييزه للجيد والرديء .

وظنّ كثير من الدارسين أنّ البلاغة مجرد علوم تضبطها تقسيمات معينة، وحدود تفصل بين أبوابها، و لم يعوا أنّ حركة البحث البلاغي لا تتوقف عند هذه التقسيمات وتلك الحدود، بل تستثمر كل ذلك وتحوّله إلى مهارات تحليلية يفتّق بها المحلل البلاغي أسرار البيان، ويجلي مكامن الجمال فيه، واضعا اليد على أسباب ذلك وعلله.

قبل أن نتوقف عند الإضافات التي قدّمها محمد عبد المطلب في التحليل البلاغي للتركيب اللغوي من خلال النظرية التوليدية التحويلية، لا بأس أن نشير إلى ماهية التحليل في البلاغة العربية، من خلال الوقوف على مفهومه وتجلياته في تراثنا وفي محاولات المحدثين .

يعتبر التحليل البلاغي أداة تفتيش للنصوص وسبر أغوارها؛ إذ إنّ المهمة التحليلية مهمة بالغة في الدّقة والصعوبة، تعتمد قبل تحصيل العلم على ملكة في التذوق عالية الحساسية في الوصول إلى أسرار البيان، يأتي العلم بعدها كاشفا له، ثم تكون الدربة في تمرس النصوص مختبرة لصحتها وفاحصة لقدرتها التميّزية[1].

ويعد تفسير « الكشاف» للزمخشري أول محاولة ناضجة في توظيف عطاء علم البلاغة في تحليل القرآن الكريم تحليلا يكشف عن أسراره البلاغية، صفته الوعي بالمهمة المناطة بهذا العلم عبر تحويله إلى قدرة تحليلية كاشفة لمواطن التفوق البياني وأسبابه. ومن ثم فقد دخل علم البلاغة " المجال التحليلي الذي ينتفع فيه بقدراته ومعطياته على تحليل الكلام وتذوقه مرة واحدة في تفسير الزمخشري الذي تفرد بالكشف عن دقائق اللغة بصورة

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 223 .

متّسعـــــة وميّزة "[1].وهو تحليل يكشف مواطن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ويصل إلى تحقيق الوظيفة التي نشأ من أجلها علم البلاغة.

ويرجع عبد العزيز عتيق سبب تألق الزمخشري في تحليلاته البلاغية إلى كونه استعان في تفسيره " بما فطن إليه عبد القاهر من مباحث هذا العلم وهو لا يقف عند استخدامها والتطبيق عليها من كلام الله، وإنّما نراه بالإضافة إلى ذلك يستكمل الناقص، ويفصّل المجمل، ويوضّح المبهم، ويتوسع فيما يحتاج إلى توسعة" [2]، وبذلك كانت آراؤه البلاغية ذات تأثير في البلاغيين الذين بحثوا في موضوع الإعجاز البلاغي، ومنهم فخر الدين الرازي في كتابه: « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ».

ومن تحليلات الزمخشري في المجاز ما جاء في شرحه للآية الكريمة: ﴿ ُمْوَامْسَحُواْٱلْمَرَافِقِوَإِلَىوَأَيْدِيَكُمْوَجُوهَكُمْفَٱغْسِلُواْٱلصَّلَوٰةِإِلَىفَٱغْسِلُواْمَنُوٓاْٱلَّذِينَيَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَعْبَيْنِإِلَىوَأَرْجُلَكُمْبِرُءُوسِكُ ﴾[3]، حيث قال الزمخشري: " إنّ المراد في إذا قمتم إلى الصلوة – إرادة الفعل... فكما عبر عن القدرة وعلى الفعل بالفعل في قولهم " الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار " كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب "[4] ، وهو بذلك أدرك حدود المجاز، واهتدى إلى حدود الجمال فيه .

---

[1] – هيفاء عثمان عباس فدا: نسق الكلام في شعر زهير، دار القاهرة، القاهرة، ط1، 2004، ص 7 .

[2] – عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (د.ت)، ص 264.

[3] – المائدة: 06 .

[4] – الزمخشري جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 325 .

وعليه، فالتحليل مهمة البلاغة الكبرى التي وطدت لأجله كلّ وسائلها، فتحليل النصّ هو الأساس الذي تجهد البلاغة في الوصول إليه، ومتى غيّب هذا الأساس كان ذلك تشتيتا للجهد المبذول في ترسيخ دعائم العلم البلاغيّ؛ إذ ليس لوجود البلاغة " مبرر إلا أن تكون أداة تقليب لهذا النّص وأداة تفتيش، وتحليل، وحفر في اللغة، لاستخراج الدفائن ".[1]

وقوف الباحث البلاغي عند حدود أبواب علم البلاغة يفوّت عليه فرصة تفتيش أسرار البيان في النصوص، ويبقى هذا العلم مجرد متون للحفظ. ولعل هذا ما دفع بسيوني فيود إلى القول: " ولو وقف الدارس عند حد القاعدة والضوابط البلاغية و لم يتجاوزها إلى النصوص الرفيعة، ليتعرف من خلال هذه النصوص على مسائل البلاغة، لجفّ ذوقه وتبلّدت أحاسيسه، وانحطّت مشاعره "[2]. ومن ثمّ فإنّ استثمار علم البلاغة في الأداة التحليلية هو عودة بالبلاغة إلى حقيقتها الأصلية في بناء دراستها على النصوص البيانية الرفيعة، والانطلاق بها " إلى ما هو أبعد من القواعد، إلى الجوانب الفنية ومظاهر الجمال الأدبي، وإيضاح أهمية البلاغة في رقي الأدب وتنمية الذوق و إرهاف الحس، وتهذيب العقل والعاطفة والوجدان "[3].

والمهمة التحليلية تتحدد في اتجاهين: اتجاه أفقي يتمثل في الإفادة من عطاءات العلوم الأخرى، واتجاه رأسي يعمق وعيه المعرفي داخل دائرة علم البلاغة وما يحويه من عطاء خاص في تفتيق أسرار البيان وتجليتها، فهو أدخل العلوم " في هذا الباب؛ لأنّ طلبته في النص- أعني ضالته التي ينشدها في النص- هي الدقائق والخفايا التي لها أقوام هدوا إليها و دلوا عليها،

[1] - محمد محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1998، ص 16.

[2] - بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية، دارسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، ط1، 1991، ص 3.

[3] - أحمد أبو حاقة: البلاغة والتحليل الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1996، ص6.

وكشفت الحجب بينهم وبينها، وهذا هو موضوع هذا العلم كما يقول مؤسسه الشيخ عبد القاهر"[1].

والتحليل البلاغي جوهرتصورات التجديد في الدراسات الحديثة، تختلف مرجعتيهتبعا للمنهج التي استند إليه المجدّدون. ولأجل ذلك تأتي محاولتنا في هذا المبحث لمعرفة خصوصية التحليل البلاغي عند محمد عبد المطلب .

التحليل البلاغي عند محمد عبد المطلب

إذا كان محمد عبد المطلب تبنى الاتّجاه التحويلي في تجديد البلاغة العربية فإنّ هدفه في ذلك تحقيق الكفاية التفسيرية في التحليل البلاغي من خلال تجاوز مرحلة الوصف إلى محاولـــــــــة الكشف عن أصل المعنى في التراكيب الأدبية. وهذا الغرض الذي أراده حاولت أن تحققه النظرية التوليدية التحويلية.

لأجل ذلك نحاول في هذا المبحث من الفصل الرابع أنّ نتعرف على الكيفية التي التزم بها عبد المطلب في التعامل مع الفنون البلاغية في مرحلة التلقيّ، أيّ ما هي المرتكزات والأسس التي ينبغي أن يقف عليها المحلّل البلاغي حتى يتمكن من تحقيق هذه الكفاية التفسيرية ؟.

يرى محمد عبد المطلب أنّ الناتج الدلالي للبنى البلاغية في علم البيان يحضر في بنيتها العميقة، يقول فيما بيانه: " تحوّل الأبنية في علم البيان إذا اقتصر على التّشكيل السّطحي، لا يقدّم ناتجا متغيّرا بالوضوح والخفاء، إنّما التحوّل الحقيقيّ هو الذي يتمّ في البنية العميقة"[2].

[1] – محمد أبو موسى: المرجع السابق، ص 14.

[2] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 129 .

وهذا المفهوم الذي أعطاه محمد عبد المطلب لعلم البيان، هو ما أشار إليه البلاغيون في تراثنا، إذ نجد أنّ القزويني يعرفه بقوله: " هو علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[1]، لكنّ مهمة توضيح الدلالة هي مناط البحث البلاغي الحديث،أي أنّ الوصول إليها ينبغي أن يكون بتجاوز التشكيل السطحي إلى ما يسمى بالبنية العميقة على حدّ تعبير محمد عبد المطلب.

والذي يمكن أن نعتبره ملمحا تجديديا في فكر محمد عبد المطلب هو إشارةقوله إلى أهمّ المرتكزات التي يقف عليها المحلّل البلاغي والمتمثلة في التعامل مع البنية العميقة للتراكيب البلاغية التي تندرج تحت ما يسمى في البلاغة العربية بعلم البيان.وأهمية البنية العميقة في نظر عبد المطلب أنّها " تدفع المتلقي إلى التّعامل الجدلي بين السّطح والعمق ليدرك التّمايز أو التفاضل"[2]. الذي هو أساس عمل التذوق للإبداع الأدبي . ولهذا فالتحوّل الدلالي للمجاز والنقل والاستعارة وحتى الكناية و التشبيه مجسّم لظاهرة المواضعة في تحرّكها ضمن نسيج الأبنية الكلامية وهو بالتالي إفراز من إفرازات تولّد المواضعة في صلب المنظومة اللغوية[3].

والحقّ إنّ الفكر اللغوي في الحضارة العربية وقف " من قضية التحوّلات الدلالية موقف المنظّر الذي حاول اشتقاق حقيقتها اللسانية، واستنباط مؤسساتها الأصولية بما يتجاوز حدّ التقنين البلاغي على نهج البيانيين "[4].

الوقوف عند هذا النوع من التحليل البلاغي الذي يهدف إلى التفسير يحتاج في حقيقة أمره إلى ملكة تتيح لصاحبها الإلمام بالأحكام الجزئية في الفنّ البياني، ويملك القدرة على إيراد

[1] - الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ج4، ص 4 .

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 129 .

[3] - عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس،ط2، 1986، ص224.

[4] - المرجع نفسه، ص 224 .

المعنى الواحد بطرق مختلفة، ولا يكون ذلك إلا بعد طول الممارسة لأصول هذا الفنّ.وإدراك التمايز بين التراكيب " لا يكون إلا بتحوّل تراجعي، ترتد فيه الصّياغة إلى منطقة المواضعة أوّلا، ثمّ مجاوزتها ثانيا، أي أنّ هناك بنية مثاليّة وهميّة تقف خلف التراكيب لقياس مدى انحرافها"[1].

فكرة الوقوف عند التحوّلات للتراكيب البلاغية عند عبد المطلب مستقاة من قصور طريقة الوصف المعتمدة في إظهار جمالية وتمايز هذه التراكيب، في ظلّ ما أثمرته الأبحاث اللسانية، واتفاقها في قُصورها، مثلما يقول أحد الباحثين: " ظلّ المنهج الوصفي قاصرا عن تفسير القدرة الخلاّقة لدى المتكلم في إنتاج عدد غير محدود من الجمل التي لم يسمعها من قبل، و كان هذا إرهاصا لميلاد المنهج التحويلي على يد تشومسكي، الذي جهد في دراسته الطاقة اللغوية الإبداعية عند البشر"[2].

ومن هنا يرى محمد عبد المطلب أنّ عمل البياني ينبغي أن يكون جوهره الكشف عن شروط إنتاج الدلالة، التي حددها البلاغيون قديما، دون أن يظهروا كيفيتها. مما يدعو إلى القول بوجود علاقة تحوّلية تجمع بين مفردات هذا العلم في فنونه، من خلال وجود بنية الأساس التي تتحوّل إلى مجموعة من البنى بينها قدر كبير من التداخل، وأنّ إنتاج بنى البيان يتكئ على ما تنشئه البنية العميقة من علاقة (الكليّة والجزئية) أو (العموم والخصوص)، أو (اللازم والملزوم) [3].

ضمن هذا المنهج يَعتبر محمد عبد المطلبالتشبيه بنية الأساس للاستعارة، وأنّها متحولة عنه ضرورة. ويعني هذا أنّ الاستعارة متحوّلة بفضل قاعدة تحويلية (الحذف) عن أصلها (التشبيه)

[1]- محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 130.

[2] - حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص 204.

[3]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 135 .

. الذي هو " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد "[1].

و النظر البلاغي في التشبيه يأخذ " طبيعة تحليلية وتركيبية على صعيد واحد، تحليلية لأنّها تعاملت معه تعاملا تفتيتيّا، تتناول كلّ جزئية، محدّدة لمواصفاتها، وتحوّلاتها الدّاخلية والخارجية، وموضحة دورها في تشكيل الصورة، وتركيبية لأنّ البلاغيين لم يتركوا البنية على حالتها التّفتيتية، وإنّما أعادوا إلى صورتها حالة إنتاج المعنى "[2].

وعرف التشبيه في البلاغة العربية عدة أقسام، سواء من حيث اعتبار طرفيه، أو وجه الشبه، وكذا نجد تشبيه التمثيل، والتشبيه المجمل والمفصل، والتشبيه القريب والبعيد، وتمّ تقسيم التشبيه حتى باعتبار الأداة، فظهرت أنواع كثيرة فيه، يصعب الإحاطة بها[3]

وتتبعا لذلك، نطرح سؤالا جوهريا مفاده: ما هي الأسباب التي تقف وراء وجود هذا الكمّ الهائل من التشبيهات، المختلفة في أقسامها وأنواعها؟.

يجيب محمد عبد المطلب عن ذلك في رؤيته بأنّ ورود الأقسام في فنّ التشبيه سببه عملية التولّد الناتجة بفعل حضور أو غياب العناصر التحليلية، التي تنحصر في طرفي التشبيه، والأداة، ووجه الشبه، والغرض من استخدام هذه البنية، حيث إنّ حضور الأقسام مفاده أيضا ما ينتاب الطرفين من تحوّلات إفراديّة أو تركيبية، أو تحولات نوعية أو كيفية[4] .

---

[1] - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ج4، ص 16 .

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 136 .

[3] - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ج4، من ص 80 إلى 129

[4] - محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص 137 .

نستنتجمن هذا القول بأنّ إنتاج التشبيه يكون وفق مجموعة من التحولات التي يحدثها المبدع على طرفي هذه البنية، سواء في جانبه العقليّ أو الحسيّ. وهذا الفهم اللساني اتّجاه التشبيه يقودنا إلى القول بأنّ أقسام التشبيه يمكن أن تتخذ توزيعا جديدا بالنظر في نظامها التحويلي. وهو ما وجدناه عند محمد عبد المطلب في محاولته لتجديد البلاغة العربية. أي أنّ النظر التحليلي للأقسام التشبيه يكون بناء على جملة التحولات التي تحدث في بنية الأصل.

أثر المنهج التحويلي في تقسيم التشبيه عند محمد عبد المطلب:

يذهب محمد عبد المطلب إلى القول بأنّكل بنية تشبيه لها بنية أساس تظلّ تحتفظ بحضورها الدائم كخلفية تقديرية يقاس إليها كل تحوّل، و أنّ مجموعة التحولات التي تصيب البنية تكاد تكون غير منتهية[1].

بما أنّ التحويل أساس بناء المعنى التشبيهي في البلاغة العربية من منظور محمد عبد المطلب فإنّ ذلك دفعه إلى اختزال أقسام التشبيه الكثيرة، وتوزيعها على محورين: الأوّل يكون فيه بناء التشبيهات على أساس طبيعية رأسية أو أفقية، والثاني على أساس طبيعة حضورية أوغيابية .

1- بناء التشبيهات على أساس طبيعية رأسية أو أفقية

هذا المعيار في التحديد لفت ياكبسون الأنظار إليه، فالعلاقات الرأسية: معيار خارجي تستدعي كلمات ليست حاضرة داخل النّص، وإنّما هي في حالة غياب، أي عن طريق تداعي

[1] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى . ص 138 .

المعاني بين الكلمة داخل النص، وبين قريبتها في الاشتقاق أو في الحقل الدلالي خارج النّص[1] .وهو معيار أظهره البحث في مجال الشعر، الذي تمّ فيه الاهتمام بما يسمى بالأدبية.

هذا النوع من العلاقات لا تظهر قيمته منفردا إلاّ مع النوع الآخر، وهو العلاقات الأفقية التي تربط بين أجزاء الكلام بعضها بالبعض الآخر في السياق الواحد، فهي تخضع لقانون التجاور، وتمتاز العلاقات الأفقية بأنّها علاقات حضورية كامنة في النّص، وقد صاغ ياكبسون نظريته في الأسلوب على أنّه إسقاط للمحور الرأسي على المحور الأفقي[2] .

وبناء على ما تتيحه العلاقات الرأسية والأفقية يقسّم محمد عبد المطلب التحوّلات التي تصيب التشبيه في هذا المحور إلى دائرتين، هما: **دائرة الحسية، ودائرة خارج الحسية.**

أ- الدائرة الحسية في التشبيه

يكون طرفا التشبيه حسيّين في الدائرة الأولى، والتي بدورها تنشطر إلى قسمين، ما يدرك حسيّا في عالمه الخارجي، و إلى ما يدرك ذهنيا.أي متابعة تحول طرفي التشبيه من الفردية إلى الكليّة؛ لأنّ المبدع ينقل المفردات من إطارها الخارجيّ إلى إطار ذهني داخليّ[3].

بـــ - دائرة خارج الحسيّة في التشبيه

يرى محمد عبد المطلب أنّ التحوّل الذي يصيب بنية التشبيه في دائرة خارج الحسيّة يكون على ثلاث مستويات: إمّا أن يكون التحوّل ذا طبيعة أفقية، أو ذاطبيعة رأسية، أو أن يكون ذا طبيعة رأسية وأفقية معا.

---

[1] - رومان ياكبسون: فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الجامعة الاسكندارية، (د.ت)، ص 214

[2] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، القاهرة، ط4، 1993، ص 140 .

[3] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى،ص 137- 140 .

1- تحوّل ذو طبيعة رأسية:

يكون هذا التحوّل في التشبيه الذي يكون فيه الطرفان عقليين أو حسيّين، أو أن يكون الطرف الأول حسيّا والثاني عقليا، أو العكس . كما يكون هذا التحوّل في البنية التي يحضر فيها الخيالـــ، الذي لا يتحقق له وجود حالة تركيبه وإن كان لمفرداته تحقق حسّيّ ويسمى التحوّل خياليا، و يحضر أيضا في البنية الوهمية التي لم تدرك مفردته بالحواس، و يكون كذلك وجدانيا الذي يمكن إدراكه بالقوّة الباطنية[1] .

التحليل البلاغي لهذه الصورة التشبيهية يتطلب إدراك تفاصيلها للوقوف على تكوينها،ولن يتحقق ذلك إلاّ بالوصول إلى المستوى العميق بحكم أنّ الصورة الأخيرة للبنية تخضع لتحوّل رأسي على بنية السطح، حيث إنّ إدراكها يحتاج إلى حركة باطنية موازية من طرف المتلقي، لأنّ نماذجها مصنوعة من قوة باطنية، مخّيلة ومفكرة، ينتظم عملها داخل العمق النّفسيّ[2].

2- تحوّل ذو طبيعة أفقية:

يعرّفه عبد المطلب بأنّه تحوّل يصيب طرفي بنية التشبيه، على مستوى التشكيل الصيّاغي، ويختص بحالتي الإفراد والتركيب[3].معنى هذا أنّ التحليل البلاغي يتخذ حركة أفقية في التعامل مع البنى التشبيهية من خلال الوقوف على أنواعها المتمثلة في تشبيه المفرد بالمفرد، والمركب بالمركب، أو أن يكون أحد الطرفين (المشبه) مفردا والأخر (المشبه به) مركبا، أو أن يقع

[1]- المرجع نفسه، ص 142 .

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 143 .

[3] - المرجع نفسه، ص 144 .

العكس. ومثال المركب بالمركب، قول بشار بن برد: **كأنَّ مَثَارَ النّقع فوقَ رؤوسنا وأسيافُنا ليل تهاوى كواكبُه**

فالمشبه هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة في خلاله والمشبه به هو الليل الذي تتهافت كواكبه، إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها، وهي تعلو وترسب وتجيء، وكذا إلى هيئة الكواكب في تداخلها[1]

ولهذا يرى محمد عبد المطلب أنّ هذه التحوّلات الأفقية في التشبيه تستمر من حالتي الإفراد والتركيب إلى التعدّد، والفرق بينهما أنّ الأول يعتمد على الوعي الكلّي بمفردات الوقع، وتجسّدها في الطرفين، أما الثاني فيعتمد على الإدراك الجزئي الذي يحافظ على خصوصية كلّ عنصر حالة تدخله في تشكيل الصورة[2] .

3- تحوّل ذو طبيعة رأسية وأفقية:

يجمع هذا التحوّل في عمله بين الطبيعة الرأسية والأفقية معا، وصوره: أن يكون التشبيه فيه على مستوى المعنى في الطرفين، على نحو التشبيه الذي يجمع بين معنى الشجاعة في الطرفين مثال قولنا (محمد كالأسد) . والمحلّل البلاغي يوجّه عمله في هذه الحالة أفقيا بغية رصد تكوين كل طرف من خلال الإفراد والتركيب، كما يوجّه رأسيا بحثا عن البعد المستهدف من تشكيل الصورة. ومن صوره هذا التحوّل تشبيه صورة بمعنى ومعنى بصورة[3].

المحور الثاني: بناء التشبيهات على أساس طبيعة حضورية أو غيابية:

[1] - أحمد مصطفى المراغيّ: علوم البلاغة، ص 217.

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 145 .

[3] - المرجع نفسه، ص 145 وما بعدها .

تتعلق ثنائية (الحضور/ الغياب) بالأطراف الأربعة المكونة للبنية التشبيهية، وحاول فيها عبد المطلب إدراج التحوّلات التي تصيب هذه البنية من خلال حضور طرف، وغياب طرف آخر، ورأى أنّ البناء التشبيهي بهذه الطريقة يمكننا من ضمّ ستة عشر تشبيها، وفق عملية التّتبّع وطرح الافتراضات الممكنة التي تحتملها الصياغة[1].

ويتعلق الحضور / الغياب بأطراف التشبيه (المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة) أيّ أنّ العملية التحويلية التي يجريها المبدع من أصل الكلام لصناعة التشبيهات تتمّ وفق هذه الثنائية بحضور ثلاثة أطراف وغياب الرابع، وهكذا وفق الاحتمالات الممكنة.

توصل عبد المطلب إلى أنّ " التحوّلات تسمح بحضور كلّ طرف سبع مرات بصفة منتظمة، وغيابه ثمانية مرات بصفة منتظمة أيضا، وهو ما يعني أنّ الغياب يأخذ الأولوية في بناء التشبيه، بل إنّ من الممكن غياب جميع الأطراف "[1].

ويبدو أنّ محمد عبد لم يتقيّد بمشكلة التفريع في بينة التشبيه التي انتقدها المحدثون، بل نجده يبحث عن أقسام جديدة لهذه البنية في تحولاتها الأفقية والرأسية، وكأنّه بهذا النهج يؤكد أنّ كثرة الفنون البلاغية ليست عيبا في البلاغة، بل ذلك من خصوصية اللغة العربية.

التحليل البلاغي للصورة التشبيهية :

يظهر لنا مما تقدّم أنّ التقسيمات الجديدة التي أتى بها محمد عبد المطلب- في تعامله مع البنى البلاغية التشبيهية- تبيّنأنّ التحليل البلاغي ينبغي أن يتجاوز المستوى السطحي، يقول فيما بيانه: " التأمل المنصف يدرك أن تحليل الصورة يحتاج - دائما — إلى تجاوز المستوى السطح، والتعامل مع الأعماق التحتية، فقد يكون للمبدع توجّه غالب للتعامل مع الواقع الخارجي،

[1] - نفسه ص 149 .

فيشكّل منه مجموعة أبنيته التشبيهيّة بالاتّكاء على المفردات التي تستوعبها رؤيته، وقد يكون توجهّه خالصًا للتّعالي على الجزئية المحدودة، والتّحليق في أطر الكلّيّات، ومن ثمّ يتجاوز مفردات الواقع في جزئيتها المتكاثرة، والتّعامل معها جماعيّا ، وهذه الجماعيّة لا تجد لها محلا إلا في الذهن "[2]، وهو ما نقف عنده في النموذج التحليلي التالي:

نموذج تحليل الصورة التشبيهية الحسية عند عبد المطلب

لتوضيح رؤية محمد عبد المطلب بخصوص الكيفية المثلى التي تمكن من تحليل الصورة الحسية، والتحولات التي تصيب بنية التشبيه فيها، ينقل عبد المطلب قول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في (مصابيح الشوارع):

والمصابيحُ في غَبَش الفَجر

تترف أضواءها الباقية

خَرَزًا

يتحدَّد مُتَّئِدًا

كدموع المهرّج

يقول عبد المطلب في تحليل هذه الصورة : " نجد أنّه اعتمد في إنتاج الشعريّة في هذا الجزء المقتبس على البناء التشبيهي الممتد الذي تبدأ فاعليته مع مجموعة التحولات الدلالية، حيث يتم نقل (بقايا الضوء) وهي ظاهرة حسية متهالكة، إلى كمّ من (الخرز) وهو محسوس آخر قابل لهذه البقايا، ثم يستمر التحوّل من (الخرز) وصولا إلى بؤرة الثقل الدّلالي في (دموع

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى نفسه، ص 152 .

[2] – المرجع نفسه، ص 139 .

المهرّج) التي تجمع المفارقة الوجوديّة في تضافر الحزن والفرح على صعيد الإدراك الشّعريّ "[1] .

الملاحظ في هذا النهج في تحليل الصورة أنّ عبد المطلب تجاوز الطريقة التقليدية المعروفة، التي يتم فيها التركيز على بيان وجه الشبه وطبيعته؛ إذحاول في التحليل السابق أن يبيّن دور المبدع في تحويل جزئيات العالم الخارجي المدرك بالحواس، إلى إطار ذهني داخلي. أيّ الكشف وتفسير البناء التحوّلي في تراكيب المبدع. وهو تحليل أساسه الوقوف على البنية العميقة لأيّ تشبيه يستعمله المبدع من أجل تحقيق الإيضاح .

الكشف عن المعنى وتحليله في الاستعارة والكناية:

نهدف من هذا العنوان إبراز طبيعة التحليل البلاغي في الاستعارة والكناية عند محمد عبد المطلب في مدونته. وإذا كان قد أقرّ أنّ البنية البلاغية تتكون من بنية الأساس والبنيةالمتحوّلة ، وأنّ العلاقة بينهما تعود إلى المشابهة وغير المشابهة فكيف يتمّ تقديم هذه العلاقة وتحليلها إلى القارئ؟.

تعتمد العلاقة في البنية البلاغية (غير المشابهة) على العلاقات العميقة التي تعود إلى السببية والمسبّبيّة ، إذ تكون البنية الأولى سببا للبنية المتحوّلة، أو مسبّبة عنها، وهي البنية التي تسمى في البلاغة القديمة بالمجاز المرسل.في حين أنّالعلاقة في التي تعتمد على المشابهة تسمىالاستعارة[1].

يعني أنّ بناء المجاز في البلاغة يكون وفق عملية تحوّلية، تكشف عن العلاقات العميقة التي يتكئ عليها المبدع في تحوّلاته من الحقيقة إلى المجاز، وأنّ إدراك الاستعارة يقتضي التحوّل من

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 140 .

منطقة الحقائق إلى المجاز ثمّ التحوّل من المجاز إلى الاستعارة؛ لأنّ اللغة المجازية هي ضرب من المخزون الكامن داخل اللغة، في حين أنّ اللغة الشعرية هي بناء واستخدام لهذه المادة الخام[2].

يقتضي تحليل الاستعارة من منظور عبد المطلب استحضار عمليتين، إحداهما تتصل بالمستوى السطحي، وهي (حذف أحد الطرفين)، والأخرى تتصل بالمستوى العميق، وهي (تحميل المذكور دلالة المحذوف)، وهو المستوى التي يصاحب عمليتي النقل والإدعاء من أجل الحصول على بناء لغويّ منحرف عن بنائه الأصلي[3].

المراد من هذه الرؤية هو التأكيد على أهمية البنية العميقة في بناء الاستعارة، ومن ثمة فإنّ التحليل البلاغي وتعيين جماليات التراكيب يقتضي أيضا الوقوف عند هذه البنية، التي لم تراع في بلاغة المتأخرين، وكان التعامل مع الاستعارة بشكل سطحي، مما فتح المجال أمام عبد المطلب لإبراز دور هذا المستوى في إنتاج دلالة الاستعارة، متأثرا بمقولات النظرية اللسانية عند تشومسكي.

يَعتبر محمد عبد المطلب البنية العميقة هي الأساس التي ينبغي أن يتركز عليه عملُ المحلّل البلاغي في التعامل مع الاستعارة، لأهميتها في تحديد البنى البلاغية المتحوّلة، ويراها أنّها الوحيدة في التفرقة بين التشبيه والاستعارة، يقول فيما بيانه: " والنظر في البنية العميقة كان وراء ملاحظة البلاغيين وجود بنية محايدة بين التّشبيه والاستعارة، وهي التي يتحقق فيها وجودُ طرفي التشبيه مع غياب الأداة"[4].

---

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 162 .

[2] – تودوروف، تزيفتيان: الأدب و الدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، سورية،ط1، 1996، ص114 .

[3] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 169 وما بعدها .

[4] – المرجع نفسه، ص 168 .

تكمن أهمية البنية العميقة في الدور الذي تقوم به في إنتاج المعنى، حيث يكون الدّور تشبيهيا أحيانا، واستعاريا أحيانا أخرى، وبها تتميّز البنية الاستعارة من التشبيه، حيث إذا كان حضور الأداة في البنية العميقة أمرًا متاحًا ومقبولا، فإنّ ذلك يسمح ببقاء البنية في مرحلة التحوّل الأدبي، أي التّشبيه [1].

وقول محمد عبد المطلب في أنّ الاستعارة متحوّلة عن التشبيه لقي رفضا من بعض النقاد، إذ تقول سناء حميد البياتي:" و قد لاحظت في موضوع الاستعارة أنّ الانطلاق في دراستها من خلال التشبيه يُزهق روحها ويُفقدها خصوصيتها وإيحاءها وأثرها الكبير، فالاستعارة تروم أبدا التحليق في أجواء الخيال، وإرجاعها إلى التشبيه يعني سحبها قصرا إلى الواقع"[2]

وترى سناء حميد البياتي أنّ سبب اعتماد القدامى في التأسيسلمبحث الاستعارة على التشبيه إلاّ؛" لتعلّقهم بالفكر الفلسفي المنطقي الذي يروم إيجاد (أصل) للأشياء فانسحب ذلك التفكير على دراسة اللغة، فكان لترتيب الجملة في النحو (أصل) وللاستعارة في البلاغة (أصل)، وأصلها التشبيه"[3]، وفكرة الأصل هي جوهر نظرية تشومسكي في التأسيس للنظرية التحويلية، ولأجل ذلك كانت محاولة محمد عبد المطلب البحث عن تبرير علمي للمصطلحات التي استعملها البلاغيون، مثل مصطلحات « النقل» و «الادّعاء »التي ذكرها القدامى بشأن الاستعارة.

---

[1] - نفسه ص 169.

[2] - سناء حميد البياتي: نحو منهج جديد في البلاغة والنقد(دراسة وتطبيق)، ص 45 .

[3] - المرجع نفسه، ص 45 .

ومن ثمّ يذهب محمد عبد المطلب إلى القول بأنّه لما كان بناء الاستعارة يتكئ على عمليتي النّقل والادّعاء فإنّ الفاعلية تكون خالصة للمستوى العميق، ولا تتصل بالمستوى السطحي[1]. بخلاف ما كان إليه البلاغيون في تحليلاتهم للتركيب الاستعاري.

والتفسير للظواهر اللغوية هو جوهر المحلل البلاغيّ، ولهذا أعاب حمّادي الصمّود على جمهور البلاغيين الذين اكتفوا بتفسير طبيعة العلاقة المؤسسة للمجاز بالنقل أي التغيير الطارئ على معنى الكلمة، و لم " يفسّروا الأحكام اللسانيّة المترتبة عن هذا الموقف، رأيناهم يحرصون على تأكيد الشبه المعنوي بين المنقول منه والمنقول إليه "[2].

وتحقيق الكفاية التفسيرية في التحليل الاستعاري يتوقف تقسيمها عند محمد عبد المطلب على طبيعة البنية العميقة المتحولة بفضل قواعد تحويلية إلى بنية سطحية، وفق ثنائية (الحضور/ الغياب) لطرفيها في العملية التواصلية التي يجريها المبدع/ المتكلم المثالي .

يرى فايز القرعان أنّ رصد تحولات الاستعارة مهمّ؛ لأنّه " يكتسب أهمية خاصة في ملاحظة الأسلوب الذي يتشكل لا على المستوى الإفرادي الجزئي في النص فحسب، وإنّما على مستوى النص ومستوى التجربة الإبداعية بشكل عام، وذلك أنّ مثل هذه التحولات ترصد في البنية نوعية الخط الأسلوبي في إحلال دال محل دال آخر، فتكشف عن هذا توجهات المبدع في تجربته الإبداعية كاملة مما يعطي فكرة واضحة عن كيفية تعامله مع الدالات الاستعارية "[3].

---

[1] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 171.

[2] – حمّادي صمّود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 368 .

[3] – فايز عارف القرعان: الليل في شعر السياب، دراسة في البنية الأسلوبية للاستعارة، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 35، العدد1، 2008، ص 87.

وإذا كانت الاستعارة قد وردت في التراث البلاغي وفق أقسام ومسميات مختلفة فإنّنا نحاول أن نبحث عن الفارق بين هذه الأنواع من حيث تحولاتها من البنية العميقة إلى البنية السطحية.

و حركة المعنى في البنية العميقة للاستعارة التصريحية من منظور محمد عبد المطلب تكون متفجّرة من المشبه به، الذي يستدعي حضور المشبه في التركيب، ليمارس فاعليته في إنتاج المعنى، وفي الوقت نفسه يغيب المشبه به ليمارس فاعليته على مستوى الغياب ومستوى الحضور التقديري[1].

مثال: (الفارس يزأر)

يعلق عبد المطلب على المثال قائلا: " يحضر (الفارس) مجرّدا من أيّ خصوصية، فإذا حضر الطّرف الثاني عن طريق لازمه (الزئير)، فإنّه يمارس فاعليّته في ذاته أوّلا، بتخليصها من مجموعة التكوينات والمواصفات غير المطلوبة، ثم يستصفي صفة بعينها هي (الشّجاعة)، ثمّ تمتدّ الفعاليّة إلى الطّرف الأوّل لاستخلاص الصّفة الموافقة "[2].

.أمّا الاستعارة المكنية فهي التي يكون فيها المعنى متفجّرا من المشبه، وتصبح فاعلية الطرف الثاني على مستوى الحضور، في حين يمارس الطرف الأوّل (المشبه) على مستويين الحضور والغياب، لكن يلاحظ استمرارية تأثير الطرف الثاني في استخلاص الصفة الجامعة[3].

---

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 172

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 173 .

[3]- المرجع نفسه، ص 174 .

البنية العميقة هي التي تسمح بتحديد الاستعارة الوفاقية أو العنادية من خلال النظر في تحوّلات الطرفين على مستوى هذه البنية، وإذا كانت درجة التنافر بين الطرفين منعدمة فهي استعارة وفاقية. أمّا إذا كانت موجودة فهي عنادية [1].

لا شكّ أنّ التحليل الذي يقدّمه محمد عبد المطلب في قراءتهللتركيب الاستعاري يرتكز على عملية تفسير بناء الكلام في هذا النمط التعبيري بضربيه، وهو تحليل يختلف عن ما عهدناه في كتب الدارسين، الذين اشتغلوا على وصف المظهر السطحي للتراكيب البلاغية.

وعليه، نستخلص أنّ النظر في الخلفية الميثالية للبنية البلاغية لتحوّلات الطرفين هو الذي يحدّد طبيعة الاستعارة باعتبار الطرفين. أيّ ضرورة تحويل لغة التركيب إلى وضعه الأصلي.والمستوى العميق للاستعارة هو الذي يساعد المحلّل البلاغي في تحديد هل الاستعارة أصلية أم تبعية؟. وعبد المطلب يؤكد أهمية البنية العميقة في معرفة ذلك بحكم أنّ إجراء الاستعارة في أسماء الأجناس (الاستعارة الأصلية)، أو في الأفعال والحروف (الاستعارة التّبعية) يتمّ في هذا المستوى العميق.

هذا الكلام في حقيقة أمره يهدف إلى تجاوز المستوى السطحي في التعامل مع الاستعارة، باعتبارها بنية معقّدة، تقتضي تحرّكا تحليليّا وتركيّبيا على صعيد واحد، من خلال النظر في بنتيها العميقة التي كانت الخلفية الأساسية في أقسامها المتعدّدة.

أمّا الكناية فمفهومها عند محمد عبد المطلبيكون باعتبارها بنية ثنائية الإنتاج، والتعامل معها يكون بالنظر إلى المستوى العميق لحركة الذهن، التي تمتلك قدرة الربط بين اللّوازم والملزومات[1].

[1] – نفسه، ص 175 .

طبيعة التحويلات التي تنقل الصياغة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية هي التي تحدّد نوع الإنتاج الكنائي، ففي الكناية عن صفة تكون عملية التحوّل الداخلي وفق طرقين، مباشر وغير مباشر، حيث تكون الكناية الأولى بسيطة لافتقادها لوسائط التحويل، والثانية مركبة لتعدّد الوسائط[2]. مثل قولهم: فلان طويل النجاد(كناية عن طول القامة). في حين أنّ الثانية فإنّها تحتاج إلى مجموعة من التحوّلات للوصول إلى الناتج المقصود. ومَثّل محمدعبد المطلب لذلك بقول الشاعر:

وَمَا يَكُ مِن عَيبٍ فَإِنِي جَبَانُ الكَلبِ مَهزولُ الفَصِيلِ

تحليل الكناية في هذا المثال يكون بإدراك مراحل إنتاجها، والتي يضعها محمد عبد المطلب في الشكل التالي[3]: المرحلة الأولى: جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من الدّار، مع أنّ الهرير في وجه الغريب أمرٌ طبيعي.

المرحلة الثّانية: استمرار تأديبه ليتعوّد كثرة القادمين.

المرحلة الثّالثة: استمرار موجب النّباح الكلب باتّصال مشاهدة الوجوه.

المرحلة الرّابعة: كون الموصوف مقصد الداني والقاصي.

المرحلة الأخيرة: اشتهاره بحسن قرى الأضياف.

---

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 187.

[2]- المرجع نفسه، ص 188 .

[3]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى ، ص 190 .

الوقوف عند عدد هذه التحويلات مهمّ في نظر عبد المطلب، بحكم أنّه يمكن المحلّل البلاغي من معرفة المعنى الكنائي، فكثرة الوسائط تدلّ على أنّ الكناية عبارة عن تلويح، وإذا كانت على مرحلتين فهي تعريض، وانعدامها تشير إلى أنّ الكناية عبارة عن رمز[1].

فسّر حمّادي الصمّود نصوص السكاكي في البيان على أنّ تحليله للتراكيب البلاغية يعتمد على مبدأ " التحوّلات"، الذي سماه صاحب مفتاح العلوم " الدرجات"، وصف من خلاله الأطوار التي يمرّ بها المعنى من وقت تولّده في ذهن صاحبه إلى أن يعطيه شكلاً فنيّا ملائمًا[2].

غير أنّ الالتباس الذي يقع فيه المحلّل البلاغي للتراكيب هو الكيفية التي يقف فيها على التحوّلات التي تصاحب تشكيل البنية، مادام أنّها عمليات تقع في فكر الكاتب قبل توقفه إلى الشكل اللغوي النهائي.

يجيب صمّادي عن هذا السؤال بالقول: " فلا مجال لدرسها إلاّ التأويل انطلاقا من استعراض أشكال التعبير الممكنة الفاصلة بين المستوى اللغويّ العادي الخالي من كلّ قصد إلى الفنّ والمستوى الإنشائي الخالص أي بين الإحساس الغامض بالنّصّ وإنجازه الفعلي "[3].

2 – التحليل البلاغي وفنون علم المعاني :

يرتكز التحليل البلاغي في علم المعاني من وجهة نظر محمد عبد المطلب إلى المتابعة الاستقرائية لمختلف الظواهر التركيبية، بغية الوقوف على مجموعة التحولات التي تنتاب التركيب لتنقُله من حالة إلى أخرى[1].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 193 .

[2] – حمّادي صمّود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 376 .

[3] – محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى ، ص 376 .

هذه التحوّلات التي يتحدث عنها محمد عبد المطلب هي التي تشكل ما يسمى بالانزياحات التركيبية، التي يحدثها المبدع عندما يقوم بخرق القوانين المعيارية للتراكيب النحوية، إذ يحقّق سمات شعرية جديدة تعجز عنها اللغة في حال تمسكها بالمعايير اللغوية الصارمة. والمبدع الحقّ هو من يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جماليا بما بتجاوز إطار المألوفات، وبما يجعل التنبؤ الذي يسلكه أمرا غير ممكن، فيكون المتلقي في انتظار دائم لتشكيل جديد[2].

غاية المحلّل البلاغي في علم المعاني في نظر محمد عبد المطلب أن تقود تحليلاته إلى البنية النواة، التي تفجّرت منها مجموعة التحوّلات، وهي البنية التي تعتبر بنية (محايدة)، تتحوّل منها الأشكال المختلفة بالانتقال من الأصل إلى العدول[3].

ونفهم من ذلك أنّ مهمة التحليل البلاغي في متابعة الفنون التي تندرج فيما يسمى في البلاغة العربية بعلم المعاني تصل إلى التعامل مع البنية النواة التي تقف خلف الانزياحات التركيبية التي يحدثها المبدع في تواصله مع المتلقيّ .و لهذا فإنّ كلام محمد عبد المطلب فيه نوع من الجدّة التي تحاول أنّ تجمع بين بلاغة اللغة وبلاغة الكلام في التحليل البلاغي، بحكم أنّ فاعلية علم المعاني لا تتّصل باللّغة إلا بوصفها خلفيّة ميثاليّة تمثّل الأصل. إنّما تتسلط فاعليّته على (الكلام) بوصفه الإجراء التّنفيذيّ للغة[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 148.

[2] - أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 120 .

[3]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 201 .

[4]- المرجع نفسه، ص 201.

علم المعاني حصره البلاغيون في ثمانية أبواب المتداولة اليوم: وهي: أحوال الإسناد الخبري. – أحوال المسند إليه. – أحوال المسند. – متعلقات الفعل- القصر. – الإنشاء.- الفصل والوصل- الإيجاز والإطناب والمساواة .

الملاحظ أنّ هذه التراكيب البلاغية المذكورة في علم المعاني يراها محمد عبد المطلب أنّها تتمّ على أساس أنّ (الأصل) يمثّل عملية مخاض دائمة تتيح للمبدع قدرا غير محدود من استيلادها أشكالا تعبيرية متمايزة على مستوى السطح أو المستوى العمق[1]. والتحليل البلاغي لهذه التراكيب يكون من خلال اعتبارها " تنويعا على بنية الأساس (الإسناد) التي يتولّد عنها مجموعة من الظواهر التّعبيرية التي تنتمي إليها برغم ما يصيبها من تغيّر بالنقص أو الزّيادة ، ومن تغيّر بالتّخصيص أو التّعميم، ومن تغيّر بتحرّك الدّوال من أماكنها الأصلية إلى أماكن طارئة، إلى آخر هذه التنويعات التي تمثّل في الحقيقة تحوّلا شكليا مصاحبا لتحول عميق "[2].

يعني أنّنا نفهم المباحث البلاغية التي درسها البلاغيون في علم المعاني مثل الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير والوصف والتوكيد والبدل على أنّها تحوّلات تصيب المسند إليه، ومن ثم يكون الإسناد هو الأساس في التحليل البلاغي لفنون هذا العلم.

و الكشف عن هذه التحولات هو من مناط المحلّل البلاغي، بحكم أنّ " مجموع التحوّلات قد تأخذ طابعا خارجيّا وداخليا معا كالتعريف والتنكير، وقد تأخذ طابعا انتشاريا كالوصف والتّوكيد والبدل، وقد تأخذ طابعا حركيّا كالتّقديم والتأخير، لكنّ التحوّلات قائمة على ثنائيّة (الحضور والغياب) بما فيها من تحوّل بين الأصل والعدول "[3].

---

[1]- نفسه، ص 201

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 215 .

[3]- المرجع نفسه، ص 228 .

منهج عبد المطلب في دراسة علم المعاني يتّضح من خلال الاعتماد على التحليل التفسيري، الذي يذهب إلى الكشف عن مجموع التحوّلات الرأسية والأفقيّة التي تتسلّط على الدال داخل السياق، فتحرّره من ارتباطه الوضعيّ أحيانا، وتردّه إلى هذا الارتباط أحيانا أخرى، للوقوف على التغيّر الحاصل في الناتج الدّلالي. أي " استحضار طرفي الاتّصال (المتكلم، المتلقيّ)، وإضفاء طابع إيجابيّ على علاقتهما بالخطاب، وقد تكون الايجابية مع أحدهما و إهمال الطرف الآخر، وقد يتمّ إهمال الطرفين معا، تبعا للاحتياج الذي يفرضه السياق الخارجيّ، وعلى هذا يمكن اعتبار التحوّلات ممثّلة للسياق الداخلي "[1] .

فمثلا التحليل البلاغي للقصر يكون عند محمد عبد المطلب بالنظر في مجموع التحوّلات التي تكون في المستوى السطحي والمستوى العميق. ويعني هذا الكلام أنّ التحليل البلاغي لقولهم: ما محمّد إلا كاتب، يكون بالنظر في المستوى العميق لبينة القصر، لأنها هي التي تفسّر البنية السطحية التي استوى عليها التركيب البلاغي في نهايته، ويكون ذلك من خلال متابعة التحوّلات التالية لهذا التركيب[2]:

(محمد له مواصفات كثيرة منها أنّه كاتب)

(محمد له مواصفات كثيرة أهمّها أنّه كاتب)

(محمد غابت مجموعة صفاته وبقيت الكتابة)

(ما محمد إلا كاتب)

---

[1]- نفسه، ص 250 .

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 251.

التحليل البلاغي لبنية الطلب يقوم على اعتبار أنّها تعتمد التوليد أساسا لإنشاء بنى فرعية، وهي : التمني والاستفهام، والأمر، والنهيّ، والنّداء[1] .

ومن ثمّ فإنّ الكشف عن جماليات بنية الطلب يقف على إدراك مستواها الذهني العميق، لأنّه هو الذي يتصوّر الحقائق أو الظواهر الخارجية، ويقوم هذا المستوى العميق على التصديق الذي يقوم على إدراك النسب الحاصلة بين الوقائع الخارجية، ثمّ يأتي المستوى السطحي متولدا عن المستوى العميق وفيه يكون التعبير عن الإدراك. [2]

وعليه، فإنّنا نفهم التمني في تحليلاتنا البلاغية على أنّه بنية مولّدة، أي وجود أصل لمعنى التمني. إذ إنّ قول القائل::" ليت محمّدا مجتهد "، نتجت هذه الصياغة الأدبية بفضل تحوّلات نلخصها في الشكل التالي:

(أ) ليس محمد مجتهدا، (ب) أتمنى محمدا مجتهدا ، (ج) ليت محمدا مجتهد . وهذا يعني أنّ المستوى العميق هو السابق في إنتاج البنى الفرعية لبنية الطلب.

التعامل مع المستوى العميق للصياغة الأدبية هو الذي يمكن المحلّل البلاغي من رصد العلاقات الدلالية من وراء الفصل والفصل في الكلام العربي، بحكم أنّ الاختلاف الحاصل مثلا في استعمال أدوات العطف مرده إلى البنية العميقة[3].

ومجمل القول أنّ التحليل البلاغي في علم المعاني يرتكز على الكشف عن الخلفية المثالية (البنية النواة) التي تقف وراء البنى البلاغية التي ينتجها المبدع من خلال الانزياح أو العدول عن القواعد النحوية المعروفة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 252 .

[2] - نفسه، ص 279 .

[3]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 304 وما بعدها .

3 – التحليل البلاغي وبيان الدلالة الوظيفية للفنون البديعية:

اهتمّ محمد عبد المطلب في تصوره لتجديد البلاغة من منطلق علم البديع بالبحث عن الأبعاد الوظيفية لهذا العلم، الذي أسند له القدامى وظيفية التحسين وهو ما يجعله أقلّ قيمة من علمي المعاني والبيان.

نظرت البلاغة السكاكية إلى البديع نظرة تدنو قيمة من علمي المعاني والبيان. وأساليب البديع عند السكاكي (626هـ) وجوه: " يصار إليها، لقصد تحسين الكلام"[1]، أي تزيينه وتجميله. وكرّر بدر الدين ابن مالك (686هـ) هذا التوصيف بقوله: إنّ البديع " وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام"[2].

لم يخرج البديع بعد ذلك عن هذا التوصيف عند القزويني (ت739هـ) في تعريفه: " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام"[3]، أي أنّه أيضا مقصور على التحلية والتحسين.

المقصود بالوظيفة التحسينية التزيين، التي يقتضيها الحال لسبب خارجي، فقد ذكر ابن يعقوب المغربي (ت1110 هـ) التزيين وفهمه على أن يحمل الفن البلاغي شيئا من الطرافة، والابتداع فيصغى إليه لطرافته، بمعنى أنّ له فائدة مزيدة على معناه، فيكون عندئذ من البديع[4].

---

[1] – السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ص 233.

[2] – بدر الدين بن مالك: المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، مصر، ص 120.

[3] – الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي،الشركة العالمية للكتاب، 1989، ج2، ص535 .

[4] – ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (ضمن كتاب شروح التلخيص)، دار السرور، بيروت،ج3، ص145.

التحسين عند هؤلاء البلاغيين شيء خارجي مضاف، وليس له صفة الديمومة، والانبثاق من المادة نفسها، ولهذا عدوه تحسينا، بمعنى أنّه عرض زائل، لا تتعدى وظيفته تحلية السياق.جعل مصطلح التحسين الكثيرين يظنون أنّ هذا العلم ليس ضروريا لإنشاء الكلام، وليس أساسيا من وجهة نظر منطقية، بل إنّ هذا المصطلح جعل المحدثين لا يهتمون به، ويرونه نوعا من التكلف والصنعة التي لا تتفق وطبيعة الإبداع[1].

يرى محمد عبد المطلب " أنّ رجال البلاغة أهمّهم تحسّس بناء الجملة بوصفه الوحدة الصّغرى للخطاب اللّغويّ، واعتمدوا في ذلك على توصيف عناصر هذه الجملة توصيفا يبدأ من الحرف المعزول عن الدّلالة، ووصولا إلى التركيب بكل مكوناته الإفرادية، وبكل علاقاته النّحوية "[2].وهم بذلك تناسوا الوظيفية الجوهرية التي جاءت من أجلها في كلام المبدعين.

مفهوم البديع عند محمد عبد المطلب هو مجموع التّنويعات اللغويّة التي تتأتّى على مستوى السطح، منتجة دلالة خاصة، وهو مجموعة من المؤثرات الجديرة بالاهتمام، تتّصل بالمبدع أحيانا، وبالمتلقّي أحيانا أخرى، وتنحصر في النّصّ ذاته أحيانا ثالثة، وهذه المؤثرات لا تتحرّك في إطار واحد، بل إنّها تتبدّل وتتغيّر، وتتصادم لتخرج عن إطار المحفوظ اللّغوي لتشكّل في النهاية تنوّعا فرديّا، أو جماعيّا أسماه البلاغيون البديع[3].

يقوم التحليل البلاغي للفنون البديعية عند محمد عبد المطلب إلى ضرورة تحقيق التلازم بين المستوى السطحي والمستوى العميق في دراسة البنى البديعية، إذ يقول: " فلا معنى للتّوقف

---

[1] - حسنى عبد الجليل يوسف: علم البديع بين الاتباع والابتداع دراسة نظرية تطبيقية في شعر الخنساء، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2007، ص 17.

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 349 .

[3] - المرجع نفسه، ص 351 .

بالرّصد والتحليل عند المستوى السّطحي فحسب دون ربطه بالمستوى العميق "[1]. ومن ثمّ يكون الأساس في دراسة البديع بدراسة النظام الدّاخلي لهذه البنى، وما يكون بينها من توافق أو تخالف.حيث إنّ التدقيق والتّأمل يوضح أنّ مجموعة الأشكال البديعيّة ترتبط بعلاقة عميقة تكاد تسيطر عليها وتوجّه عملية إنتاجها للمعنى، وهذه العلاقة في نظره تتمثل في البعد التّكراري الّذي تجلّى على مستوى السطح الصيّاغي، وعلى مستوى العمق الدّلالي، وأنّ التكرار هو ممثّل البنية العميقة[2].أي هو المدخل الصحيح في التعامل مع علم البديع .

تتبع دراسة البعد التكراري في علم البديع يسمح إمّا بإنتاج الدلالة، وإما إنتاج صوتي إيقاعي، أو بالاثنين معا، لتأخذ الفاعلية التكرارية في التوافق أو التخالف وجهتها الإنتاجية إمّا في جهة المعنى الذي يمثله الطباق، أو المقابلة، أو المشاكلة، أو المذهب الكلامي، وغيرها من الأقسام التي أطلق عليها بالمحسنات المعنوية، وإما من جهة اللفظ، من الجناس، أو السجع، أو رد العجز على الصدر أو غيرها من الأقسام التي أطلق عليها بالمحسنات اللفظية.

أهمية التعامل مع البنية العميقة في دراسة الفنون البديعية:

بما أنّ مشروع تجديد البلاغة عند المطلب ينبني على دراسة التركيب البلاغي وفق المستوى السطحي والمستوى العميق فإنّه لم يتخلّ عن البنية العميقة في دراسة الفنون البديعية، إذ يراها ذات أهمية . ودليله أنّ التركيب ينتج الطبيعة التقابلية حتى لو لم يتحقق فيها حقيقة التضاد، كما هو الحال بين (الظلم والمغفرة)، في قول الشاعر:

يَجزَونَمِن ظُلمِ أَهلِ الظَلمِ مَغفِرَةً وَمِن إِسَاءَةِ السُوءِ إِحسَانًا

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص351 .

[2]- المرجع نفسه، ص 352 .

يؤكد عبد المطلب أنّ التعامل مع بنية العمق أتاح للسيّاق أن ينتج التقابل بين الطرفين (الظلم والمغفرة)، إذ تتركز التحوّلاتعلى الطرف الثاني (العدل) لإعطائه معنى المغفرة فتحقّق المقابلة بين الظلم – المغفرة[1]. وتكمن أهمية التحرك العميق في رصد البلاغيين لكثير من ألوان التّقابل الّتي يتحقّق فيها التّضادّ ولو على سبيل التّوهم. ويزيد عبد المطلب في إظهار أهمية المستوى العميق من خلال الشواهد التي ساقها، ومنها قول دعبل:

لاَ تَعجَبي يَا سَلمُ مِن رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بَرَأسِه فَبَكى

يرىأنّ الارتداد إلى البنية المثالية (العميقة) هو الذي حقّق نوعا من التّضادّ بين (الضّحك و البُكاء)، لأنّ ضحك المشيب (أي ظهوره) لا يقابل البكاء. كما أنّه كان أساس إضافة شكل تعبيري إلى بنية التقابل هو (التّدبيج) [2]. والتعامل العميق هو الذي يمكن إنتاج الدلالة في البنى البديعية، بحكم أنّ بنية السطح تقدم ناتجا أوليا للتراكيب البلاغية، في حين أنّ الارتداد إلى العمق هو الذي يسمح بإنتاج المعنى. ويشرح عبد المطلب هذه النقطة في دراسته لبنية الترديد من خلال قول زهير:

مَن يَلقَ يَومًا عَلَى عِلاَتِه هَرِمًا يَلقَ السَّمَاحَةَ مِنهُ والنَّدَى خُلُقًا

يعلق عليه بالقول: " بنية السطح تقدّم ناتجا أوّليّا هو:من يلق هرما، يلق السّماحة والنّدى. وهذا الناتج السطحي يرتدّ في العمق إلى: هرم هو السماحة والنّدى، أي أنّ المخالفة السّطحيّة ارتدّت إلى موافقة عميقة "[3]، إذ إنّ الفاعلية الإنتاجية في بنية الترديد رهينة بنية العمق

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 358 وما بعدها .

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 359 .

[3]- المرجع نفسه، ص 395.

يذهب محمد عبد المطلب إلى التأكيد على الوعي بالوظيفة العميقة للفنون البديعية، مثلما تلمس ذلك في تعليق ابن رشيق على بنية " رد الأعجاز على الصدور"، ولاحظ عبد المطلب أنّ هذه البنية تؤدي على مستوى السّطح مهمّة صوتيّة نتيجة لتردّد الدّالّ بعينه، وعلى مستوى العمق، فإنّ الدّلالة تتلاحم شديدا بزيادة المائيّة فيها، وبتنمية المعنى ليدخل (ديباجة) جديدة[1].

شعرية الجناس تتكاثر منبهاتها في الخطاب الأدبي من منظور عبد المطلب عندما يكون هناك تدقيق في حركة الذهن، أي أنّ التعامل يتجاوز المستوى السطحي إلى ما يسمى بالبنية العميقة، يستحضر فيها المتلقي حاسة التوقّع من أجل إنتاج الدلالة التّجانسية. في حين أنّ التعامل مع المستوى السطحي في البنية التجانسية لا يتجاوز الاهتمام فيه إيقاع الأحرف عند تجاورها[2].

تبرز أكثر البنية العميقة في التعامل مع البنى البديعية على وجه الخصوص في بينة الأسلوب الحكيم، حيث تعمل على تغيير الناتج الدلالي، ولشرح ذلك توقف محمد عبد المطلب عند تلك المحاورة المجاوزة التي ذكرها السكاكي في مفتاحه، والتي كانت بين الحجّاج وأحد الخوارج، حيث قال له الحجّاج مهدّدا: لأحملنّك على الأدهم. فردّ عليه مخرجا الكلام على غير ظاهره: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب. حيث ورغم التماثل الحاصل في بنية السطح بين (أدهم. أدهم) إلا أنّ بنية العمق من منظور عبد المطلب خالفت بين المدلولين، ونقلت البنية العميقة المجادلة من (الوعيد) إلى (الوعد) [3].

الملاحظ في منهج عبد المطلب وهو يقدّم قراءته لعلم البديع أنّه يتعامل مع البنية العميقة في دراسة الفنون البلاغية، وواصل على ذلك في البديع، إذ يذهب إلى أنّ هذه البنية هي التي

[1] - نفسه، ص 369.

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص373 .

[3] - المرجع نفسه، ص 377 .

تنقل طرفي بنية " مراعاة النظير" إلى أنّ يكون شكلها ذات طبيعة محايدة بين التناسب والتّقابل. ويفسر ذلك من خلال قراءته لقوله تعالى: ﴿ بِحُسْبَانٍوَالْفَمَرُأَلشَّمْسُ﴾[1] إذ يقول: " على أساس أنّ الدّالين: (الشّمس- القمر) يجمع بينهما واد واحد، هو: واد الأبراج السماوية، يلاحظ أنّ البنية العميقة تنقل الدّالين إلى منطقة التّقابل، لأنّ الشمس تستدعي زمنها (النّهار)، والقمر يستدعي زمنه (اللّيل)، مما يعطي الشّكل طبيعة محايدة بين التناسب والتّقابل "[2].

وعليه، فنجاح المتلقي في التعامل مع البنية البديعية المسماة مثلا " تأكيد المدح بما يشبه الذمّ" مرهون بالنظر في الإنتاجية الداخلية لهذه البنية. ولن يتأتى ذلك إلا بتجاوز صياغتها السطحية والوصول إلى بنيتها العميقة، التي يتحقق فيها التراكم المدحي.ويشرح عبد المطلب رؤيته في الموضوع من خلال التعليق على قول النابغة الذّبياني:

وَلاَ عَيبَ فِيهِم غَيرَ أَنَّ سُيُوفَهُم بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتَائِبِ

يعلّق محمد عبد المطلب وهو يحاول إبراز قيمة البنية العميقة قائلا: " وبالنّظر في إنتاجيّة البنية داخليا نلاحظ أنّها تدخل منطقة (الدّليل) العقلي، إذ إنّ المبدع استدلّ على (عدم العيب) بأنّ (ثبوت العيب) مرتبط بكون فلول السّيوف عيبا، وهو محال. كما أنّها تدخل منطقة (الإيهام)، لأنّ الأصل في الاستثناء (الاتّصال)، فإنّ جاءت الصّياغة بأداة الاستثناء تهيّأت لإخراج م بعدها مما قبلها، فإذا بما بعدها ينتمي لما قبلها، وهنا يتحقق نوع من التّراكم) المدحي، ببتابع صفات المدح في العمق، وإن أوهم السطح بالمخالفة "[3].

---

[1] - الرحمن: 03

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 382 .

[3] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 390 .

يكمن فضل التعامل مع البنية العميقة في علم البديع في أنّهاتسمح بإيجاد نوع من التّوافق والانسجام بين طرفي الالتفات رغم أنّه يعتمد المخالفة السّطحية في الانتقال. و النّظر في البنية العميقة هو الذي يعيد صياغة الالتفات إلى نظامها المثالي، وتوضح سبب المخالفة السطحية، وتحدد معالمها، دون أن يعوقَ التّوحُّدُ العميق إنتاج البلاغية في المستوى السطحي[1].

وبناء على أهمية " البنية العميقة" ، قسّم عبد المطلب البنى البديعية وفق ثنائية (التوافق/ التخالف) إلى أربعة أقسام، وهي[2]:

القسم الأوّل: تخالف بين الدّالين في المستوى السطحي والمستوى العميق.

القسم الثاني: توافق بين الدّالين في المستوى السطحي والمستوى العميق.

القسم الثالث: توافق بين الدّالّين في المستوى السّطحي وتخالف في المستوى العميق.

القسم الرابع: تخالف بين الدّالين في المستوى السّطحيّ وتوافق في المستوى العميق.

بناء على هذه الاحتمالات الأربع، راح محمد عبد المطلب يبحث عن الكيفية التي يتم بها إنتاج البنى البديعية، ووجد أنّ التخالف أو التوافق بين الدالين سواء على مستوى السطح أو العمق ينتج أشكالا بديعية. ووصل عبد المطلب عن طريق الدراسة التي قام بها إلى أنّه[3]:

عندما يكون تخالف بين الدّالين في المستوى السطحي والمستوى العميق، ينتج ذلك أشكالا بديعية هي: **الطباق، والمقابلة، و الرّجوع.**

---

[1] - المرجع نفسه، ص 394 .

[2] - نفسه، ص 353 .

[3] - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 353 – 356 .

وعندما يكون توافق بين الطرفين في المستوى السطحي والمستوى العميق، ينتج ذلك أشكالا بديعية، هي: **تشابه الأطراف، والتّرديد، وردّ الأعجاز على الصّدور، والمجاورة.**

أمّا عندما يكون التوافق حاضرا في المستوى السطحي والتّخالف في المستوى العميق فإنّ التكرارية تنتج البنى البديعية التالية، وهي: **الجناس، والمشاكلة، وأسلوب الحكيم، والعكس والتّبديل، والتّعديد، وتنسيق الصفات.**

في حين تتيح التكرارية إنتاج عدد كثير من البنى البديعية، عندما يكون التخالف في المستوى السطحي، والتخالف في المستوى العميق، واكتفى محمد عبد المطلب بدراسة **بنية مراعاة النظير، والإرصاد، التّذييل، تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ، وتأكيد الذّمّ بما يشبه المدح، الالتفات.**

معنى هذا أنّ التكرار في إنتاج البنى البديعية يتحقق بالنّظر إلى عمليّة (الحضور والغياب)، فالطّرفان الحاضران على مستوى السّطح متقابلان، لكنهما يستدعيان طرفين غائبين لإكمال الدّائرة التّكراريّة.

لعل هذا التقسيم الذي اقترحه محمد عبد المطلب في معالجة مسائل «علم البديع» فتح الباب أمام الباحثين في تقديم تصوّرات أخرى من شأنها أن تمسك بمشكلة الكثرة وتضعها في إطار محدّد، يجمع خصوصيتها، و يكشف وظيفتها الدلالية. ومن هؤلاء الباحثين، جميل عبد المجيد، الذي قسّم فنون البديع بناء على معطيات علم النص، وقصد في ذلك توزيعها عبر السبك المعجمي إلى شكلين[1]،**الشكل الأول:** يبدأ من البلاغة العربية إلى اللسانيات النصيّة، فيبدأ بذكر النوع البديعي، وينتهي إلى وسيلة السبك المعادلة له، وعلّة اختيار هذا الشكل.

[1] - جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2006، ص 300-305.

الشكل الثاني: يبدأ من اللسانيات النصية إلى البلاغة العربية، فيذكر وسيلة السبك والمعجمي وما يندرج تحتها من أنواع البديع وذلك لتجميع ما تفرق في الشكل الأول، ومثلا وضع الترديد، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف و.. في الشكل الأول، في حين ضمّ الشكل الثاني ألوانا بديعية مثل التكرار اللفظي والتعطف. وإذا كان هذا التقسيم يخصّ البديع من منطلق وسائل السبك المعجمي فإنّ فنونا أخرى ضمّها فيما أطلق عليه بالسبك النحوي [1].

وحاول خالد كاظم حميدي الاستفادة من محاولتي محمد عبد المطلب و جميل عبد المجيد، وقدّم هو الآخر تصوّرا جديدا في تقسيم فنون البديع، بناء على النظرية اللسانية، وجعلها في ثلاث مباحث، وهي البديع التكراري، و البديع التقابلي، والبديع التداولي[2].

لا شك أنّ مثل هذه المحاولات هدفت إلى معالجة كثرة الفنون البديعية، التي يصعب الإحاطة بها، الأمر الذي دفع إلى ضرورة البحث عن القواسم المشتركة بين الفنون البديعة وتوزيعها إلى مجموعات انطلاقا من الوظيفة الدلالية، بدلا من التقسيم المشهور الذي ورثناه عن البلاغة القديمة، والذي كان انطلاقا من الوظيفة التحسينية التي أسندها البلاغيون لهذا العلم، فكان البديع عندهم محسنات لفظية، وأخرى معنوية.

خلاصة الفصل:

يبدو من خلال ما تقدّم في الفصل الثالث والرابع من هذا البحث أنّ منهج محمد عبد المطلب في قراءة المدونة البلاغية القديمة متأثر بالدراسات اللسانية، وقد ألقى الأنموذج الغربي ظلاله على تحليلاته ومقولاته البلاغية.

---

[1] - المرجع نفسه،ص308 .

[2] - خالد كاظم حميدي: علم البديع (رؤية معاصرة وتقسيم مقترح)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2015، ص 50-52.

ويخيّل إلينا أنّ تبني النظرية التوليدية التحويلية في تحليل التراكيب البلاغية من لدن صاحب هذا التصوّر التجديدي هو في حقيقة أمره محاولة لكي تكون البلاغة العربية نظرية للفهم، على شاكلة مفهوم البلاغة عند الغربيين، التي لم تعد تتعاطى على أنّها درس تعليمي، وإنّما هي على حدّ تعبير أوليفي ريبول فكر تأويلي كبير، لا يستهدف الإنتاج، بل نظرية للفهم[1].

عمل محمد عبد المطلب على البحث عن بعد أكبر من أن تكون عليه الفنون البلاغية شكلا بلاغيا يعمل على إضفاء الجمالية، بل كان سعيه أكبر من ذلك عندما ربط هذه الفنون بما يسمّى بـــ« البنية»، وأضحى المصطلح البلاغي القديم عنده مسندا إلى هذه اللفظة . والبنية في النحو التوليدي بنيتان: عميقة وسطحية، ومواصفاتها أنّها بنية تجريدية صورية[2].

الملاحظ أنّ محمد عبد المطلب نظر إلى المصطلح البلاغي العربي على أنّه مادة معرفيّة قابلة للتجدّد ومستعدة للعطاء، كما أنّ اللغة العربية كذلك، ولذلك اعتبر " المصطلح من حيث هو بنية معرفية (خام)، أو المصطلح من حيث هو إمكان، لا المصطلح من حيث هو ممارسة قيل كذا قرن من سنين "[3]؛ لأنّ المصطلح البلاغي القديم في علومه الثلاثة المعروفة من استعارة وتشبيه وكناية، أو جناس، أو تضاد، إلى غير ذلك مما تنتهي إليه المصطلحات البلاغية، ما هو إلاّ وسيلة، وهو بنفسه لا يعني البلاغة القديمة، بل لا بدّ من إبراز قيمته وفائدته[4].

---

[1] – أوليفي ريبول: طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي للثقافة بجدة، العدد 16، 2001، ص 77 .

[2] – مرتاض، عبد الجليل: البنية اللسانية في رسالة " الضّب" للبشير الإبراهيمي، دار هومة ، الجزائر،ط2014،1، ص16 وما بعدها.

[3] – عباس أمير: العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل: (مدخل معرفي إسلامي)، دار الفكر، دمشق،ط1، 2005، ص 20 .

[4] – محمد بركات، حمدي أبو علي: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، دار وائل، الأردن،ط1، 2004، ص 15.

وإذا كانت البلاغة نظرية للفهم فإنّ محمد عبد المطلب حاول أن يظهر الجانب اللغوي في تراكيبها من خلال الوقوف على تلك الانزياحات التي تصيب البنية البلاغية بوصفها بنية مجردة ذات طبيعة صورية. والبلاغة لا تتعلق بشيء قدر تعلقها باللغة، ولا تتعلق الأخيرة بشيء قدر تعلقها بالفكر، ومن ثمّ يصبح تعلق البلاغة بالإنسان، وتكون البلاغة قضية إنسانية كبيرة بحكم أنّها درس في جدل النفس[1].

لكنّ الذي لا يستقيم- في رأينا - مع تصوّر محمد عبد المطلب هو اقتصاره على الأدبية في الدراسة البلاغية، في حين أنّ الأنموذج البلاغي أنموذج معرفي،وأنّ النظرية البلاغية نظرية معرفية، وأنّ الأنموذج والنظرية مدخلان لقراءة الحياة، ثم لقراء ة الكون، لا قراءة المنجز الإبداعي حصرا. وهو ما أراد أن يؤسس له مشروع محمد العمري فيما يعرف بمشروع « البلاغة العامة»[2].

من هذا المنطلق يرى عباس أمير ضرورة البحث عن حيوية الأنموذج البلاغي العربي وشموليته. على أنّه أصل وليد أو منبثق عن نص كوني أصل، هو النص القرآني، ومن ثمّ نظرية في الإدراك الإنساني للحياة والكون من خلال المظهر اللغوي[3].

لذلك تجاوزت البلاغة كما فهمها محمد عبد المطلب مستواها السطحي إلى حين المكوّن لتلك الآلية الخارجية، أو لذلك التمظهر السطحي، حيث وقف عند التحويلات التي يقوم بها المبدع في نقل المعاني المضمرة إلى أدبية، وبموجب ذلك تصير البلاغة نظرية فهم وتفهم. وتلك الغاية التي يجري إليها القائل والسامع على حدّ تعبير الجاحظ .

---

[1]- عباس أمير: العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل، ص 16 .

[2] - العمري، محمد: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة (دراسات وحوارات)،أفريقيا الشرق، المغرب،ط1،2013 ص246 .

[3]- عباس، أمير: العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل، ص19 .

يكون محمد عبد المطلب بهذا التصوّر الذي قدّمه قد خالف قول عبد القادر الفاسي الفهري، وأبطل زعمه القائل: " من الخطأ الاعتقاد بأنّ الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة إلى الفكر النحوي العربي القديم، لقد بيّنا في عدّة مناسبات أنّ هذا التصوّر خاطئ، وأنّ الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أيّ امتياز في وصف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحيان"[1] .

والحقّ إنّ محمد عبد المطلب استطاع أن يكشف عن هذه المفاهيم التراثية البلاغية، و أن يصل إلى أنّها لا تختلف عن التصوّر الذي وضعه تشومسكي، بل وجد بعضها يفوق ما قالهصاحب هذه النظرية اللسانية.وأعتقد أنّه بهذه المحاولة التي أتى بها محمد عبد المطلب يتأكد لنا ضرورة ارتباط التجديد بالمنطلقات القديمة، الأمر الذي يستلزم منا الانتباه إلى خصوصيات البلاغة العربية (الإيجابيات والسلبيات). ولا يكفي تمثّل المناهج الغربية الحديثة في خطواتنا الطامحة إلى تجديد الدرس البلاغي العربي.

نفهم انطلاقا مما تمّ معالجته في البحث بأنّ مشروع تجديد البلاغة لا يرتبط إطلاقا بالبحث عن شرعية للتراث أو الحداثة بقدر ما يرتبط التجديد بطبيعة التراث وخصوصيته القادرة على تطويره وتجديده وفق المعطيات المعرفية المستمرة مع العصر. وإذا كان البلاغيون القدماء قد اشتغلوا على إبداع زمنهم، وفق الأجناس الأدبية التي صنعها المبدعون، فإنّ الأجناس الأدبية التي خلق المبدع في العصر الحديث والمعاصر تتطلب بلاغة تمتلك الأدوات لتقويمها ونقدها، وهي بلاغة تنطلق من الأدوات القديمة، لكنّها مطوعة لروح هذا الإبداع الجديد.

[1] – عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 60 .

رأينا في الفصل الأول من الدراسة أنّ محمد عبد المطلب حاول تطويع الأدوات البلاغية القديمة في التعامل مع الشعر الحداثي بوصفه خطابا يقوم بتحليله، تجاوزا لبلاغة الجملة، وسيرا وفق منهج أمين الخولي الذي يكون أول من التفت إلى انحصار البحث البلاغي عند العرب داخل أسوار الجملة لا يتعداها إلى ماوراءها[1].

ومن القضايا التي ينبغي الإشارة إليها هو أنّ تبني الاتّجاه التحويلي في تجديد البلاغة العربية أمر يبقى دون معنى، مادام أنّ الإجراء يبقى مفتوحا؛ إذ تكشف المتابعة الدقيقة للدراسات والأبحاث عن المحدودية الزمانية وخضوعها للمناهج السائدة، وهو ما يراه حافظ إسماعيلي العلوي عندما يقول: إنّ " أغلب الكتابات التي تَراوحَ تاريخ صدورها ين الخمسينات والسبعينات تركز على الاتجاه الوصفي، في حين تعمد الكتابات المتأخرة إلى تقويم بحوث اللغويات بالاستناد إلى المدرسة التوليدية "[2].

كلام إسماعيلي يبرره ما رأيناه في الفصل الثاني من هذه الدراسة، عندما وجدنا أنّ المحاولات التي سبقت تصوّر محمد عبد المطلب في تجديد البلاغة ذات اتجاهات مختلفة، فاعتمدت في بادئ الأمر المناهج السياقية (المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي) منطلقا لها في التجديد. وكأنّ العمل الذي قام به المحدثون من البلاغيين هو محاولة لخلق شرعية للدرس البلاغي بناء على ما تظهره أبحاث الغرب اللغوية. والحقّإنّ البلاغة العربية ليس بحاجة إلى من يدافع عنها، بقدر أنّها تبحث عن " عقل عربي " يستطيع أن يقدّم لها التطوّر والتجديد الذي هو من سنن العلوم.

[1] – أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 165 –166 .

[2] – حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات العربية في الثقافة العربية المعاصرة، ص 187 .

خـــاتمـــة

خاتمة البحث:

هذا، وخرجت من دراستي للمحاولة التجديدية التي قدّمها محمد عبد المطلب بغية وضع تصوّر جديد للبلاغة العربية بنتائج، أهمّها:

– أنّ قراءة التراث البلاغي مرة أخرى أمر ضروري للإجابة عن أسئلة تطرحها معطيات علم اللغة الحديث.

– أنّ تجديد المنهج في قراءة المدونة البلاغية القديمة يسهم في رفع اللبس عن موقفنا اتّجاه البلاغة السكاكية، التي كانت محلّ انتقاد في الكتابات الأولى التي أرّخت لهذا العلم، وقد تغيّر الموقف بتبني الاتّجاه اللساني.

–أنّ في ثنايا الكتب والشروح البلاغية القديمة خبايا كثيرة صالحة لإثراء خطابنا البلاغي والنقدي، ولكنّها تحتاج إلى بحث صبور وقراءة متأنية، وصياغة منهجية جديدة تبرز جوانب الأهمية والابتكار.

– الملاحظ أنّ تجديد البلاغة العربية كان منطلقه بالتقليل من قيمة المدونة القديمة، وفهم التجديد على أنّه تحديد للنقائص والعيوب والمساوئ التي وقعت فيها البلاغة منذ كتاب مفتاح العلوم. ويكاد محمد عبد المطلب يشكل الاستثناء من ذلك.

–لا ينبغي أن نفهم « تجديد البلاغة » على أنّها محاولة لهدم البناء البلاغي القديم والبحث عن بناء جديد .

– مفهوم تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب يقتصر على معاودة قراءة التراث البلاغي بأدوات جديدة تحقّق له شرعية وجوده، وتطمح إلى تطويره .

-فنون البلاغة تتوافق مع أدوات التحليل الأسلوبي واللساني الحديثة، وهي بذلك تكون أكثر مواءمة للتعامل مع الخطاب الأدبي، ويمكن لهذه الفنون البلاغية بالاستعانة بالتحليل البلاغي اللساني أن تؤتي نتائج جيّدة حين تستخدم في تحليل النصوص الإبداعية القديمة والحديثة، وبذلك يمكن أن نطمح إلى بناء نظرية عربية نقدية.

– تحويل البلاغة العربية إلى علم مكتمل عند محمد عبد المطلب لا يتناقض مع " العلمية" التي أصبحت صاحبة السيادة في عالمنا المعاصر.

– الكشف عن تفسير عميق لتحوّلات الظاهرة العميقة للفنون البلاغية منهج محمد عبد المطلب في تجديد البلاغة العربية.

– أصبح محتّما التصدّي لتلك الأصوات التي ترتفع حينا بعد حين بالهجوم على البلاغة القديمة. والعجيب أنّ معظم هؤلاء المهاجمين إذا احتكموا للدّراسة التطبيقية مع الخطاب الأدبي، لا يجدون ما يسعفهم إلاّ تلك الأدوات البلاغية القديمة.

- التحقيق في تحليل التراكيب البلاغي يقتضي الاعتراف بأنّ الدَّرس البلاغيّ انطلق من مفهوم (تحويلي) دقيق يحمل فكرة النظرية اللسانية التوليدية التحويلية التي أتى بها تشومسكي في أبحاثه.

-تصوّر محمد عبد المطلب يؤكد على ضرورة الاستلزام منا الانتباه إلى خصوصيات البلاغة العربية، ولا يكفي تمثل المناهج الغربية الحديثة في خطواتنا الطامحة إلى تجديد الدرس البلاغي العربي

– كثرة التفريعات والتقسيمات التي تميّزت بها البلاغة العربية، والتي كانت محلّ نقد المحدثين في حقيقة أمرها ليست شهوة تكثيرية بقدر ما هي تحويلات عن أصل مثالي افترضه البلاغيون وهم يؤسسون لقواعد هذا العلم من خلال الدراسة التطبيقيّة .

– الكشف عن المعنى وتقديمه للمتلقيّ يتطلب إدراك ما يكتنف الصياغة من تحوّلات، سواء أ كانت تحوّلات أفقية، أو رأسية، أو موضعية، وسواء أ كانت التحوّلات حضورية أم غيابية.

– الأسلوب تحوّل خارجي لحركة ذهنية داخلية يعتمد على مجموعة من المواصفات البلاغية التي تجسّد هذه الحركة الذهنية.

– محمد عبد المطلب أعطى أهمية للمستوى العميق في التحليل البلاغي، وهو المستوى الذي أهمله البلاغيون، وخلص جهدهم للإطار الشكليّ، في حين أنّ كلّ تغيير في البنية العميقة لا بدّ أن يتحوّل في بنية السطح .

– بناء الأسلوب في البلاغة العربية يلفت انتباه المتلقيّ بشدّة إلى البنية الداخلية للنّص الأدبي، أي أنّ تلك الأساليب المخالفة لمقتضى الظاهر تحقّق دائما الوظيفة الشعرية للرسالة الأدبية.

– إدراك جماليات التراكيب الإبداعية يستلزم حضور الأصل مقيسا عليه لضبط درجة العدول كمّا وكيفا.

– المهمّة الأساسية لعلم البيان هي الكشف عن شروط إنتاج الدلالة. وإدراك التمايز في الصور البيانية ينبغي أن يُفهم على أنّ الصيّاغة فيها ترتدّ إلى منطقة المواضعة أوّلا، ثمّ مجاوزتها ثانيا، أي أنّ هناك بنية ميثالية تقف خلف التركيب لقياس مدى انحرافها .

– التعامل مع الوسيلة التعبيرية في علم البديع عند محمد عبد المطلب يقوم عبر مرحلتين: تنطلق المرحلة الأولى مع المستوى الصياغي عن طريق العمل التعليلي، أي كشف علاقاتها التكوينية وتحديد نظامها الشكلي. وهذا العمل يُمكن الوصول إلى المعنى الذهني للشكل البديعيّ. وهذا هو جوهر التحليل البلاغي لكشف أبعاد المعنى ووظيفته عند المتلقيّ .

– المصطلح البلاغي العربي مادة معرفية قابلة للتجدّد والعطاء، ومن ثم يمكننا تطوير حمولته الفكرية في الدرس البلاغي الحديث.

–اقتصار محمد عبد المطلب على الأدبية في الدراسة البلاغية أمر لا يقبل به، بحكم أنّ النظرية البلاغية نظرية معرفية، وهي مدخل لقراءة الحياة، لا قراءة المنجز الإبداعي حصرا.

ثبت مصادر البحث ومراجعه

مصادر ومراجع البحث:

- **القرآن الكريم .**

1. أحمد، حمد ويس،: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مجد، بيروت، ط1، 2005 .

2. أحمد، سعد محمد: نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

3. أحمد عمايرة، حليمة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2006.

4. أحمد عمايرة، خليل: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، بيروت، ط1، 1984.

5. أحمد،موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1969.

6. إبراهيم، مصطفى: إحياء النحو ، الطبعة الثانية،القاهرة، (د.ت).

7. إحسان،عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1971.

8. إرحيلة، عباس: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999.

9. إسماعيل، عز الدين: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1974.

10. إيهاب، مجيد جراد: القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، دار غيداء، الأردن، ط1، 2014.

11. إنميرات، عبد العزيز: مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2013 .

12. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة العلمية، بيروت،(د.ط)، (د.ت).

13. البحيري، أسامة: البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ (مصر)، ط1، 2009.

14. بدوي، أحمد : عبد القاهر الجرجاني، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت).

15. بسيوني، عبد الفتاح فيود: علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر، ط2، 2004.

16. بلبع، عيد: القطيعة المعرفية وسُلطة الجذور،بلنسية، جمهورية مصر العربية، ط1، 2009.

17. بلعيد، صالح: التراكيب النحوية وسياقتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني

18. البهنساوي، حسام : أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994.

19. بومعزة، رابح: التحويل في النحو العربي (مفهومه- أنواعه – صوره)البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، عالم الكتب الحديث، إربد، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2008.

20. البياتي، سناء حميد: نحو منهج جديد في البلاغة والنّقد دراسة وتطبيق، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1998 .

21. البخيتاوي، عماد محمد محمود: مناهج البحث البلاغي عند العرب، دراسة في الأسس المعرفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013.

22. البيومي، محمد رجب : البيان القرآني: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).

23. تمام،حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).

24. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2004.

25. جبارة، محمد جاسم: المعنى والدلالة في البلاغة العربية، دراسة تحليلية لعلم البيان، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2012.

26. جبر ضومط: الخواطر الحسان في المعاني والبيان، مطبعة الهلال، مصر، 1896.

27. الجربي، محمد رمضان: البلاغة التطبيقيّة دراسة تحليلية لعلم البيان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

28. جميل، عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2006.

29. جورجي، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، دار الهلال، مصر.

30. الجويني، مصطفى الصاوي: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985.

31. الجويني، مصطفى الصاوي الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1999.

32. أبو حاقة، أحمد: البلاغة والتحليل الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1996 .

33. الحباشة، صابر: الأبعاد التداولية في شروح التخليص للقزويني، دار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2010 .

34. حسن، حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2002.

35. حسن، عباس: المتنبي وشوقي (دراسة ونقد وموازنة)، مطبعة مصطفى الحلبي وأولادهما، (د.ط)، (د.ت) .

36. حفني، محمد شرف: الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب، المنيرة،ط1،1966.

37. حلمي، خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية الإسكندارية،(د.ط)، 1995.

38. حميدي، خالد كاظم: علم البديع (رؤية معاصرة وتقسيم مقترح)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2015.

39. حيدر، حسين عبيد: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابهما الأسرار والتلخيص (دراسة موازنة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013.

40. خليل، أحمد: المدخل إلى دراسة البلاغة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986.

41. خمري، حسين: نظرية النص (من بنية المعنى إلى سميائية الدال)، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007،

42. خميس، حسن سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدامى والمحدثين، دار الشروق، عمان، (د.ت)، (د.ط) .

43. الخولي، أمين: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.

44. الخولي، أمين: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، (د.ت) .

45. الخولي، محمد علي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981.

46. خياري هبة : خصائص الخطاب اللساني (أعمال ميشال زكريا نموذجا)، منشورات زين، بيروت، ط1، 2011.

47. الراجحي، عبده: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية،بيروت، (د.ط)، 1979.

48. رامي، جميل سالم: التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين، من منظور الدراسات العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.

49. رضي، عبد الحكيم : التراث بين ثباته في ذاته وتحوّل النظر إليه، دراسات وأبحاث، بني سويف، مصر،2003.

50. الزايد، علي عشري: البلاغة العربية تاريخها. مصادرها. ومناهجها .مكتبة الآداب، القاهرة، ط7، 2009.

51. زكي،نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

52. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت) .

53. الزمخشري، جار الله : أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،ط1، 2006.

54. الزيات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1967.

55. السايح، خديجة : مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر(1900–1950)،تقديم منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندارية،ط1، 2000 .

56. السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003 .

57. السدّ، نور الدين : الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة الجزائر، ط1، 2010.

58. السمرى، إبراهيم عبد العزيز: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011.

59. السعران، محمود: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، الإسكندارية، (د.ط)، (د.ت).

60. السكاكي، يوسف أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

61. السكاكي، يوسف أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

62. سلامة، موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1954.

63. سوبرتي، محمد : النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم تقريب توليدي وأسلوبي تداولي، أفريقيا الشرق،ط1،2007.

64. الشايب، أحمد: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة، مصر، ط5، (د.ت)،

65. شوقي، ضيف: البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1976.

66. شوقي، ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د.ت).

67. شوقي، ضيف: كتاب النقد، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)،(د.ت).

68. الصلابي، محمد عليّ: الدولة العثمانية أسباب السقوط وعوامل النهضة، دار البيارق، ط1، 1991 .

69. صلاح، فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002.

70. الصمّود،حمّادي: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت،ط4، 2010.

71. ضيف، أحمد: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط1، 1921.

72. طبانة، بدوي: البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة، جدة،ط7، 1988.

73. طه، حسين: تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، ترجمة عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980.

74. الطهطاوي،رفاعة رافع : الأعمال الكاملة، الجزء الأول: " التمدن والحضارة والعمران"، دراسة وتحقيق محمد عمارة. (د.ط)، (د. ت) .

75. عباس، أمير: العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل: (مدخل معرفي إسلامي)، دار الفكر، دمشق،ط1، 2005.

76. عباس،رشيد الددة،: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2009.

77. عبد الحليم، بن عيسى: القواعد التحويلية في الجملة العربية،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011.

78. عبد الحميد، السيد: دراسات في اللسانيات العربية(بينة الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية- علم النحو وعلم المعاني)، دار حامد، عمان، ط1، 2004.

79. عبد الرحمن، طه: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط4، 2012.

80. عبد الرحمن،عائشة: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط7، (د.ت).

81. عبد العليم إبراهيم: الموجّه الفنّي لمدرّسي اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط14، (د.ت) .

82. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة عسيى البابي الحلبي، القاهرة، 1933.

83. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978.

84. عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1997.

85. عبد المطلب،محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1994.

86. عبد المطلب، محمد: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان، ط1، 1995.

87. عبد المطلب، محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1995 .

88. عتيق،عبد العزيز: تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط).

89. عتيق،عبد العزيز: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1974.

90. عتيق،عمر عبد الهادي:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة، عمان،ط1، 2012.

91. العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين (الشعر والنثر)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989 .

92. عصفور، جابر: النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 2008 .

93. العلوي،حافظ إسماعيلي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقيّ وإشكالاته،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1، 2009.

94. العلوي، يحي بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، النهضة العربية، بيروت، ط1، 1995.

95. علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة(المعاني، والبيان، والبديـــع)، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

96. العمري، محمد: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت/ المغرب، ط1،1999.

97. العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا)، إفريقيا الشرق،المغرب، ط2، 2002.

98. العمري، محمد: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة (دراسات وحوارات)،أفريقيا الشرق، المغرب،ط1، 2013.

99. غركان، رحمن: نظرية البيان العربية (خصائص النشأة ومعطيات التزوع العلمي- تنظير وتطبيق، دمشق، ط1، 2008.

100. غلفان، مصطفى: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، المدارس للنشر والتوزيع،(د.ط)، 2007.

101. غلفان، مصطفى وآخرون: اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

102. فتحي، فريد: المدخل إلى دراسة البلاغة، مكتبة النهضة، مصر،(د.ط)، 1978.

103. فدا، هيفاء عثمان عباس: نسق الكلام في شعر زهير، دار القاهرة، القاهرة، ط1، 2004.

104. فضل، حسن عباس: البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2011.

105. الفهري، عبد القادر الفاسي : اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبة ودلالية)، منشورات عويدات، بيروت، دار توبقال، المغرب، ط1، 1986.

106. ابن قتيبة الدينوري: الشعراء والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

107. القرعان، فايز: تقنيات الخطاب البلاغي (دراسة نصية)، عالم الكتب الحديث،إربد (الأردن)،ط1، 2004.

108. القرعان، فايز: الموضوعة الاستعارية في شعر السياب (الليل نموذجا)، عالم الكتب الحديث، الإربد، 1999.

109. القزويني، الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

110. القزويني، الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009 .

111. القزويني، الخطيب:الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت) .

112. الكتاني، محمد: الصراع بين القديم و الجديد، دار الثقافة، المغرب، 1982.

113. المجدوب،عز الدين: المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، تونس، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامّي، ط1، 1998،

114. مجيد، الماشطة: شظايا لسانية، دار اليقظة الفكرية، دار السياب، سورية، ط1، 2008.

115. محمد، أحمد أبو بكر أبو عامود: البلاغة الأسلوبية (تصوير الموت في القرآن الكريم نموذجا) مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

116. محمد، أحمد نحلة: المدخل إلى دراسة الجملة العربية،دار النهضة العربية، بيروت، 1988 .

117. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندارية، 1998.

118. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، 1990.

119. محمد بركات، أبو علي: كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 1999.

120. محمد بركات، حمدي أبو علي: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، دار وائل، الأردن،ط1، 2004.

121. محمد، خلف الله: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده،

122. محمد، محمد أبو موسى: دلالات التركيب، دراسة بلاغية، ط1، 1978.

123. المخزومي، مهدي: في النحو العربي- نقد وتوجيه- دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986

124. المراغي، أحمد مصطفى: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، ، 1950.

125. المراغي،أحمد مصطفى: علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2007.

126. مرتاض، عبد الجليل: البنية اللسانية في رسالة " الضّب" للبشير الإبراهيمي، دار هومة ، الجزائر،ط1، 2014.

127. المسدي، عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدارالعربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.

128. المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، القاهرة، ط4، 1993 .

129. مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997 .

130. مصلوح، سعد: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1985 .

131. مطلوب، أحمد: القزويني وشروح التلخيص، ،مكتبة النهضة، بغداد،ط1، 1967.

132. مطلوب، أحمد: مناهج بلاغية، الكويت، ط1، (د.ت) .

133. ابن المعتز، عبد الله: البديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990.

134. المغربي، ابن يعقوب: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (ضمن كتاب شروح التلخيص)، دار السرور، بيروت.

135. المكّي، سميّة: الكفاية التفسيريّة للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013.

136. مندور، محمد : النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، القاهرة، 1996.

137. مندور، محمد: النقد والنقاد المعاصرون، مكتبة نهضة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

138. ابن منظور، جمال الدين محمد الإفريقي: لسان العرب، دار صادر بيروت،(د.ط)، 1968.

139. منير سلطان: مناهج في تحليل نظم القرآن، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1990.

140. مهيبل، عمر: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

141. الموسى، نهاد: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والطبع، الأردن، ط1، 1979.

142. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1986.

143. ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1986.

144. هدى، صلاح رشيد: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات ضفاف (بيروت)، دار الأمان (الرباط)، ومنشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2015.

145. هنوش، عبد الجليل: التأسيس اللغوي للبلاغة العربية (قراءة في جذور)، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016.

146. الوعر، مازن: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، (د.ت)،

المراجع المترجمة:

1- تودوروف، تزيفتيان: الأدب و الدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، سورية،ط1، 1996.

2- جورج أنطونيوس: تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت،ط8، 1987.

3- جول تريكو: المنطق الصوري، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992.

4- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان،رؤية للنشر والتوزيع، 2011 .

5- ياكبسون، رومان: فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الجامعة الإسكندارية، (د.ت).

6- شومسكي، نعوم: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، سورية، ط1، 2009 .

7- شومسكي، نعوم: البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز ومراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيون، المغرب، ط2، 1987 .

8- مونان، جورج: مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش،تونس، 1981.

دوريات:

1 - إليرود إبس.د. وفوكيما: مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، ترجمة محمد العمري، دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد2، فاس 88/87 المغرب.

2 - بوشحدان، الشريف: واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي، الخطاب اللساني نموذجا، مجلة اللغة العربية، العدد 06، الجزائر، 2002.

3 - الحاج صالح، عبد الرحمن: مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، مجلة المنار الجديد، السنة السادسة يناير مارس 2003.

4 - خليفة، عبد الكريم: تيسير تعليم العربية في التراث، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج58، مايو 1986.

5 - ريبول، أوليفي: طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي للثقافة بجدة، العدد 16، 2001.

6 - زكي، نجيب محمود: مشكلات التراث، فصول " مجلة النقد الأدبي،ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد1،1980.

7 – الصامل، محمد بن علي: قضايا المصطلح البلاغي(كثرته وتعدده و اشتراكه وصياغته)، مجلة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18،ع30، 1425 هـ .

8 – صلاح، فضل: تجديد التراث البلاغي، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، نوفمبر 2006.

9 – القرعان، فايز عارف: الليل في شعر السياب، دراسة في البنية الأسلوبية للاستعارة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 35، العدد1، 2008.

10 – مصلوح، سعد: مشكلة العلاقة بين البلاغة العربية واللسانيات الأسلوبية، بحث منشور ضمن المجلد، الآخر، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المجلد العاشر، 1988.

11 – مطلوب، أحمد: منهج السكاكي في البلاغة، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد10، 1962.

فهرس البحث

العنوان	الصفحة
كلمة شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل: آليات قراءة التراث البلاغي في العصر الحديث:	1
– أوّلا: الاتّجاه التاريخي	9
– ثانيّا: الاتّجاه اللساني	14
الفصل الأول: البلاغة السكاكية في العصر الحديث	24
– المبحث الأول: البلاغة السكاكية في ميزان النقد	26
• الفلسفة في البلاغة القديمة	29
• المنطق في بلاغة السكاكي	35
• التفريعات والتقسيمات في البلاغة السكاكية	38
• قضية تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة	41
– المبحث الثاني: موقف محمد عبد المطلب من البلاغة	52
• البلاغة وعلاقتها بالعلوم	54
• التراث / الحداثة	59
• نفي التعقيد عن البلاغة السكاكية	65
• بلاغة الجملة	67
• المعيارية والبلاغة السكاكية	68
• الشاهد البلاغي	70
– خلاصة الفصل	76

	79
الفصل الثاني: اتجاهات تجديد البلاغة قبل محاولة محمد عبد المطلب	81
– المبحث الأول: مفهوم « التجديد »ودواعيه	81
• توطئة	90
• مفهوم التجديد لغة واصطلاحـــــا	94
• البدايات الأولى في تجديد البلاغة العربية	105
– المبحث الثاني:اتجاهات التجديد في البلاغة العربية	109
• الاتّجاه النفسيّ	115
• الاتّجاه البيانيّ	118
• الاتّجاه الأدبيّ	125
• الاتّجاه التربويّ	128
• الاتّجاه البلاغيّ	129
– خلاصة الفصل	
الفصل الثالث: المنهج التحويلي في تجديد البلاغة العربية عند محمد عبد المطلب	132
المبحث الأول: دواعي تجديد البلاغة عند محمد عبد المطلب	133
• موقف محمد عبد المطلب من تعليمية المادة البلاغية	134
• رأيه في تصورات تجديد البلاغة	136
• النظرية التحويلية في الكتابة العربية الحديثة	140
المبحث الثاني: المنهج التحويلي أساس تجديد البلاغة	151
• التركيب البلاغي وعلاقته بالمستوى السطحي والمستوى العميق	163
– خلاصة الفصل	

الفصل الرابع: ملامح تجديد البلاغة في تصوّر محمد عبد المطلب	**184**
المبحث الأول: الخطاب العلمي وطبيعته في كتاب محمد عبد المطلب	**185**
• **توطئة**	**186**
• **تحليل الخطاب البلاغي عند محمد عبد المطلب**	**187**
1- من حيث الموضوع	**187**
2- من حيث المنهج	**188**
3- من حيث الهدف	**191**
• **وضعية القارئ في خطاب محمد عبد المطلب**	**193**
• **بنية الخطاب التراثي**	**192**
1) العنوان	**195**
2) المقدمة	**197**
3) الطرح العام	**198**
4) الوسائل التبسيطية	**200**
المبحث الثاني: ملامح التجديد في التحليل البلاغي	
• **توطئـــــــــة**	**209**
• **التحليل البلاغي عند محمد عبد المطلب**	**212**
1) التحليل البلاغي للفنون البيانية	**213**
2) التحليل البلاغي وفنون علم المعاني	**229**
3) التحليل البلاغي وبيان الدلالة الوظيفية للفنون البديعية	**233**
- خلاصة الفصل	

خـــــاتمـــة	247
ثبت مصادر البحث ومراجعه	252

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة إحدى التصورات التي تمّ طرحها في سبيل تجديد البلاغة العربية، في محاولة للبحث عن المنطلقات التي دفعت البلاغيين المحدثين إلى تجديد البلاغة، وإظهار تجليات البحث اللساني في مثل هذه الكتابات التي هدف أصحابها إلى معاودة قراءة التراث البلاغي.ولعل من أهمّ المحاولات المعنية بموضوع التجديد في البلاغة العربية تصوّر محمد عبد المطلب في كتابه: " البلاغة العربية، قراءة أخرى"، وهي المدونة التي أبان فيها عن تأثره بأفكار تشومسكي في نظريته المعروفة بالتوليدية التحويلية. وأسهم هذا التأثر في ظهور كتابة اختلف خطابها عما عهدناه في الدرس البلاغي العربي. إذ لم يكن منطلقه في الحدّ من قيمة البلاغة القديمة، بل كان مدافعا عنها، ومبيّنا سبب التحامل عليها، الأمر الذي مكنه من مراجعة العديد من القضايا التي تخص البلاغة، التي طعن فيها المحدثون، ورأوا فيها أنّها أصبحت عاجزة عن مواكبة التطورات الحاصلة في الأجناس الأدبية.وأظهر البحث أنّ محمد عبد المطلب نهج مسلك سابقيه من المجددين في التأثر بالأبحاث اللسانية، وكان المنهج التحويلي واضحا في خطابه العلمي، الذي حاول فيه أن يظهر بأنّ البلاغيين القدامى انطلقوا في دراستهم للمباحث البلاغية من فرضية مفادها بأنّ لكل تركيب بلاغي أصل يمكن الوصول إلى معناه بفضل ما تقدمه اللّغة من إجراءات كلامية، والتي عبر عنها تشومسكي بالقواعد التحويلية. ومن ثمّ تأتي أطروحة محمد عبد المطلب التي يرى فيها بأنّ البنية العميقة هي المفسر الأول لمجموعة البنى البلاغية، التي يكون فيها الخروج عن المواضعة في علم البيان، أو ما اتّصل منها بانتهاك النمط التركيبي في علم المعاني، أو ما اتّصل منها بالتكرار في النمط التحسيني. وهو ما فتح أمامنا إلى توضيح هذه الأطروحة، ومعرفة مصادره فيها، والكيفية التي تسمح بالاستفادة منها في الوصول إلى تحليل بلاغي يتجاوز المستوى السطحي للتراكيب الابداعية.ومما أشار إليه البحث أنّ تصور محمد عبد المطلب لم يكن بالوجه الذي تجاوز الموروث البلاغي، بل حاول صاحبه أن يؤكد بأنّ الجهد البلاغي القديم مستحدث، ومن ثمّ لم تكن محاولته لهدم البناء القديم، وكان فهمه للتجديد على أنّه معاودة للقراءة بأدوات جديدة تحقق شرعية وجود هذا التراث، وتطمح إلى تطويره.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة؛ السكاكي؛ محمد عبد المطلب؛ التجديد؛ الخطاب؛ التحويلية؛ القزويني؛ البنية السطحية؛ البنية العميقة؛ عبد القاهر الجرجاني.

نوقشت يوم 22 نوفمبر 2016